

٥٠٠
٥٠٠
٥٠٠

جامعة النجاة الوطنية
عمادة كلية الدراسات العليا
قسم اللغة العربية

شعر البادية في النقب جمع ودراسة

إعداد: - عمر عبد الرحمن نمر
إشراف: - أ.د. يحيى جبر
د. إحسان الديك

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير باللغة العربية وآدابها
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاة الوطنية
نابلس
فلسطين

1423 هـ / 2002 م

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

شعر البادية في النقب

جمع ودراسة

اعداد الطالب

عمر عبد الرحمن نمر

إشراف: أ.د. يحيى جبر

د. إحسان الديك

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2002/12/31م وأجيزت

لجنة المناقشة:

أعضاء اللجنة:

1. أ.د. يحيى جبر

2. د. إحسان الديك

3. د. نادر قاسم

4. أ.د. عادل أبو عمشة

رئيسا

مشرفا ثانيا

ممتحنا خارجيا

ممتحنا داخليا

الإهداء

اهدي نتاجي هذا للفارس الذي ترجل...والذي عبد الرحمن نمر ،
رحمه الله ، والى أُمي الحنون أدامها الله وأبقاها ذخراً ..

الشكر

لزاما علي أن يلهج لسانني ، وقلمي بالشكر ما حييت ، لأساتذتي الأفاضل ، الأستاذ الدكتور يحيى جبر ، الذي وجهني ، واخذ بيدي ، وساعدني طول فترة الدراسة والبحث ، وكان لتشجيعه لي ابعاد الأثر في رفع معنوياتي للقيام بهذا الجهد المتواضع .

والدكتور الفاضل إحسان الديك ، الذي جشمته عناء ما بعده عناء ، تابعني من بداية البحث لنهايته ، وأعمل فكره وجهده وقلمه في البحث ، كلمة كلمة ، وفقرة فقرة .. يصحح ، ويعدل ، ويلغي ، ويكمل .. لا يمكنني أمام هذين الرجلين إلا ان انحني احتراماً وإجلالاً ما حييت .

وشكري الجزيل لزوجي ، التي قاسمتني مشقة البحث ، ووفرت لي الراحة والاستقرار في مشواري الأكاديمي هذا .

وأخيراً كل الشكر والتقدير للجندي المجهول .. الأخ عماد خنفر مدير مركز البيارق - سيلة الظهر ، والذي سهر معي الليالي في طباعة هذا المشروع وتنسيقه .

لكل هؤلاء حبي وعرفاني .. جزاكم الله كل خير .

الفهرس

ا		1- الاهداء	1
ب		2- الشكر	2
ج		3- الفهرس	3
هـ		4- ملخص البحث	4
ح		5- التمهيد	5
		6- الباب الأول :	6
	1	أ) الفصل الأول : حدود منطقة الدراسة جغرافياً وتاريخياً	1
	9	خرب النقب	9
	14	وادي عربة والمنطقة الجنوبية	14
	18	شبه جزيرة سيناء	18
	22	مأساة المنطقة	22
	26	المناخ	26
	30	السكان	30
	33	قبائل المنطقة الجنوبية وامتداداتها	33
	50	ب) الفصل الثاني : الأدب الشعبي - الشعر الشعبي	50
	50	مفهومه وخصائصه	50
	53	الأدب الشعبي	53
	59	سمات الأدب الشعبي	59
	63	العلاقة بين الأدبين الرسمي والشعبي	63
	72	الشعر الشعبي	72
	84	وصف عام	84
		7- الباب الثاني:	7
		أغراض الشعر الشعبي في النقب	
	91	أ) الفصل الأول مقدمة	91
	92	الغزل في الشعر الشعبي في النقب	92
	103	روافد الشعر الغزل في النقب	103
	110	وصف المرأة في شعر النقب	110
	126	مطلع قصيدة الغزل (المشد)	126
	132	ب) الفصل الثاني : وصف الطبيعة في شعر النقب الشعبي	132
	133	المطر في شعر النقب	133
	149	الصحراء في شعر النقب	149
	161	خلاصة	161
	162	ج) الفصل الثالث: الحيوان في شعر النقب	162
	164	الإبل في الشعر الشعبي في النقب	164
	176	الخيول في الشعر الشعبي في النقب	176
	188	الأغنام في الشعر الشعبي في النقب	188
	193	الحيوان البري في الشعر الشعبي في النقب	193
	194	الذئب .	194
	201	الطيور .	201
	202	الغراب .	202
	204	الصقر .	204
	205	د) الفصل الرابع : الشعر الاجتماعي في النقب	205

215	المدح
235	النصائح الشعرية البدوية (الوصايا)
242	الرتاء في الشعر الشعبي في النقب
248	القهوة في الشعر الشعبي في النقب
258	الحكاية في شعر النقب الشعبي
	هـ (الملاحق
265	ملحق القصائد
353	قائمة بأسماء الشعراء ومواقعهم وتاريخ لقائهم
355	المصادر والمراجع
368	الملخص باللغة الانجليزية

ملخص البحث

تناقش هذه الرسالة، مناشط الحياة البدوية في النقب، من خلال دراسة دالة التعبير لديه، وتحديداً شعره الشعبي، إنطلق البحث من تحديد التراث الشعبي، خصائصه، وأهميته، لينتقل بعد ذلك إلى مفهوم الشعر الشعبي، بداياته، وخصائصه.

ومن ثم يتفرع البحث لمعالجة موضوع الغزل البدوي من خلال الشعر الشعبي، حيث يلقي الضوء على طبيعة العلاقة بين المرأة والرجل، أماكن لقائهما، والصور الفنية المتولدة من هذا اللقاء.

ويفرد البحث فصلاً كاملاً للحديث عن علاقة البدوي بحيوانه، حيث يتناول طبيعة هذه العلاقة، وأنواع الحيوانات المختلفة التي تعامل معها البدوي، فالإبل، والخيول، والأغنام وغيرها.

ومن هذه الطبيعة المتحركة - إن دق التعبير - ينتقل البحث لدراسة الطبيعة الصامتة، والتضاريس التي يراها البدوي في النقب، ويمارس نشاطاته حولها، مثل: الجبل والمطر والمراقب والنجم وغيرها، ومن ثم تتحدث الدراسة عن بعض المعاني الروحية لهذا البدوي، وبعض الممارسات والعادات كالكرم، والنخوة والشجاعة، والأخذ بالثأر وغيرها.

لقد حاول البحث دراسة كل هذه المفردات، من خلال جمع شعر بدوي حولها، وتحليل هذا الشعر، ومحاولة دراسة مدى تناسخ الشعر الجاهلي في هذا الشعر البدوي، ومعرفة مدى تطور هذه البيئة البدوية (النقب)، أو محاولة قياس سرعة دورة الحياة فيها.

تمهيد

لم تتل منطقة النقب تلك الدراسات التي تليق بأهميتها الدينية أو التاريخية .. أو تدعم صمودها أمام السياسات الاستيطانية والغزو ، والتهجير ، ولا نكاد نجد في المكتبة العربية سوى كتابي " عاراف العارف " ، اللذين يتحدثان عن منطقة النقب بأسلوب البحث الميداني ، وبمحاولة التوثيق ، وهذا كان في الثلث الأول من القرن الماضي .. وهناك دراسة الدكتور غازي فلاح ، والصادرة عن مركز إحياء التراث في الطيبة . بعنوان " الفلسطينيين المنسيون " والتي تحاول الاحاطة بالمنطقة وهي تجابه التهويد يومياً .. تجابه تهجير أهلها يومياً .. تجابه مصادرة أرضها ومائها يومياً .. تصدر فيها الثقافة العربية بشكل يومي أيضاً. ولعل في العنوان " الفلسطينيين المنسيون " ، صرخة لكل باحثي هذه الأمة وفي مختلف دراساتهم ليهبوا كل في اختصاصه ، ويشمروا عن سواعدهم ، وينقبوا ويبحثوا ويكتبوا بل ويمسحوا هذه المنطقة ، هضبة هضبة ، وجبالاً جبلاً ، ووادياً وادياً .. ويكشفوا كل حقائق التاريخ في هذه المنطقة ، ويجلوا عن معالمها كل غبار الاستعمار . ويأخذوا بيد الأهل الفلسطينيين فيها كي يلحقوا بركب الأمة العربية . وهذا لا يمكن أن يتأتى ، وتجنّى ثماره إلا من خلال مؤسسات ثقافية جديّة تعي الهدف الملقى على عاتقها ، وتقوم بالتخطيط ، والتمويل وشحن الهمم في تشجيع الدارسين والباحثين للقيام بدراساتهم وأبحاثهم في منطقة النقب .

إن هذه الدراسة المتواضعة " شعر البادية في النقب " ، إسهام متواضع جداً في هذا السبيل ، ولا ادعي الكمال فيها ، أو خلوها من الثغرات فهي بالتالي عمل فردي ، بحثي ، ميداني ، حاولت فيه أن اجمع ما أستطيع من شعر النقب الشعبي ، وأن أعالجه بمنهج وصفي تحليلي ، لأخرج بالتالي من دائرة التوثيق والجمع فقط الى دائرة أخصب تعنى بالتحليل والاستنباط . وانعكاس البيئة في هذه الصور والأخيلة . كذلك حاولت إخراج هذا الشعر الشعبي من بيئته البدوية ، وتحريره من بوتقة المحلية ليرفد دوائر ثقافية متجاورة جغرافياً معه، مثل الريف الفلسطيني .. أو الشعر في البادية الجنوبية الأردنية .. وقد حاولت توسيع إطار الفكرة التي نادى بها الدكتور يحيى جبر - وما زال - في أبحاثه وهي فكرة تناسخ القصيدة الجاهلية في الشعر الشعبي البدوي .

لقد كان لهذه الدراسة أن تمتد أكثر لبيئات أكثر .. مثل دراسة الشعر الشعبي في سيناء ، وفي شمال الجزيرة العربية ، باعتبار أن هذه المنطقة الممتدة من سيناء الى الجزيرة العربية ، تشكل وحدة جغرافية ، وثقافية ، وقبلية واحدة .. إلا أن ظروف ذاتية وموضوعية كثيرة حالت دون ذلك آملاً استكمال البحث فيها في وقت آخر ، وموطن آخر ، أو أن يستكملها باحث آخر يمتلك قوة مادية ، وفكرية ، ومعنوية أكثر مني .

جابهت هذه الدراسة عوائق كثيرة ، أولها العمل الفردي الذي قمت به ، ولولا جهود مشرف الرسالة الدكتور " يحيى جبر " وتوجيهاته ، وإرشاداته في كل مرحلة من مراحلها .. لما بدت بالشكل المتواضع الذي هي فيه .. فقد اتكأت هذه الدراسة على الزيارات الميدانية ، والترحال من منطقة لأخرى ، وتوثيق الشعر ورصده .. والتتقل والسفر في الظروف التي نعيشها تواجه مشاكل كثيرة وصعوبات جمة لا تخفى على أحد منا نتيجة للمعاناة التي يعانيها كل شعبنا الفلسطيني الصامد .

وثاني هذه الصعوبات والعوائق تمثل في ندرة المراجع والمصادر التي تتحدث بشكل مباشر عن النقب عموماً .. فكما قلت في مقدمتي لم أجد أمامي غير عارف العارف ، وكتاب غازي فلاح المتكبي على دراسات العارف .. وهذا اضطرني أن أجمع النقب من هنا وهناك لدراسة الجانب التاريخي والجغرافي لمنطقة النقب .. بعدها لم أجد كتاباً واحداً تحدث عن أدب هذه المنطقة الغنية بثقافتها وأدبها .

ورغماً عن كل هذه العوائق ، والظروف التي صاحبت كتابتي - إلا أنني حاولت قدر الإمكان تعريف القارئ بالنقب ، والمخاطر التي تواجهه ، ألقيت الضوء على عائلاته وقبائله وامتداداتها .. وجمعت ما استطعت من شعره ، وحاولت تحليله ، لاستخلص أغراضه ، وعناصره الجمالية ، وربطه بدائرته الثقافية الأكبر ، دائرة الأمة العربية .

وجدير بالذكر أن قبائل النقب - موضوع البحث - منتشرة في غير منطقة جغرافية ، فهي في البادية الأردنية الجنوبية ، كما هي في جزيرة سيناء ، وهذا تأتى من ترحال هذه القبائل وتقلاتها في مناطق لا يعترف البدوي بحدود سياسية بينها . من هنا فقد ضمنت بحثي هذا أشعاراً لأبناء القبيلة في البادية الأردنية الجنوبية ، جنباً الى جنب مع ثقافة النقب الفلسطيني وشعره .

أخيراً اطلب من الله العلي القدير الثواب إن أكن قد أصبت .. والعفو من الله أولاً ومنكم ثانياً إن أخطأت .

والله من وراء القصد

الباب الأول

الفصل الأول

حدود منطقة الدراسة جغرافيا وتاريخيا

حدود منطقة الدراسة جغرافيا وتاريخيا

تمتد منطقة الدراسة * من دير البلح وشمال بئر السبع ، ومنطقة الكرك الأردنية شمالا إلى " أم الرشراش " والعقبة جنوبا . ومن سيناء غرباً حتى الأراضي السعودية شرقاً . بين خطي عرض 29.5 و 31.2 شمال خط الاستواء ، وخطي طول 34.5 و 35 شرق غرينتش ⁽¹⁾ . وتشمل هذه المنطقة : النقب الفلسطيني المحتل ، ووادي عربة ، ومنطقة البادية الجنوبية الأردنية ، وعلى الرغم من التقسيمات السياسية الطارئة على هذه المنطقة ، إلا أنها متشابهة طبيعياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً . فتربتها واحدة ، ومناخها واحد ، وسكانها قبائل تربطها أواصر الدم والقربى والنسب . وترتب على هذا كله أن تكون البيئة الاقتصادية ، وهيكلية الإنتاج واحدة في كل هذه المناطق مما أدى إلى تشكل حضارة واحدة في جميع مناشطها وإفراز أدب شعبي يعكس هذه المناشط الحضارية . ولأغراض دراسية بحثية سنسلط الضوء على أقسام هذه المنطقة لمعرفة جغرافيتها وتاريخها وقبائلها .

النقب

جاء في لسان العرب : " النَّقْب ، والنَّقَب : الطريق ، وقيل الطريق الضيق في الجبل ، والجمع أنقاب ونقاب . انشد ثعلب لابن أبي عاصية :

تطاول ليلي بالعراق ولم يكن
علي بأنقاب الحجاز يطول

والمنقبة : الطريق الضيق بين دارين لا يستطيع سلوكه " (2) . وتعتمد الموسوعة الفلسطينية هذا المعنى ، " وتدل هذه التسمية على أهمية موقع النقب من الناحية

* كان مقررا لهذه الدراسة أن تشمل إضافة للمنطقة المذكورة ، منطقتي سيناء وشمال الجزيرة العربية ، إلا أن ظروفًا ذاتية وموضوعية حالت دون ذلك .

(1) أطلس الوطن العربي والعالم ، المكتبة الجامعية ، نابلس ، الطبعة السادسة سنة 2000-2002

(2) ابن منظور ، لسان العرب ، " مادة نقب " .

الجغرافية " (1) . أما مصطفى مراد الدباغ فيعود باللفظة إلى أصلها السامي (نجب) " Negeb " بمعنى الأرض الجافة " (2) . واعتقد أن هذا المعنى مشتق ، ومتطور عن الكلمة العربية . فالنقب هو الطريق في الجبل ، وتتخلل النقاب (الطرق) المنطقة عند الكونتيل والعقبة وتربان ، ولما كانت هذه المنطقة جافة بحكم موقعها فقد انصرفت اللفظة للدلالة على الجفاف . " ويذكر الحموي النقاب بالكسر " بلفظ نقاب المرأة الذي تستر به وجهها ، أو جمع نقب وهو الخرق في الجبل والحائط وغيره . وهو موضع في أعمال المدينة يتشعب منه طريقان إلى وادي القرى ووادي المياه . ذكره أبو الطيب فقال :

وأُمسّت تخبرنا بالنقاب ووادي المياه ووادي القرى " (3)

ويعتمد المعجم الوسيط هذا المعنى " فالمنقب : الطريق الضيق في الجبل ، والموضع الذي ينقبه الناقب ، والمنقبه الطريق الضيق بين دارين لا يستطاع سلوكه " (4) .

" ويختلف الباحثون في تحديد المنطقة جغرافياً ، وهذا الاختلاف ناتج من تعيين الحد الشمالي لها الذي يتصل بفلسطين الأم ، كذلك في تعيين حدها الغربي المتاخم لشبه جزيرة سيناء " (5) فبينما قدر الدباغ مساحتها بنحو 12.577 كيلومترا مربعا " (6) ، نجدها عند غيره لا تتعدى 10.573 كيلومترا مربعا " (7) . في حين

(1) الموسوعة الفلسطينية ، المجلد الرابع ، إصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق ، الطبعة الأولى ، سنة 1984 ، ص 461 .

(2) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، القسم الجغرافي ، دار الطليعة ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، سنة 1988 ، ص 122 .

(3) الحموي ، ياقوت معجم البلدان ، المجلد الخامس تحقيق فريد الجندي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، ص 297 .

(4) المعجم الوسيط ، الجزء الثاني ، دار عمران ، ط 3 ، ص 981 .

(5) د . فلاح ، غازي ، الفلسطينيون المنسيون ، عرب النقب ، مركز إحياء التراث العربي ، الطيبة ، المثلث ، سنة 1989 ، ص 42 .

(6) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 122 .

(7) خمار ، قسطنطين ، موسوعة فلسطين الجغرافية ، منشورات اليسار ، ط 3 ، سنة 1988 ، ص 130 .

تقدر بحوالي 12.173 كيلومترا مربعا في الموسوعة العربية الميسرة " (1) . وهذه الفروقات في المساحة ، تدل على أن جزءا من مساحة النقب الفلسطيني ، كانت تضم أحيانا لصالح مساحة فلسطين الأم ، أو لصالح مساحة سيناء أحيانا أخرى . وأدى هذا الاختلاف أيضا إلى " أن بعض الدارسين ضم شبه جزيرة سيناء للنقب ، وعرفت المنطقة بين جبال الخليل وقناة السويس ببادية التيه ، والمنطقة الجبلية الواقعة بين خليج العقبة والقناة باسم جبل الطور . ومما ارتكز عليه هؤلاء الدارسون ، عدم وجود فواصل طبيعية بين النقب وسيناء ، فمنطقة النقب امتداد طبيعي لشبه جزيرة سيناء وتم فرزها عن مصر عام 1906 م " (2) . والنقب هو القسم الجنوبي من فلسطين ذو الشكل المثلث ، الذي يقع رأسه عند بقعة " أم الرشراش " على خليج العقبة ، ويشمل جميع الأراضي الواقعة بين قضائي غزة والخليل ، وبين شبه جزيرة سيناء وشرقي الأردن وجنوبي البحر الميت " (3) . ولا يذكر " عارف العارف " النقب صراحة ، بل يطلق عليه " منطقة قضاء بئر السبع " ، ويحدد هذه المنطقة " شمالا بالخليل وجنوبا بالعقبة والبحر الأبيض المتوسط غربا ، والبحر الميت ووادي عربة من الشرق " . (4) أما الخمار فيحددها " بجنوب الخط المار بين العوجا - عسلوج - الكرنب ، بين خطي عرض 31 و 29.3 وخطي 35.5 و 34.2 " (5) ، وتقدر مساحة النقب بحوالي 12.577 كلم مربع [أي ما يقرب من نصف مساحة فلسطين بكاملها ، واكبر من مساحة لبنان بأكثر من 2400 كلم مربع] (6)

وتتبع أهمية موقع النقب الجغرافية من انه ممر تعبره الطرق إلى البلدان المحيطة به فهو يتصل من جهة الغرب بسيناء وشمال شرق أفريقيا (وادي النيل ودلتاه) ،

(1) الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال ، دار الشعب ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ص 1843 .

(2) د . فلاح ، غازي ، الفلسطينيون المنسيون ، مرجع سابق ، ص 19 .

(3) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 122 .

(4) العارف ، عارف ، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، سلسلة من هم البدو ؟ ، الجزء الأول ، ط.د.ت. ص 3 .

(5) خمار ، قسطنطين ، موسوعة فلسطين الجغرافية ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 130 .

(6) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 122 .

وشرقا بشمال الجزيرة العربية ، كما يتصل جنوبا بالبحر الأحمر ، أما في الشمال فيتصل النقب بأرض فلسطين الأم ومنها الى بلاد الشام . والنقب بوابة بلاد الشام الجنوبية الغربية لأية حركة أو هجرة أو تجارة أو غزو . وتقدر المسافة بين شمال النقب وجنوبه بنحو 250 كلم ، كما يقدر العرض الأقصى في قاعدة مثلث النقب بين الميت وجنوب غزة بـ 125 كلم ، ولكن هذا العرض الغربي يتناقص إذا سرنا باتجاه خليج العقبة ليصبح 10 كلم فقط . ويطل النقب على مياه خليج العقبة بواجهه بحرية قصيرة طولها 11 كلم " (1) ، هذا الموقع أهل النقب ليكون نقطة الربط بين الجزيرة العربية وأفريقيا من جهة ، وبينهما وبين بلاد الشام من جهة أخرى ."

فالقوافل التجارية التي كانت تأتي من الحجاز وغيرها حاملة بضائع الهند ومحصولات اليمن ، تضع أحمالها وأموالها في إيلة - العقبة - كانت تصل إلى البتراء ، إما عن طريق وادي عربة مارة بعين غرندل الواقعة شمال العقبة ، أو عن طريق وادي اليتم مارة بالحميمة . ومن البتراء كانت الطريق تمتد الى غزة عبر النقب " (2) . " ويتألف النقب من مجموعة سلاسل من التلال الوعرة ، تمتد شرقا وغربا ، تتوسطها سهول كثيرة الحصباء ميادة غير منتظمة ، أما المنحدرات السفلى لهذه التلال فتتأثر فوقها الصخور وتغطيها الحصباء ، وتبدو في بعض الأماكن مناطق مغطاة بالرمل الذي سفته الرياح منعزلا بعضها عن بعض . وترتفع بعض القمم في هذه السلاسل الجبلية في الجنوب والجنوب الغربي ارتفاعا ظاهرا فـ " رأس الرامان " الواقع بالقرب من الحدود الفلسطينية - المصرية ، يعتبر أعلى قمة في هذه الجبال إذ يبلغ ارتفاعه (1035) مترا ، وهو بذلك يكون ثالث القمم الفلسطينية ارتفاعا . وفي صحراء النقب أيضا (جبل المقرأة) وهو عبارة عن سهول متدرجة طولها نحو (112) كلم ، وعرضها نحو (80) كيلومترا ، تبدأ من جبل عريف الناقة * (975م) .

(1) الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ج 1 ص 491 .

(2) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلاندا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 130 . عريف الناقة : جبل عظيم بالقرب من الحدود الفلسطينية - المصرية ، ويرى من مسافة بعيدة على شكل عرف الناقة ، ومن ذلك كان اسمه - الدباغ ، مرجع سابق ، ص 130 .

ومعظم جبل المقراه واقع في فلسطين ، وقسم منه في حدود سيناء يعرف بجبل (خراشة) بالقرب من عيون وادي قديس . وإلى الجنوب من (المقراه) يقع جبل (سماوي) ، وهناك جبل اللسان ، والمغارة ، وأبوالصرابيط ، وأم سعيد وغيرها " (1) .

وتذكر المصادر التاريخية والأدبية ، المنطقة باسم بئر السبع ، ربما لأنها كانت المنطقة المؤهلة للتطور العمراني ، وربما من باب تغليب الجزء على الكل . فقد جاء في التوراة :

" واخذ إبراهيم بقرا وغنما وأعطى أبيمالك وقطعا كلاهما عهدا ، وأوقف إبراهيم سبع رخلات غنما بمفردهن ، فقال أبيمالك لإبراهيم ما هن سبع الرخلات هذه التي أوقفت بمفردهن ، فقال إبراهيم إن السبع الرخلات تأخذ من يدي حتى يكون لي شهادة إن حفرت البئر هذا لذلك دعي ذلك الموضع بئر السبع " (2) . ويدحض القرآن الكريم هذا الجانب الإخباري الإسرائيلي قلبا وقالبا ، فالبرية التي ترك إبراهيم فيها زوجه (هاجر) وولده إسماعيل لم تكن برية بئر السبع ، وإنما هي مكان البيت الحرام في الجزيرة العربية ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى على لسان الخليل عليه السلام " ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم ، وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون " (3)

وفي الإصحاح نفسه ، نقرأ عتابا بين إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، وأبيمالك ملك فلسطين ، وخلافهما حول بئر ماء ، والميثاق الذي قطعه كل منهما حين أعطى إبراهيم لأبيمالك سبع نعاج ثمنا للبئر * .

ويذكر الطبري في تاريخه ، بئر السبع ، ووصول الخليل إبراهيم عليه

(1) النباغ ، بلاندا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 130 .

(2) ترجمة التوراة السامرية ، المترجم الكاهن أبو الحسن اسحق الصدري ، سفر التكوين ، أخرجها زهير صالح الشنار جامعة برلين ، مطبعة النصر ، نابلس ، 1978 ، تقديم الكاهن عبد المعين صدقة السامري ، ص 25 .

(3) إبراهيم : آية 37 .

* انظر العاراف ، تاريخ بئر السبع ، مرجع سابق ، ص 10 .

دالسلام إليها ، ولكن بصورة تختلف بعض الشيء عما أورده سفر التكوين . يقول الطبري " وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام ، فنزل السبع من أرض فلسطين وهي برية الشام ، ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة ، وأقام إبراهيم بالسبع ، فاحتقر به بئرا واتخذ به مسجدا وكان ماء تلك البئر معينا طاهرا ، فكانت غنمه ترددها ، ثم أن أهلها آذوه بعض الأذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا ، فلما خرج من بين أظهرهم نضب الماء فذهب .

واتبعه أهل السبع حتى أدركوه ، وندموا على ما ضيعوا ، وطلبوا منه الرجوع ، فرفض أن يرجع لأرض أخرج منها ، فقالوا : أن الماء قد نضب ، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه ، فقال : اذهبوا بها معكم فإنكم لو قد أوردتموها البئر ، قد ظهر الماء ، حتى يكون معينا طاهرا كما كان " (1) ويقول صاحب " معجم البلدان " " السبع هو الموضع الذي يكون فيه المحشر يوم القيامة ، إذ يروي أبو عمر النمرى عن خلف بن قاسم أن أبا هريرة قال : " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " بينما راع في غنمه ، عدا عليها الذئب فاخذ منها شاه فطلبه الراعي فالتفت إليه الذئب ، فقال من لها يوم السبع ليس لها راع غيري . والسبع برية من أرض فلسطين بالشام بين بيت المقدس والكرك ، فيه سبع آبار ، ومنه كانت التسمية ، وكان ملكا لعمر بن العاص ، أقام به لما اعتزل الناس ، وأتت سليمان بن عبد الملك الخلافة وهو بالسبع ، وعبد الله بن عمرو بن العاص مات بالسبع " (2)

(1) الطبري ، ابن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ط 1960 ، ج 1 ، ص 428 . انظر في ذلك أيضا : -

- ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت سنة 1965 ، ج 1 ص 102 .
- ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط سنة 1957 ، ج 1 ، ص 47 .
(2) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، تحقيق فريد الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط د . ج 1 ، ص 347 .

ويثبت البكري ما قاله ياقوت الحموي عن بئر السبع ويضيف عليه
" السبع على لفظ الواحد من السباع ، وهي قرية عمرو بن العاص بالشام وبها
بعض أهله " (1)

تسلط هذا النصوص التاريخية أضواء على بئر السبع ، تمكنا من
استنباط : وصول سيدنا إبراهيم الخليل ، إليها ، وهذه دلالة كبيرة على قدم هذه
البلاد التي كانت مأهولة بالسكان . وإذا كان الخليل قد اتخذها ممرا ، فان ابن
العاص قد اتخذها مقرا له .. وهذه دلالة أخرى ، تشي بعمران تلك البلاد في فترة
الفتوح الإسلامية ، " ولولا ذلك لما اتخذها عمرو بن العاص ، وهو من اكبر قادة
المسلمين مقرا له ، عندما اعتزل العمل في مصر ، ولما ولي عبدا لله عليها عندما
كان حاكما في مصر وعلى رواية انه مات فيها " (2)

احتل الأتراك هذه البلاد سنة 1519 م . ولكنهم لم يحكموها حكما فعليا إلا
عام 1900 إذ أنهم كانوا يديرونها بوساطة حكامهم في غزة والقدس ، وعندما
اشتدت وطأة الحرب الأهلية بين القبائل ، ولا سيما حرب الترابين مع العزازمة *
فكر الأتراك في تأسيس قضاء منفصل للعربان وكان لهم وراء ذلك غايات أخرى
،منها الاستفادة من الضرائب ، التي كانت تذهب هدرا ، ومنها وهي الأهم أنهم
أرادوا أن يثبتوا وجودهم بالقرب من التخوم المصرية ، في مواجهة النفوذ
البريطاني المتزايد ، والمتمركز في مصر . فأسسوا قضاء بئر السبع ، واتخذوا
له مركزا

(1) البكري ، ابو عبيد ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ، تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ،
بيروت ، ط 3 ، سنة 1983 ، ص 717 - 718 .

(2) العارف ، عارف ، تاريخ بئر السبع ، مرجع سابق ، ص 30 .

* أنظر في ذلك : -

الأغا ، نبيل خالد ، مدائن فلسطين ، دراسات ومشاهدات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،
ط 1 ، سنة 1993 ، ص 395 وما بعدها .

كذلك : العارف ، عارف ، تاريخ بئر السبع ، ص 31 .

موقع بئر السبع الحالي وكان ذلك عام 1900 م * .

" وفي بداية الحرب العالمية الأولى عام 1914 م ، اتخذ العثمانيون من بئر السبع قاعدة رئيسية لانطلاقات جيوشهم المناوئة للإنجليز في مصر فعدوا الطرق البرية الى الخليل وغزة وسيناء ، وأضافوا لها كثيرا من الأبنية وأنشأوا المخازن في محطة السكة الحديدية التي جعلوها تمر من السبع والعوجا حيث تجتاز الحدود المصرية من هذه الجهة ، ورفع من الجهة الأخرى " (1)

ومن الجدير بالذكر ، أن عرب السبع ، وعرب الحويطات ، قد شاركوا في الثورة العربية الكبرى ، وكان لهم دور أساسي في طرد الأتراك من البلاد ، " فعلى اثر انطلاقة الثورة العربية الكبرى ، انضم عرب السبع ، وعرب الحويطات الى منشور جيش الأمير فيصل تلبية لنداء نشور الشريف حسين الداعي لطرد الترك من البلاد " (2) . وفي ذلك يقول الشاعر الشعبي براك أبو تايه :

وهل الجنوب استقبلوا بالإقبال واستقبلوا فيصل وحيوا إقباله
استقبله بالوجه ماضين الأفعال " عودة أبو تايه " وصفه ارجاله
على النظا والخيل حلوات الأشكال وإلي عليهن ما يهابوا نظاله
ثم بايعوا فيصل في وقت الأهوال من اجل الثورة كل وده كتاله (3)
وفي عام 1917 م ، دارت معركة حاسمة بين القوات التركية في بئر السبع ، والقوات

الإنجليزية ، ما لبث البريطانيون على إثرها أن احتلوا المدينة ، وكانت أول مدينة

* كثيرا ما كانت تحدث منازعات بين القبائل ، وتكمن أسبابها الرئيسية في السيطرة على الكلاً والماء ، ويسمى البدو هذه المنازعات " الكونات " ، ومنها كونه " التياها والترايين سنة 1877 .
انظر في ذلك : -

شولش ، الكزاندر ، تحولات جنرية في فلسطين سنة 1856 - 1882 ، تعريب د . كامل العسلي ، دار الهدى ، عمان ، ط 1 ، سنة 1988 ، ص 277 .

(1) الأغا ، نبيل ، مدائن فلسطين ، مرجع سابق ، ص 395 .

(2) جبارة ، تيسير ، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، جامعة الخليل ، ط 2 ، سنة 1986 ، ص 44 .

(3) وهل : أهل ، بالإقبال : بمقدمهم ، بالوجه : وجهها لوجهه ، ماضين الأفعال : فرسان ، عودة ابوتايه : احد قادة الحويطات ، في ثورة 1916 ، النظا : الإبل ، كتاله : قتالة . وهذا ما سمعه الباحث في البيئة الجنوبية الأردنية .

يحتلونها في فلسطين " (1) . وتقع منطقة النقب تحت الانتداب الإنجليزي ، بكل اضطهاد واستغلاله لمقدرات الشعوب وخيراتهم للشعوب ، وفتح الباب أمام الصهيونية العالمية كي على البلاد وتفترسها ، حالما ينفذ الانتداب يده منها . وهذا ما حصل عام 1948 م ، عندما أعلنت بريطانيا عزمها على الانسحاب من فلسطين ، تتأدى الاهلون وشكلوا لجنة للدفاع عن الأرض ضد الاغتصاب الصهيوني لها ، وعززت هذه اللجنة بمئة جندي من الجيش المصري إضافة الى أعداد من المجاهدين المتطوعين العرب .. "وفي الثامن عشر من تشرين أول 1948 م دكت الطائرات الإسرائيلية المدينة بعشرين قنبلة ، واستمر القصف خمسة أيام متوالية ، ومما ساعد في ازدياد الخسائر المادية والبشرية ، عدم وجود ملاجئ ، وعدم توافر مدافع مضادة تتصدى للطائرات المغيرة . وهاجم المدينة خمسة آلاف مقاتل يهودي تدعمهم الطائرات والمدافع الثقيلة والدبابات . واستبسل المقاتلون العرب ، إلا انه في النهاية لم يجدوا مندوحة من الاستسلام " (2) علاوة على بئر السبع - عاصمة النقب - فهناك كثير من المدن والمواقع الأثرية والخراب ، التي تدل دلالة واضحة على الدور الذي قامت به هذه البلاد في الماضي . ومن هذه الحرب (3) :

الخلاصة :

خربة تقع في أراضي العزازمة ، على بعد عشرين كيلومترا جنوب بئر السبع ، وهي مدينة رومانية يرجع عهدها إلى القرن الثاني قبل الميلاد ، وقد عثر فيها على رسوم نبطية ، تشير الى استحكام الصلات التجارية بين الخلاصة والبتراء . وعثر فيها أيضا على كتابة باللغة النبطية ، ولكن بالأحرف الآرامية خوطب بها الملك " أريطاس " الذي لا بد وأن يكون أحد ملوك الأنباط في ذلك الحين . ومن هنا يمكن

(1) شراب ، محمد ، معجم بلدان فلسطين ، دار المأمون للتراث ، بيروت ، ط 1 سنة 1987 ، ص 210 .

(2) انظر في ذلك : -

الآغا ، نبيل خالد ، م. داتن فلسطين ، مرجع ، ص 402 .

(3) هذه المعلومات مستقاة من : - عارف ، العارف ، تاريخ بئر السبع ، مرجع سابق ، ص 47 وما بعدها .

الاستنتاج أن الخلصة أنشئت من قبل الأنباط لا من قبل الرومان . وعمرها الرومان ، واعتبرت من أقدم المدن الرومانية في الجنوب . وكان لها أهمية تجارية على طريق القدس - سيناء عام 530 م . وعلى الطريق التي تربط العقبة بموانئ المتوسط . استولى عليها المسلمون أثناء الفتوحات الأولى ، أثناء فتحهم مصر .

رحيبة :

تقع في أراضي المصباحين ، وعلى بعد عشرين كيلومتراً جنوب بئر السبع . كانت ذات أهمية على طريق مصر ، وهي على الطريق التجاري نفسه ، التي عليه الخلصة ، بين الهند وجزيرة العرب . وبين سوريا الشمالية وبلاد اليونان . أما سكانها فكانوا تجارا ومزارعين في الوقت نفسه . فيها بئر مشهورة . وهناك من يقول أن رحيبة هي " رحفوت " التي حفر فيها اسحق بئرا . وبالقرب من رحيبة يقع تل يقال له (تل قصر الرحيبة) .

السعدي :

للغرب من خلصة على بعد ثلاثين كيلومتراً منها ، وهي موقع روماني محاطة بالأراضي الزراعية الخصبة . وتعتبر السعدي ملكا للعزازمة .

سبيطة :

خربة واقعة في أراضي المصباحين ، والعزازمة ، على بعد 45 كلم جنوب بئر السبع ، وهي خربة رومانية . وتشير الآثار التي اكتشفت بها ، انه لم يكن بها ينابيع ماء ، وإنما فيها صهاريج يسميها البدو " هراب " وفيها أحواض كبيرة . وتشير أيضا لوجود ثلاث كنائس قديمة ، مما يدل على أنها كانت مركزا دينيا .

عبدة :

تقع في أراضي " الجنايبب " جنوب بئر السبع ، ومنازلها منحوتة في الصخر ، على غرار البتراء ، ولم تدل آثارها على أنها عملت بالزراعة . فيها رأيان : -

رأي يقول أن بناتها هم الأنباط ، أهل البتراء ، ويرجح هذا الرأي وجود معبد نبطي فيها ، وطريقة النحت التي هي عليها . وآخر ينسبها لعهد أقدم منهم . ويقال أن التسمية (عبدة) تأتت من أحد أقرباء سيدنا إبراهيم عليه السلام ، وللموقع أهمية تجارية على طريق البتراء ، استغلها الرومان في إنشاء حصون وتكنات للجنود .

عسلوج :

تبعد 34 كلم جنوب بئر السبع ، وهي ملك لعرب العصيات والفراحين . بناها الفلسطينيون ، وحرقتها العمالقة بغزواتهم لها . فيها ثلاث أبار عذبة المياه ، ومئذنة من بقايا الأتراك . كانت معسكرا للجنود البريطانيين مدة الحرب العالمية الثانية . واتخذتها الحكومة الفلسطينية (حكومة عموم فلسطين) مستودعا مهما لجمع المؤونة والأرزاق ومعدات الكفاح عندما طغى الجراد بسيله على هذه البلاد في ثلاثينيات القرن الماضي .

مشاش الملح :

خربة رومانية الى الجنوب من بئر السبع ، فيها حفائر ماء وقلعة قديمة مهدمة .

الوطن :

خربة رومانية ، تقع في أراضي " قديرات أبي كف " ، وهي ذات ارض خصبة ، وفيها صهاريج ماء كثيرة .

العوجا : (عوجة الحفير) :

من أراضي العزازمة ، تقع جنوب بئر السبع ، وتبعد عنها مسافة 77 كلم وهي على الحدود المصرية الفلسطينية ، إذ يفصلها عن مصر جبل " أم طيران " ، وأم الحواويط . وقد دلت آثارها على رومانياتها ، وأهميتها التجارية ، ومركزها الديني ، ففيها قلاع حصينة ، وآثار كنائس .

كرنب :

تقع ضمن أراضي القديرات والظلام ، الى الشرق من بئر السبع ، وعلى بعد 44 كلم عنها ، ويشي الموقع بأهميتها التجارية ، والحربية ، والدينية . فهي تقع على طريق التجارة بين القدس والبتراء ، وبين الخليل والعقبة . وتتبع أهميتها الحربية ، من وجود الآثار الرومانية فيها ، والتي تتمثل في القلاع والحصون ، علاوة على وجود كنيستين رومانييتين فيها . إضافة لهذه المواقع فان هناك مجموعة من التلال مثل :

تل الجمانة :

يقع في أراضي الترابين ، ويبعد عن بئر السبع 35 كلم من جهة الشمال الغربي ، وبالقرب من هذا التل ، وعلى بعد بضعة أميال منه توجد خربة رومانية يسميها البدو (أم جرار) .

تل الفارعة :

في أراضي الترابين ، ويبعد 30 كلم الى الغرب من بئر السبع . وحوله أراض يعتقد أنها الأخصب في النقب .

تل الملح :

في أراضي الظلام ، ويبعد 25 كلم شرق بئر السبع ، وهو عبارة عن مجموعة خرائب وآثار .

وإضافة لهذه المواقع * ، والتلال ، فإن في النقب مجموعة من الخرب مثل : أبو تلول وأم بطين ، وأم دبكل ، وأم دمنة ، وأم رجل ، وأم الرجوم وغيرها . كما يتضمن مجموعة من الآبار مثل : " أبو الحمام " ، " وبيرين " ، وخلصه ، وعسلوج ، وغيرهما .

* انظر في ذلك العارف ، عارف ، تاريخ بئر السبع ، مرجع سابق ، ص 45 ، وما بعدها .

وان دلت هذه الآثار والمواقع على شيء ، فإنها تدل على أهمية النقب وموقعه قديما وحديثا ، فهو طريق تجاري (لا سيما في العصور القديمة والوسيطة) بين آسيا وأفريقيا وهو طريق الحج أيضا .

علاوة على ذلك فان للنقب أهمية استراتيجية حربية ، فهو بوابة مصر ، وظهر هذا الدور جليا في الحرب الكونية الأولى ، على اثر تعزيز الدولة العثمانية مواقعها فيه .. لمجابهة النفوذ الإنجليزي .

بقي أن نقول أن للنقب أهمية دينية ، فهو المركز الأول لرسالة التوحيد الإبراهيمية كما ذكرنا من مرور سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام ، أو استقراره فيه . إضافة للآثار الكنسية البيزنطية في النقب ، فان هناك المساجد التي بناها المسلمون في أثناء فتوحهم مصر واستقرار ابن العاص ، وابنه عبدالله فيه .

وادي عربة والبادية الجنوبية الأردنية

تشكل وادي عربة مع الأخدود الأفريقي العظيم ، الذي حدث في الزمن الجيولوجي الثالث ، ويمتد من جنوب البحر الميت حتى خليج العقبة ، وبهذا يكون وادي عربة طريقاً طبيعياً بين البحرين : الميت والأحمر (1) . وقد لعبت المنطقة دوراً تجارياً هاماً في نقل البضائع من الجزيرة العربية إلى أفريقيا عبر النقب * إلا أن أهم العقبات التي تحول دون استخدامه حالياً ، حرارته الشديدة ، واتساع المواصلات التجارية البديلة وسرعتها في العالم برا وبحرا وجوا ، فأضحى وادي عربة أقل الأماكن ارتياداً في الشرق العربي ، ومما زاد في سوء حظه سلب اليهود قسمه الفلسطيني (2) . ولا تزال بقايا الحصون التي كانت تخصص للمحافظة على طرق التجارة تشهد بأهمية التي كانت لها أيام الإمبراطوريتين الرومانية والبيزنطية ، وأقام هذه الحصون العرب الأنباط (ساكنو البتراء) لتكون محطات تجارية ومخافر حصينة لحراسة القوافل التجارية في وادي عربة وبرية الخليل والنقب أيضاً (3)

ولا تكاد البادية الجنوبية وودادي عربة ، تختلفان جغرافياً عن توأهما

(1) أنظر : الهيثي ، صبري فارس ، جغرافية الوطن العربي ، دار الصفا للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، سنة 1999 ، ص 23 .

كذلك : حسن ، محمد إبراهيم ، جغرافية الوطن العربي ، مركز الإسكندرية للكتاب ، الإسكندرية ، ط 1998 ، ص 123 .

* كثيرون من كبار السن (ممن هم في الثمانين وما فوق) استخدموا طريق الربط التجاري بين آسيا وأفريقيا ، ابتداء بالبادية الأردنية الجنوبية ، ومروراً بالنقب ، وانتهاء بمصر . ومن ذلك ما رواه الشيخ صالح أبو عمشة للباحث ، وما رواه الحاج مطر عبدالسلام العسيلي للباحث نمر سرحان " كنا نتجر بالغنم والجمال ، نشترها من معان ، ونقطع بها وادي عربة ، ومعنا دالول من بدو فلسطين ، يودعنا الدالول في بئر السبع . ومن هناك إما نتجه شمالاً للد والرملة ويافا ، أو جنوباً : لخان يونس ، فغزة فالسويس " . انظر في ذلك سرحان ، نمر ، الفنون الشعبية ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، عدد 10 ، سنة 1976 ، ص 10

(2) الدباغ ، بلاندا فلسطين : مرجع سابق ، ص 116 .

(3) المرجع السابق نفسه ، ص 117 .

النقب ، فالهضاب الرملية تغطي سطح الصحراء ، ولا ينبت فيهما إلا ما يلائم الجو الصحراوي " ويغلب على صخور هذه الصحراء الحجر الرملي الذي يشكل مجموعة من الكلويسات الممتدة ، قطعها الأودية مشكلة جروفا عميقة وصل ارتفاع بعضها الى أكثر من 1300 متر فوق مستوى سطح البحر ، مثل جرف " سمر الفيا " (على بعد 100 كلم تقريبا شمال شرق المدورة) ، وتكثر هنا المناظر المورفولوجية المتباينة على شكل تلال منتظمة أو مسننة ، ومسلات صخرية ، وكتل ارتكازية أشبه بابي الهول أو المعابد الصينية والقناطر الطبيعية . ويقترن تنوع هذه الأشكال بتعدد ألوان الصخور الرملية التي تتراوح بين الأبيض والأسود ، مما يعطيها أهمية سياحية .

ويقع إلى الجنوب الغربي من منخفض الجفر رأس النقب الذي يبعد نحو 40 كلم جنوب غرب معان ، ويصل ارتفاعه نحو 1700 متر فوق مستوى سطح البحر ، وتظهر الصخور الحقيقية لتشكل جبالا في المنطقة الواقعة غرب الطريق الممتد من القطرانة وحتى العقبة على جانبي وادي اليم " (1) .

" يبلغ عرض وادي عربة من نقطة أم " الرشاش " بالضفة اليمنى إلى مدينة العقبة نحو خمسة كيلومترات . وهو الآن الحد الفاصل بين فلسطين غربا ، وشرق الأردن شرقا ، ويمتد من البحر الميت إلى راس خليج العقبة مسافة 185 كلم ويعترض في وسطه جبل الريشة ، فيقسمه إلى قسمين :

أحدهما : ينحدر شمالا إلى البحر الميت ، ويزداد انحداره كلما اقترب منه ، ويبلغ انخفاضه عند البحر المذكور نحو 1290 قدما عن

مستوى البحر ويسمى بالغور .

أما القسم الجنوبي : الذي يتصل بخليج العقبة فيعرف عند سفح جبل

الريشة (بالقاع) وهو صالح للزراعة ، ويسكنه

عرب السعديين والحيواث " (2)

1 - الموسوعة الأردنية ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، الجزء الأول ، ط1 ، سنة 1989 .

2 - الجوهري ، رفعت ، سيناء ارض القمر ، ط . د . ت . ص 94 .

وقد لعبت البادية الأردنية - وما زالت - أدواراً حضارية ناصعة سواء على مستوى طرق القوافل بين الشام والحجاز ، أو باعتبارها بوابة من بوابات الحجاز للحجيج ، أو خطوط دفاع عن منطقة شبه الجزيرة العربية (1)

ان المواقع البدوية الجنوبية ، والمدن الأردنية تدل على هذه الأدوار التي لعبتها البادية الجنوبية ، " فما زالت عاصمة الأنباط شامخة في وادي موسى تلعب دورا سياحيا هاما ، كما لعبت دورا تجاريا من قبل ، وهي مدينة أثرية حصينة نحتها الأنباط في الصخر " (2)

ولعل مدينة العقبة - ميناء الأردن الوحيد - الواقعة على أنقاض مدينة ايلة الادومية شاهد آخر على عراقة تاريخ البادية الأردنية . ذكرها ياقوت بقوله " ايلة مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلي الشام ، وقيل هي آخر الحجاز وأول الشام ، وهي مدينة لليهود الذين حرم الله عليهم صيد السمك في السبت . ولما لم ينصاعوا لأمر الله ، مسخهم قردة وخنازير واماتهم بعد ثلاث . وتتسب المدينة ليلية * بنت مدين بن إبراهيم عليه السلام " (3) . في القرن العاشر قبل الميلاد اتخذها الملك سليمان بن داود ميناء له ، كذلك فعل الأنباط وفي الحروب الصليبية جهز " أرناط " سفنا نقلها مفككة من عسقلان على ظهور الجمال إليها ، حيث جعل من تلك السفن اسطولا أعده للاستيلاء على مكة والمدينة " (4) واعتبرت العقبة مخزنا كبيرا للتموين في الثورة العربية الكبرى ، ومركزا مهما من مراكز انطلاقها . ولأهميتها تلك فقد ضمت بمعية معان لإمارة شرق الأردن عام 1920 بعد أن كانت تابعة

1 - زكي ، عبدالرحمن ، سيناء ارض المعارك ، دار النيل للطباعة ط 1957 ، ص 30 .

(2) الجوهري ، رفعت ، سيناء ارض القمر ، مرجع سابق ، ص 84 .

* يعود الدباغ بلفظة (ايلية) إلى اصل سرياني ، حيث تعني شجرة البلوط ، وهكذا ورد اسم العقبة ، في العهد القديم ، ولعل بيئة العقبة صالحة لنمو شجرة البلوط تربة ، ومناخا .. انظر في ذلك :-

أبو الفتح ، حسين علي ، البيئة الصحراوية العربية ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، سنة 1997 ، ص 89 .

(3) الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 347 .

(4) الدباغ ، بلاندا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 117 .

للحجاز " (1) . " وتعتبر العقبة اليوم مفتاح الأردن والسعودية وفلسطين الجنوبية ،
ومما يزيد في خطورتها الاستراتيجية وجود " ايلات " في موقع أم " الرشراش "
اليهودية المواجهة لها " (2)

" ولا تقل مدينة الكرك أهمية عن العقبة والبتراء ، وما زالت قلعتها شاهدا يحكي
قصة الصراع الإمبريالي العاتي ضد الحق العربي ، في عصر الصليبيين " (3)
والى الشرق من وادي عربية مدينة معان " ومعان تعني المنزل ، وقد ذكرها
عبدالله بن رواحة في شعره :

جلبنا الخيل من أجأ وفرع نفر من الحشيش لها العكوم
أقامت ليلتين على معان فأعقب بعد فترتها جموم " (4)

" وتعد معان مركزا تجاريا هاما ، قديما وحديثا ، واستراحة لحجاج بيت الله
الحرام ، وفي العهد العثماني ألحقت العقبة ومعان بالحجاز لتكونا خط دفاع أول عن
القطر المقدس لدى المسلمين، ولكنه أعيد ضمهما لإمارة شرق الأردن - كما ذكرنا -
عام 1920 . وتبوأ معان مركزا مرموقا في أثناء الحرب العالمية الأولى " (5) .
هذا غيظ من فيض ، " فهناك الحميمة * " مركز الحركة السرية العباسية ،
وهناك موقع الشهادة مؤنة ، وهناك جبل التحكيم في مشاكل الخلافة بين علي " كرم
الله وجهه " ومعاوية رضي الله عنه ، وهناك أول صدام بين الروم والعرب المسلمين
عام 13 هـ في وادي عربية ، وانتصر فيه " يزيد بن أبي سفيان ، أحد قادة الجيوش
العربية التي أرسلت لفتح الشام " (1) .

(1) النمر ، إحسان ، من السويس إلى العقبة عبر سيناء ، مطبعة نابلس ، ط.د.ت ، ص 50 وما بعدها .

(2) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 119 .

(3) موسوعة المدن العربية ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط 1 ، سنة 1993 ، ص 14 .

(4) موسوعة المدن العربية ، مرجع سابق ، ص 10 .

(5) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 117 .

* الحميمة : الحجارة اللاصقة بالأرض .

(6) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 119 .

شبه جزيرة سيناء

تقع شبه جزيرة سيناء بين البحر الأبيض المتوسط شمالا ، والبحر الأحمر جنوبا .. وبين شرق الأردن وخليج العقبة والنقب شرقا ، وخليج السويس ، ومصر غربا " (1)

إنّ هذا الموقع يؤهل شبه الجزيرة لادوار حضارية مميزة ، " فيجعلها بقعة اتصال بين الجنوب الغربي لقارة آسيا ، والشمال الشرقي لقارة أفريقيا ، ويجعلها بالتالي جسرا كبيرا بين آسيا وأفريقيا ، وهي مفتاح مصر وبوابتها ، ودرعها من الناحية الشرقية ، وحلقة اتصال بينها وبين الهلال الخصيب" (2).

ويستدل من الآثار التي وجدت في المنطقة ، أن لفظة " سيناء " مشتق من "سين" الآشورية أي القمر ، حيث ادخل (لرام سين) الآشوري عبادة القمر للمنطقة عندما فتحها " (3) .

تبلغ مساحة سيناء 25 ألف كيلومترا مربعا ، وهو ما يقرب من مساحة فلسطين وهي ذات شكل مثلث ، تطل قاعدته شمالا على البحر الأبيض المتوسط بطول 208 كلم ، وضلعا على خليج السويس ، وخليج العقبة ، بطول : 240 كلم ، و160 كلم على التوالي . وتتألف سيناء من سلاسل جبلية جرانيتية شاهقة في قسمها الجنوبي ، بينما تتخلل سلاسل الجبال الصخرية ذات المناظر الخلابة والألوان المتعددة الجذابة قسمها الشرقي " (4) .

(1) أطلس الوطن العربي والعالم ، مرجع سابق ، ص 66 .

(2) زكي ، عبدالرحمن ، سيناء ارض المعارك ، دار النيل للطباعة ، ط سنة 1957 ، ص 1 .

(3) حافظ ، أبو الحجاج ، سيناء ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، طبع ونشر الانجلومصرية ، القاهرة ، ط . د . ت ، ص 29 .

(4) الجوهري ، رفعت ، سيناء ارض القمر مرجع سابق ، ص 11 .

ويمكن قسمتها تبعاً لطبيعة الأرض إلى ثلاثة أقسام : -

- 1 بلاد الطور : في الجنوب ، بين شطري البحر الأحمر ، وتتألف من سلاسل جبلية وعرة المسالك ، وتبلغ مساحتها نحو 10000 كلم² .
- 2 . بلاد التيه : سهل عظيم مقفر تتخلله بعض الجبال ، تبلغ مساحته 10000 كلم² وفيه تاه بنو إسرائيل أربعين سنة .
- 3 . بلاد العريش : في الشمال ، وهي عبارة عن سهول رملية متسعة تقدر مساحتها بنحو 5000 كلم² (1) .

وقد اشتهرت سيناء بقدسيّتها * (2) ، ففيها كلم الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام ، وانزل عليه الرسالة قال تعالى مخاطباً موسى عليه السلام : " انك بالواد المقدس طوى " (3) وكان هذا في سيناء في منطقة الطور . وفي سيناء نزلت التوراة على موسى الكليم في البقعة المسماة بالتية . وفي التيه تاه بنو إسرائيل أربعين سنة .

" و مر المسيح عليه السلام في سيناء عندما خرجت به أمه العذراء من فلسطين

(1) الجوهري ، رفعت ، سيناء ارض القمر ، مرجع سابق ، ص 12 .

* وكثيرة هي المعالم الأثرية والدينية في سيناء فإلى الشرق من دير القديسة كاترين يشاهد الزائر قمة جبل موسى وعند القمة جامعاً وكنيسة . وهناك الطور : نسبة إلى طور سيناء ، موقع يبعد عن مدينة السويس 125 ميلاً ، لها ثغر بطل على خليج السويس بها دير لرهبان القديسة كاترين . وهناك : - نخلة : عاصمة سيناء ، قبل الحرب العالمية الأولى ، بها قلعة أثرية قديمة بنيت في عهد قانصوه الغوري 1516 م . قانص : إحدى البلاد التي مر بها سيدنا موسى بعد التيه في طريقه إلى فلسطين ، وأقام بها قبل سيره إلى فلسطين ، فيها عيون وآبار (القديرات ، القسيمة ، قديش) وقد عسكر بنو إسرائيل بجوار عين القديرات . الفرما : أهم مدن حدود مصر الشرقية خلال العصور القديمة والوسطى ، على بعد 23 ميلاً جنوب شرق بور سعيد . أوستراكينا : تقع على بعد 24 ميلاً غرب العريش .

قطية : تقع على بعد نحو 26 ميلاً من القنطرة في طريق العريش .

(2) الجوهري / المرجع نفسه

(3) ط : 12 .

قاصدة مصر " (1) ، وإليها لجأ النصارى الأولون هرباً من اضطهاد الوثنيين ، حيث بنوا دير القديسة كاترين * الذي مازال شاهداً على قدسية المكان على سفح جبل الطور " (2)

وقد ورد ذكر سيناء في القرآن الكريم ، فذكرت في سورة القصص مدين ، ومدين هي سيناء . " ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تنودان قال ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يُصدرَ الرعاء " (3) ، وفي سورة الأعراف وردت قصة مواعدة موسى ربه في سيناء " وواعدنا موسى ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة " (4) . وذكرت عيون موسى " وأوحينا إلى موسى إذ استسقاء قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم " (5)

وفضلاً عن هذه القدسية لسيناء ، فلها أيضاً مكانة استراتيجية مميزة في الحرب والسلام . "تقدّماً كانت سيناء ميداناً للجيش الزاحفة إلى مصر ، أو الخارجة منها " (6)

وفي العصر الحديث ، " كانت سيناء محور تحرك القوات البريطانية بين مصر وفلسطين دائماً ، وركزت عليها إسرائيل في كل عدواناتها التي كان آخرها احتلال شبه الجزيرة عام 1967 م ، وقد كانت الجيوش الغازية تستخدم "تقارب " سيناء المتعددة ، التي تؤدي إلى قلب الدلتا في مصر ، أو إلى قلب هضبة فلسطين في الجهة الأخرى (7) .

(1) الجوهرى ، رفعت ، سيناء ارض القمر ، مرجع سابق ، ص 24 .

* نسب هذا الدير إلى القديسة كاترين ، لأنها دفنت فيه بعد أن استشهدت على أيدي الوثنيين .

(2) النمر ، إحسان ، من السويس إلى العقبة ، مرجع سابق ، ص 32 .

(3) القصص : 23 .

(4) الأعراف : 142 .

(5) الأعراف : 160 .

(6) النمر ، إحسان ، من السويس إلى العقبة ، مرجع سابق ، ص 33 .

(7) حمدان ، جمال ، سيناء في الاستراتيجية والسياسية والجغرافيا ، مكتبة مدبولي ، مطبعة أطلس ،

القاهرة ، ط 1 ، 1993 ، ص 15 .

وفي السلم استخدمت هذه " النقاب " " دروبا للحج ، مثل درب السويس - العقبة من راس خليج السويس ، ويسير المسافر قاطعا هضبة التيه إلى العقبة . وكذلك هذه النقاب ممرا للقوافل التجارية أيضا ، تلك القوافل المحملة بالسّمك والملح والجلود والزيت وغيرها ، آتية من بلاد ما بين النهرين ، والخليج العربي ، تقطع الصحراء إلى شرق الأردن ، ومن ثم إلى مصر عبر سيناء " (1)

ومن الجدير بالذكر أن سيناء غنية بمعادنها وثرواتها الطبيعية فقد اكتشف فيها النحاس ، والمنغنيز ، والنيكل ، والذهب ، والبتروول ، وفيها مياه كبريتية أيضا " (2)

(1) حافظ ، أبو الحجاج ، سيناء ، مرجع سابق ، ص 34 .
(2) النمر ، إحسان ، من السويس إلى العقبة ، مرجع سابق ، ص 33 .

مأساة المنطقة

لم تخف الصهيونية العالمية - منذ نشوئها - أطماعها في النقب وسيناء ومنطقة البادية الأردنية الجنوبية . لقد تنبّهت الصهيونية إلى أهمية المنطقة مبكراً ، فقامت بأعمال السلب ، والاحتلال لأجزاء منها ، رافق هذا الاحتلال طرد السكان المحليين وتهجيرهم عبر أشكال متعددة . " فبعد سقوط بئر السبع يوم 21 تشرين أول 1948 م ، افتتحت الصفحة الأولى في سجل مأساة عرب النقب ، فلم تكف السلطات العسكرية الصهيونية يومئذ باغتصاب أراضي البدو الذين غادروا فلسطين بعد نكبتها ، بل صادرت أراضي العرب الذين لم يغادروا فلسطين أيضاً ، فمع احتلال الصهاينة صحراء النقب ، طرد الكثيرون من أراضيهم ومساكنهم ضمن خطة صهيونية تم تنفيذها في أوائل الخمسينيات ، أسفرت عن تهجير قسري لنحو ستين ألف بدوي ، والذين بقوا تم تجميعهم في مكان واحد أسموه " محمية البدو " ، وحين أجري أول إحصاء سكاني رسمي عام 1953 م تبين أنه لم يبق من عرب النقب سوى ثلاث عشرة ألف نسمة (1)

ولتوضيح هذا التغير الديموغرافي الطاريء ، وسياسة الاقتلاع من الأرض ، يقول الدباغ : " عندما قام الصهاينة باحتلال النقب عام 1948 م لم يكن به يهودي واحد ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ قط ، وبهذا يقول " جون جلوب " احد رجالات الإنجليز في عهد الانتداب أن أفضع ظلامه في مشروع الأمم المتحدة هو أن النقب الذي يمتد من بئر السبع إلى العقبة مسافة مائتي ميل ، أعطي لليهود في حين انه لم يكن يهودي قط ، ولم يقطنه اليهود عبر التاريخ قط " (2) . ولمزيد من توضيح سياسة التهجير والتهود الصهيونية في النقب الذي كان خالياً من اليهود عام 1948 م ، " وحسب إحصائية عام 1985 م السكانية : -

(1) العارف ، عارف ، نكبة فلسطين والفردوس المفقود ، إصدار دار الهدى ، القاهرة ، ط.د.ت، ج2 ، ص 403 .

(2) الدباغ ، بلانكا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 122 .

" بلغ العدد الإجمالي للفلسطينيين في النقب 44400 نسمة ، أي نحو ثلثي العدد الذي كانوا عليه في عام 1948 م وهو 65000 مواطن عربي . وفي المقابل نجد 213000 يهودي يستوطنون النقب .. " (1)

ولم يكن هذا السرطان الاستيطاني ليمر دون نضال أهل النقب ، دفاعا عن أراضيهم وممتلكاتهم " فقد تأسست جمعية البدو في الثلاثينيات من القرن الماضي ، وأخذت على عاتقها ، القيام بجميع أشكال النضال المشروعة ، فهاجمت المستوطنات الصهيونية وعارضت بيع الأراضي وانتقالها لليهود ، علاوة على قيامها بحملات توعية وتنقيف للاهلين .

ولم تكف الصهيونية بتشريد أكثر من أرباع سكان النقب ، وبتفريغ مدينة بئر السبع تماما من سكانها العرب ، بل قامت أيضا " بجمع ما تبقى من السكان في منطقة واحدة سميت " بالمنطقة المغلقة " وتقدر مساحة هذه المنطقة بـ 10% من مجموع الأراضي التي كانت بحوزة العرب عام 1948 م " (2) . ومذ ذلك الوقت تحول هؤلاء البدو من رعاة ومزارعين إلى أناس يعتمدون في حياتهم اعتمادا كلياً على الاقتصاد الإسرائيلي ، وفي هذه الأثناء فقد البدو كل حق لهم في تملك أي ارض في النقب " (3) . وإحكام سيطرتها على البلاد والعباد ، " فقد سيرت السلطات الصهيونية ما تسميه " بالدوريات الخضراء " التي أعلن عن إنشائها عام 1976 م ، تحت ذريعة حماية الطبيعة ، ولم تكن هذه الذريعة سوى كلمة حق أريد بها باطل ، إذ لاحقت هذه الدوريات المسلحة البدو ، ومنعت مواشيهم من الرعي إلا في مناطق محددة يستأجرونها من السلطات ، وقامت - وما زالت - تقوم بإجبارهم في التجمع في منطقة واحدة محددة ، وذلك ليسهل على السلطات بسط يدها على الأراضي ، وتنفيذ مشاريعها الاستيطانية فيها " (4)

(1) الآغا ، خالد نبيل ، مدائن فلسطين ، مرجع سابق ، ص 404 .

(2) فلاح ، غازي ، الفلسطينيون المنسيون ، مرجع سابق ، ص 105 .

(3) الآغا ، خالد نبيل ، مدائن فلسطين ، مرجع سابق ، ص 404 .

(4) أبو سمور ، حسن ، قصة مدينة بئر السبع ، المنظمة العربية للثقافة والفنون ، دائرة الثقافة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ط 1 د. ت ، ص 65 .

وفي مساعيهم المحمومة لتغيير الديموغرافية السكانية ، وتهويد الأرض ، "ادعى المختصون بأنهم أعادوا تأسيس بئر السبع في نيسان 1949 م ودعواها باسم (Beyer Sheva) وفي عام 1955 م ذكروا أن في هذه البلدة 16300 يهودي " (1) . وهذا الشكل من التهويد جرى للكثير من المواقع العربية . ولعل أهمها كان في إنشاء مدينة ايلات على أنقاض قرية " أم الرشراش " على شاطئ خليج العقبة ، وكذلك إقامة مستعمرة ديمونة على أنقاض قرية " أم دومانة " العربية ، وإنشاء مفاعل نووي صهيوني فيها عام 1949 م " (2) .

" ولما كان نقص الماء أكبر مشكلة تواجه تحقيق الخطط الصهيونية في النقب ، فقد قامت بإنجاز المشروع القطري ، الذي انتهى العمل به عام 1964 م ، وتم نقل الماء في أنبوب بقطر 106 إنشات وبطول 130 كلم ، وكانت السلطات الصهيونية قد أوصلت هذا المشروع بمشروع " اليركون " الذي أنشئ عام 1955 م ، واستهدف إحضار مياه نهر العوجا إلى بئر السبع والمستعمرات المجاورة والتي بلغت 97 مستعمرة " (3) .

هذا غيض من فيض ، مما يعانيه أهل النقب ، نتيجة سياسات العدو التي يمارسها وبشكل يومي على أراضيهم . ولا تقل مناطق الجنوب الأخرى معاناة عنه ، فقد قام الصهاينة باحتلال سيناء في الغزو الثلاثي عام 1956 م ، وأخرجوا منها تحت ضغط الرأي العام العالمي آنذاك ، وتم احتلالها مرة أخرى عام 1967 م ، ودنسوا الأرض المقدسة باستيطانهم القذر ، وأخرجوا منها اثر معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية عام 1979 م .

" وقاموا باغتصاب وادي عربة عام 1948 م ، وهم يحولون على ربه (بمياه الأردن) ويستثمرون خيراته المعدنية من حديد ومنغنيز ، إضافة لذلك ، فإن وصول الصهاينة إلى وادي عربة ، ونزولهم على ساحله في " أم الرشراش " بمواجهة العقبة ، قسم الوطن العربي إلى شطرين ، وفتح منفذا للسرطان

(1) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلاندا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 123 .

(2) الآغا ، خالد نبيل ، مدائن فلسطين ، مرجع سابق ، ص 110 ، وما بعدها .

(3) أبو سمور ، حسن ، قصة مدينة بئر السبع ، مرجع سابق ، ص 67 .

الصهيوني على البحر الأحمر للتحكم في ناصية تجارة الهند ، وجعلهم يهددون الأردن والحجاز ، وسائر دول الخليج العربي " (1).

(1) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلاندا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 118 .

المناخ

تتميز المنطقة بمناخ صحراوي ، حار جاف في الصيف ، يتراوح معدل درجة الحرارة فيه بين 17 - 18 درجة مئوية ، وأما معدل النهاية الكبرى للحرارة في النهار فيتراوح بين 27 - 31 درجة مئوية . وقد ترتفع الحرارة صيفا لتصل 40 درجة مئوية أو فوقها أحيانا .

والشتاء فيه بارد ، ولكنه قليل الرطوبة ، ويتراوح معدل درجة الحرارة فيه بين 13 - 16 درجة مئوية . كميات الأمطار الهائلة ضئيلة جدا يتراوح معدلها بين 200 - 300 ملم سنويا ، هذا بالرغم من قرب بعض البقاع من الساحل ، إلا أنها تفتقر لما تتمتع به السواحل من ميزات ، والرياح الجنوبية الغربية التي تهب فوقها لا تلقي عليها رطوبتها فضلا عن أن هواءها جاف لتعرضه لرياح الصحاري المختلفة المجاورة " (1) . " وبشكل عام تتميز البادية بالجفاف طيلة أيام السنة لندرة سقوط الأمطار ، إلا أن هذا الجفاف يقل في القسم الشمالي منها ، ويزداد في باقي الأجزاء الجنوبية ، وتبعاً لذلك تزداد درجة الحرارة كلما اتجهنا جنوباً " (2) .

وتسقط الأمطار أحيانا مصحوبة بعواصف رعدية ، مما يحدث سيولا في المناطق المنخفضة تهدد أضرارها السكان المقيمين (المعربين) فيها .

" وللمناخ تأثير كبير على إنسان هذه البيئة ، وحيوانها ، ونباتها ، فقد أثر المناخ في تكوين سلوك البدوي ، وتحديد طباعه ، فالمناخ الصحراوي بيئة ملائمة لنمو صفات الصبر والجلد ، وقوة التحمل ، والشجاعة لدى البدوي ، كما أن له أثرا واضحا في التشكيل الجسدي للإنسان ، فالبدوي غالبا معتدل القامة ، نحيف الجسم رشيقه ، ويتمتع بحدة البصر " (3) .

(1) انظر في ذلك : الدباغ ، مصطفى مراد ، مرجع سابق ، ص 114 وما بعدها

كذلك : أبو سمور ، حسن ، قصة مدينة بئر السبع ، مرجع سابق ، ص 22 .

(2) خمار ، قسطنطين ، موسوعة فلسطين الجغرافية ، منشورات اليسار ط 3، سنة 1988، ص 189 .

(3) النمر ، إحسان ، من السويس إلى العقبة ، مرجع سابق ، ص 84 وما بعدها .

"وقد فرض هذا المناخ أنساقا معينة من النظم الاجتماعية وأنماطها فالمحل والجدب ، وسنيّ القحط المتواليّة ، غيرست في نفس البدوي حب التنقل والتجوال وعدم الاستقرار طلبا للماء والكأ . وساعدت السماء الصافية والأرض الفسيحة الممتدة على شحذ الفكر وصفاء القريحة . وقد كونت الصحراء بمجاهلها واتساعها ، وبالحرّوب (الكونات) التي تعم أرجاءها ، كونت الفطنة والذكاء والحذر لدى البدوي " (1).

ويؤثر المناخ أيضا في توزيع القبائل في الصحراء ، فهي قبائل تفتش عن كأ وماء ، وهذان المصدران لا يتأثيان إلا بسبب المطر ، فالمطر عامل جذب للقبائل " ولهذا نرى قبائل السواركة والرميلات - وهم أغنى بدو سيناء تقطن المنطقة من رفح للشيخ زويد ، حيث تتمتع هذه المنطقة بأكبر مقدار من المطر في سيناء " (2) . وتربة المنطقة ليست احسن حالا من مناخها ، فهي تربة فقيرة تناسب النباتات الشوكية التي تقاوم المناخ الصحراوي ، ويذكر الدباغ أهم هذه النباتات مثل " السيل والطلح ، والغضا ، والصف (أو الكبر) والخزامي ، والعرعر . ويكثر أيضا الطرفاء والأثل والرتم والغرق " (3) . ويضيف عارف العارف لهذه القائمة من النباتات البرية بعض النباتات الأخرى ، التي يزرعها البدو - خصوصا في المناطق الشمالية من النقب - مثل (الشعير والحنطة ، والذرة ، والبطيخ ، والكرسنة " . (4) وفي سيناء نجد الشيخ والقيصوم ويزرع البدو في الشمال - حيث تتمتع منطقة الشيخ زويد بقدر أكبر من الأمطار - يزرعون الحبوب " (5) . وتكثر في البادية أيضا أشجار القتاد ، والأراك ، والاسل ، والسلم " (6).

(1) الربابعة ، احمد ، المجتمع البدوي الأردني في ضوء دراسة انثربولوجية ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ط 1974 ، ص 85 .

(2) زكي ، عبدا لرحمن ، سيناء ارض المعارك ، مرجع سابق ، ص 40 .

(3) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 114 .

(4) العارف ، عارف ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق ، ص 271 .

(5) زكي ، عبدا لرحمن ، سيناء ارض المعارك ، مرجع سابق ، ص 40 .

(6) غوري ، إبراهيم حلمي ، النباتات الطبيعية ، دار الشرق العربي ، بيروت ، ط . د . ت ، ص 187 .

"ويترتب على نوعية المناخ السائد ، وعلى طبيعة التربة الفقيرة ، ونباتاتها الشوكية " طبيعة الحيوان الذي يمكنه أن يعيش في هذه البيئة وأنواعه . ومن هذه الحيوانات المستأنس والبري ، فالحيوانات المستأنسة تشمل " تلك الحيوانات التي يرببها السكان مثل الإبل ، والماعز ، والخيول ، والأبقار ، أما البرية فتشمل النمر الأرقط ، والضبع ، والذئب والثعلب ، والقط الوحشي ، والجربوع ، والعقارب ، والغزال "(1). " وتكثر الزواحف أيضا في هذه البيئة مثل " الأفاعي ، والسحالي ، والضب ، والجراد ، والجنادب ، والعقارب والعناكب . وتتنوع الطيور في البادية

السيال : يفتح أوله وتخفيف ثانيه ، شجر يعرف باسم السنط ، خشبه ثقيل وصلب ، واغصانه ذات شوك ، وأزهاره صغيرة بيضاء .

الطلح : فتح ثم سكون ، من أعظم العضاء شوكا ، وأصلبه عودا ، وأجوده صمغا ، والعضاء جمع عضاهه ، وعضيه وهولكل شجر يعظم وله شوك .

الأثل : شجر ذو خشب صلب ، تصنع منه القصاع والجفان لوضع الطعام فيها .

الغضا : شجر يشبه الأثل ، له أوراق خضراء ، صلح لرعي الجمال ، وخشبه صلب يصنع منه الفحم ، وجمره شديد الحرارة ، ويبقى طويلا ، لذا يضرب بجمره المثل فيقال للشخص الذي أهمه الأمر ، ونزل به مصاب ومنعه من النوم " كالمقلب على جمر الغضا " .

اللفف ، أو الكبر : وهي أيضا الاصف قلبت همزتها لاما ، وهو الكبر نفسه " الكبّار " وهذه يونانية ، وهو نبات من العضاء ، له شوك ، وثمر الكبر يشبه القثاء ، ويستعمله البدو علاجاً للروماتزم ، وذلك بغلي ورقة وتبخير المصاب حتى يتصبب عرقه .

الخزامى : عشبه طويلة العيدان ، صغيرة الورق ، حمراء الزهر ، طيبة الريح ، لها نور كنور البنفسج .

العرعر : شجيرة لا شوك لها ، خشبها صلب ، وكان يستعمل لترتين البيوت ، وصناعة السفن .

القثاد : شجر خشبه صلب ، وله أشواك كالإبر ، إذا ما انغرس في اليد أو الجسم سببت ألما شديدة ، ونزعها يؤلم أكثر لذا اشتق منه المثل القائل " دون هذا الأمر خرط القثاد " .

الرتم : شجر من العضاء ، خشب صلب يصنع منه الفحم

الأراك : شجر يصنع السواك من أغصانه .

الاسل : شجر تنتصب أغصانه النقيقة والطويلة باتجاه شاقولي على الجذع ، كأنها الرماح ، لذا دعي العرب الرماح الطويلة والسيوف المرفقة " بالاسل " .

السلم : شجر ذو أشواك طويلة ، دقيقة ، تنتشر على جذعه واغصانه .

الشيخ : نبات بري صحراوي ، يستعمل وقودا ، ويستخدم بعد غليه شرابا لعلاج المغص ، ويعتقد البدو أنه إذا حرق ورقه ساعد في طرد " الأرواح الشريرة " .

(1) الدباغ ، بلاندا فلسطين ، مرجع سابق ، ص 114 .

فهناك : الحدأة ، والصقر ، والبوم ، والغراب ، والقطا والعصافير " (1)

إن المناخ ، والتربة ، والنبات ، والحيوان ، تعتبر مدخلات مهمة جدا في تشكيل النظام القبلي في المنطقة ، لان نتيجة تفاعل الإنسان مع هذه العناصر هو الذي يصوغ الحياة ، ويوجه نمط المعيشة البدوية بكل مناسطها . فهذا التفاعل هو الذي يحدد هيكلية الإنتاج ، كما يحدد نوعية وسائل الإنتاج التي توجه بشكل غير مباشر قيم المجتمع ، وعاداته وأخلاقه . والبدوي محكوم بهذه العناصر ، لأنها ثابتة غير قابلة للتغيير . ومن هنا جاء الاختلاف بين نمطي الحياة في البادية والمدينة والريف .

(1) غوري ، إبراهيم حلمي ، البيئات الطبيعية ، مرجع سابق ، ص 188 ، انظر في ذلك في ذلك أيضا أبو الفتح ، حسن علي ، البيئة الصحراوية العربية ، مرجع سابق ص 92 وما بعدها .

السكان

سكان المنطقة الجنوبية من البدو الذين يخضعون للنظام القبلي ويشكلونه في آن ، " ويدور هيكل هذا النظام على نوع من العلاقات والروابط الاجتماعية تتمحور حول وحدة الدم وصلة القرى التي تفرض بعض الحقوق والواجبات ، ابتداء من الأسرة وانتهاء بالقبيلة فالأسرة هي أبناء الرجل وبناته الذين يمثلون اللبنة الأولى في المجتمع القبلي ، في حين تشمل العشيرة رهط الرجل وأقاربه الأدنى ، وهي بنت القبيلة ، ويرأسها شيخ مستقل أو شيخ القبيلة العام ، والقبيلة هي رأس التنظيم الاجتماعي القبلي ، وهي مجتمع اقتصادي وسياسي وإداري وقضائي . وتتألف من جماعات متماسكة تتسم بالتضامن وبالشعور بروح الجماعة ، وتقع عليهم جميعا مسؤوليات كثيرة منها :

المحافظة على سلامة الأرض ، ومواردها من ماء وكلاً ، ثم المحافظة على سلامة أفراد القبيلة وأمنها ، وعلى تراثها الاجتماعي . ويرأسها شيخ القبيلة ، وهو المصدر الأساسي لمختلف السلطات ، والمرجع الأول في الشؤون القضائية ، وهو الذي يمثل القبيلة في جميع معاملاتها مع الآخرين ، ويقود القبيلة ، ويحفظ الأنساب ، وهو المسئول عن الصلة بين قبيلته والحكومة " (1)

ويرى ابن خلدون أن النظام القبلي أصل للحضر ، ومتقدم عليه ، والبدو مرحلة سابقة لمرحلة الاستقرار الزراعي الريفي ، أو الاستقرار المدني ، كما يرى أن التمدن غاية البدوي يجري إليها ، وإذا وصل هذه الغاية تنكر لبدوته ، وتحول إلى الريف أو المدينة وفي هذا يقول ابن خلدون " البدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم ، العاجزون عما فوقه ، وإن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم ، ولا شك أن الضروري أقدم من الحاجي والكمالي ، وسابق عليه . ولأن الضروري أصل والكمالي فرع ناشيء عنه فالبدو

1 - الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص 368 .

أصل للمدن والحضر ، وسابق عليهما ، لان أول مطالب الإنسان الضروري ولا ينتهي إلى الكمال والترف ، إلا إذا كان الضروري حاصلا ، فخشونة البدوة قبل رقة الحضارة ، ولهذا نجد التمدن غاية للبدوي يجري إليها ، وينتهي بسعيه إلى مقترحه منها ، متى حصل على الرياش الذي يحصل له به أحوال الترف وعوائده عاج إلى الدعة وأمكن نفسه إلى قيادة المدينة " (1) . وإذا كان البدو أصلا للحضر ، فالبدوة مرحلة سابقة على الاستقرار الريفي والمديني ، فان الواقع ينفي ما يطرحه ابن خلدون في أن البدوي يسعى بكل قواه كي يسكن المدينة أو يستقر في ريف " (2) وقد انف البدو حياة الاستقرار في قرية حضرية ، ولم يمتحنوا الزراعة إلا في حدود ضيقة ، وزاولوا الرعي وتربية الماشية وتغذوا على منتجاتها ، وباعوا الفائض من إنتاجهم في المدن والقرى والأسواق الموسمية ، وكانوا يعتبرون أنفسهم طبقة عسكرية محاربة ، تعلو على طبقة الفلاحين ، لذا كان مجتمعهم مجتمعا رعويا عسكريا " (3) . وهذا ما نجده واضحا في قول شاعرهم :

لا بارك الله في فلاح بدوى ولا بارك في بدوي تغلح

" ولعل مشاريع توطين البدو في كثير من الدول مثل الأردن والسعودية قد باءت بالفشل لارتباط البدوي بنظامه القبلي المبني على إنتاجية تقوده إلى ارتحال عادي طلبا للماء والكأ ، أو آخر موسمي تبعا لفصول السنة وطقوسها " (4) ومن الجدير بالذكر أن للنظام القبلي البدوي إفرازاته الاجتماعية ، من عادات وقيم ومعايير ، وأنماط سلوك " والقيم الاجتماعية في المجتمعات العشائرية ، تبدو بالعلاقات التي تكونت لصياغتها ورفع مستواها والمحافظة على كيائها ، وهي متأثرة بالعوامل الطبيعية والاقتصادية المحيطة بها ، حتى أصبحت قواعد مرعية ،

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، المطبعة الخيرية ، مصر ، القاهرة ، ط1 ، د.ت. ص 68 .

(2) هذا ما لاحظته الباحثة أثناء تجواله في منطقة النقب ، والبادية الجنوبية الأردنية .

(3) الموسوعة الأردنية ، مرجع سابق ، ص 285 .

(4) العبادي ، احمد عويدي ، سلسلة من هم البدو ؟ مقدمة لدراسة العشائر الأردنية ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط2 ، سنة 1985 ، ص 95 .

ودساتير مقدسة تتصل بالمستويات الخلقية التي يقدسها المجتمع ، ويفرض على الفرد بروز أفعاله على ضوئها ويتخذها هاديا في عمل ما يحل وما لا يحل

له " (1) ٥٨٠٨٤٢

" وتبرز سيادة الرجل وتبعية المرأة في النظام القبلي من خلال كل وجوه الحياة البدوية تقريبا ، فلو أخذنا مثلا تقسيم العمل بين الرجل والمرأة ، لوجدنا الرجل يستأثر بالأعمال الممتازة كأعمال الغزو وتمثيل الأسرة أو الجماعة البدوية لدى غيرها من الجماعات ، وكذلك العمليات الإشرافية التي لا تحتم عليه أن يمارس عملا فعليا ، بينما تقوم المرأة إلى جانب شؤون أسرتها ، وتدير أمورها المنزلية ، وتقوم برعي الحيوانات وتصنيع منتجاتها ، وصنع ما تحتاجه الأسرة من أغذية وخيام " (2) .

(1) شكاره ، ضياء ، القيم الاجتماعية في المجتمع العشائري ، التراث الشعبي ، وزارة الإعلام العراقية ، عدد 11 سنة 1970 ، ص 3 .

وانظر كذلك : غيث ، محمد عاطف ، علم الاجتماع ، دار المعارف بمصر ، ط1 1965 ، ص 49 .

(2) النوال ، صلاح مصطفى ، تنمية المجتمعات الصحراوية ، أسس نظرية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط1 ، 1968 ، ص 86 .

قبائل المنطقة الجنوبية وامتداداتها

عند محاولة تأصيل هذه القبائل يبرز على السطح مسألتان :

الأولى : أن السياسة الصهيونية مارست أعتى سياسات القمع والتهجير لكثير من قبائل النقب ، ومازال تهجير ما تبقى من هذه القبائل سياسة صهيونية متبعة لتفريغ الأراضي الفلسطينية ، ومصادرة الأراضي ، وزرع البؤر الاستيطانية فيها . ومن الأمثلة على القبائل المهجرة قبيلة الترابين التي كانت منتشرة بين بئر السبع شرقا وحتى الحدود المصرية غربا ، وبلغ عدد أفرادها عام 1946 م نحو 32,381 نسمة ، وقد رحلت هذه القبيلة إلى الأردن ، ولم يبق منها إلا شظايا متناثرة .

الثانية : أن انتساب العشائر إلى قبائلها ، قد يكون في أحيان كثيرة غير دقيق ، بل يكون موضع شك ، وذلك نتيجة اختلاط العشائر بعضها ببعض ، وانصهار بعضها ببعض لأسباب كثيرة يذكر العبادي منها : -

1. " طلب الأمن والحماية ، فكثير ما اختلطت العشائر وتحالفت ونتج عن هذا التحالف ذوبانها ، وذلك درءا لغزو أو حرب ، وربما التجأ بعضها لآخر بصورة طنيب ، هربا من دم أو طلبا لنثار " .
2. الظروف الاجتماعية : على نحو ما ينتج عن قتل الآباء في المعارك أو الغزوات مما يبقي الأطفال أيتاما ، فينضم هؤلاء إلى عشائر قوية لتقوم بتربيتهم وحمايتهم . كما أن الأمراض الفتاكة قد تلعب دورا في فناء العشائر ، والإبقاء على أعداد قليلة منها ، وما تفتأ هذه حتى تنضم لأخرى طلبا للعزوة .
3. أساطير الألقاب : كالاعتقاد بأن إية عشيرة تبدأ بـ (بني) ، يعتبر أجدادها من بنائي الكعبة المشرفة ، مثل بني عباد ، وبني صخر ، الذين يعتبرون أن أجدادهم فرسان من الصخر . والحويطات التي تعتبر نفسها فرعا من تجمع قبلي شريف هو قريش .

4. أهمية النسب الرفيع : إن النسب الرفيع يضيف على العشيرة ، ميزات اجتماعية كثيرة ، تكون عمادا لها في النظام القبلي " (1) ويضيف الباحث الربابعة سبباً آخر هو :
5. " التحديد المكاني والاستقرار : هذا التركيز المكاني ، خلق مصالح مشتركة ، وأهدافا متجانسة بين القبائل ، مما أدى إلى توحيدها وانصهارها في بوتقة القبيلة " (2)

ونستعرض فيما يلي قبائل المنطقة الجنوبية :

أولا : النقب

يتألف بدو النقب من القبائل التالية * : -

1. الترايين : - يقال لهم عيال صلدم ، حينما يراد حثهم واستجلاب نخوتهم ، وهم أكثر القبائل عددا وأغناما أيضا ، وهناك أكثر من رأي حول أصل الترايين :
- الرأي الشائع أن جدهم يدعى عطية ، وهو من الحجاز ومن قريش بالذات . وقد كانت منازلهم في تربة * . وهذا هو سبب التسمية ، ومما يؤيد هذا الرأي انه ما زال ليومنا هذا قبيلة في الحجاز تدعى " البغوم " ، كما أن نجومات الصانع النازلين في الطرف الغربي من بئر السبع يلقبون الآن " بالبغوم " .

(1) العبادي ، احمد عويدي ، سلسلة من هم البدو ؟ مرجع سابق ، ص 96 .

(2) الربابعة ، احمد حمدان ، المجتمع البدوي ، مرجع سابق ، ص 55 .

* أنظر في ذلك : -

العارف ، عارف ، تاريخ سيناء ، مرجع سابق ، ص 77 وما بعدها .

العارف ، عارف ، القضاء بين البدو ، مرجع سابق ، ص 44 وما بعدها .

كذلك : الموسوعة الفلسطينية ، ص 366 وما بعدها

* تربة : وادي بالقرب من مكة على مسافة يومين منها ، حواليه من الجبال السراء ويسوم وفرقد ، شرق مكة

انظر الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 21 .

- وهناك من ينسبهم لبلاد العجم ، ويقول ، الرأي أن صلدم اسم رجل لا امرأة ، وهو أعجمي اسلم في خلافة عمر بن الخطاب .
- وهناك من يقول أن " صلدم " امرأة أجنبية ، التقاها احد شيوخ الترابين وتزوجها .. واليها ينسبون .

تنتشر هذه القبيلة بين بئر السبع شرقاً حتى الحدود المصرية غرباً ، وتحيط بها قبيلة العزازمة من الشرق ، والنتياها من الشمال . وقسم منها مستقر في النقب الغربي المطل على البحر المتوسط ، في جنوب شرق غزة وحول دير البلح . بلغ عدد أفراد القبيلة عام 1946 م نحو 32,381 ألف نسمة ، وتتألف القبيلة من العشائر التالية : -

1. نجمات الصانع : ويدعون المزارعة ، نسبة إلى زارعة امرأة أحد أولاد نجم . ويتفرع عنها : الصوفي ، وأبو عادرة ، وصوصين ، والقصار ، وصهييان .
2. الغوالي : ويتفرع عنها : أبو الحصين ، وأبوشلهوب ، وأبو خنلة ، وأبو بكرة ، وأبو عمرة ، والزريعي ، والعمور ، والنبعات .
3. جراوين : وتتفرع إلى " أبو يحيى " ، " وأبو صعيلىك " .
4. الحسنات : من اللياثنة القاطنين في وادي موسى ، وقيل أن جدهم الأول من وادي الليث باليمن . وهم أربع فرق : بنو عطا ، والشرور ، والعبيديون ، والعلايا .
5. الوحيدات : يزعم أنهم حسينيون (نسبة إلى الحسين بن علي رضي الله عنه) وأصلهم من جبل الشراة في شرق الأردن . وينزلون بمنطقة قرب غزة . وقد قيل : أن (نجما) جد الترابين ، جاء سيناء مع الوحيدي من ذرية الحسن (أو الحسين) ، ونزلا على جد من بني واصل ، وتزوجا ابنتيه ، فصار نجم جدا للترابين ، والوحيدي جدا للوحيدات .

وبعد نكبة 1948 م لم يبق من هذه العشائر في النقب إلا شظايا ، حيث رحل معظمها إلى الأردن ، وسيناء ، وقسم انتقل إلى غزة ، ومن العشائر التي ظلت في النقب عشيرة " أبو صهيبيان (في رهط) . والصانع (قرب بئر السبع) .

العزازمة : - آراء حول أصلهم :

- العزازمة من قضاة ، وقضاة من قرش .
- العزازمة من الشرارات ، وهؤلاء من بني كلب ، وبني كلب من العرب القحطانية .
- ويقال أن آل عزام في الجيزة بمصر ، من عزازمة فلسطين ، وان بني عزام الدروز الموجودين في حوران منهم .

وتمتد أراضي هذه القبيلة من بئر السبع ووادي الخليل في الشمال حتى وادي عربة جنوبا بشرق ، وخليج العقبة جنوبا . ويتضمن هذا الامتداد الشاسع مواقع كثيرة منها : بئر السبع (في أقصى الشمال) ، وشقيب (جنوب بئر السبع) ، ومرطة والخزعلي ، والخالصة ، وعسلوج ، وعبدية وغيرها . بلغ عدد أفراد العزازمة عام 1946 م نحو 16,370 نسمة يتوزعون على عشائر : محمدين ، وصباحين ، وصبيحات ، وزربه ، وفراحين ، ومسعودين ، وسواخنة ، وعصيات ، ومريعات وسراحين . ورحل معظم هذه العشائر إلى الأردن اثر نكبة 1948 م .

3. التباها : - اختلف في اصل القبيلة ، فمن قائل : -

- أنها من مضر ، ومضر من عدنان .
- من الاوس والخزرج ، أي من الازد وهم من بني زيد بن كهلان ، وبني كهلان من القبائل القحطانية ، والذين كانوا يتداولون ملك اليمن من حمير .

ومن قائل : أنهم فرقة من بني هلال من نجد تاهت عنهم وهي طاعنة لبلاد المغرب . وقيل أيضا أنهم سموا " بالتيهاها " لأنهم أقدم القبائل توطنا في التيه .
تنتشر هذه القبيلة في الشمال الشرقي والشرق من بئر السبع ، وتمتد أراضيها من الجزء الجنوبي من بركة الخليل ، بين جبال الخليل والبحر الميت . بلغ عدد أفرادها عام 1946 م نحو 25,153 نسمة ، وتتفرع هذه القبيلة إلى عشائر :

1. الحكوك : ويتفرع عنهم : الهزيل ، الأسد ، والبريقي ، وأبو عبدون .
2. العلامات : ويتفرع عنهم : أبو لبه ، وأبوشنار ، وأبو جقيم والشلالين
3. القديرات ، ويتفرع عنهم : الجفافة ، والمطارقية ، والحريزات ، والاعسم .
4. الظلام : وتتفرع إلى : الهميسات ، واللاهية ، والمهانية .
5. رماضين : وتتفرع إلى : مسامرة ، وشعور .

ومنها أيضا عشائر : بنو عقبة ، والنتوش ، وعيال عمري رواشدة ، وعيال عمري عرور والبدينات ، والجنايب ، والقطاطوة .
اثر نكبة 1948 م ، هاجر معظم هذه العشائر إلى الأردن ، وانتقل قليل منها إلى قطاع غزة ، ولم يبق منها في النقب إلا القليل .

4. الحنجرة :

قيل أن أصل القبيلة حجازي ، وهاجرت إلى النقب في أوائل الفتوحات الإسلامية . ويقسمون إلى عشائر : -

- 1 . حناجرة أو مدين : ويتقرع عنهم : البدرين ، والعربين ، والنعامين ،
والنباھين ، والنخيلات ، والنعيمات .
- 2 . الظاهرة : عمارين ، ومصالحة ، وعوامرة ، وعوايشة
- 3 حمدات : مناديل : وسلسلة ، وحجاج ، وسميري .
- 4 النصيرات : فقيريون ، وكريشان .
5. الجبارات : قيل أن أصل القبيلة من الطائف ، ، وان جدها الأول " جابر الأنصاري " من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو قرشي مدفون في الطفيلة من أعمال شرق الأردن . وقد غادرت القبيلة الحجاز في أوائل الفتوحات الإسلامية ، وعندما وصلت معان انشطرت إلى شطرين :
شطر أم العراق ، وشطر أم بلاد الشام واستوطن بلادا كثيرة فمنه من نزل حمص وحماة ، ومنه من استوطن شرقي الأردن وهم الجبور (عماد الصخور) . ومنه من استوطن غزة وما حولها .
- تملك هذه القبيلة جميع الأراضي الواقعة إلى الشمال الشرقي من مدينة بئر السبع ، وتمتد أراضيها إلى الفالوجة وبرير ، وقد بلغ عدد أفراد القبيلة عام 1946 م نحو 7,528 نسمة ، وتتألف من عشائر : أبو جابر ، وارثيمات ، وأبو العدوس ، والمشارفة وقلازين ثوابته ، وحسانات بني صباح ، وعمارين بن عجلان ، ووحيديات جبارات ، وسعادنة النويري ، وسعادنة أبو جريبان ودقس ، وسواركة بن رفيع ، ووليدة ، ورواوعة .
- وبعد نكبة 1948 م ، لم تكن القبيلة بأحسن حالا من مثيلاتها .. إذ ارتحل معظم أفرادها إلى الأردن ، وقسم منها انتقل إلى غزة ، ولم يبق منها في النقب إلا القليل .

ثانيا : عشائر وادي عربية (1)

تشتمل على عشائر اللحيوات ، التي تعود بأصلها إلى قبيلة بني عطية * . وتمتد أراضيها في القسم الجنوبي من وادي عربية المتاخم للعقبة ، كما أن لهذه العشائر أراضي في سيناء . وقد بلغ عدد أفراد العشائر عام 1931 نحو 420 نسمة .

وتشتمل أيضا على عشائر السعديين التي تعود بأصلها إلى قبيلة الحويطات وتمتد في الجزء الشمالي من وادي عربية ، وقد بلغ عدد أفرادها عام 1931 م نحو 645 نسمة .

ثالثا: قبائل البادية الجنوبية (2)

تتألف هذه القبائل من :

(1) العطيات : ينقسم العطيات إلى العشائر التالية :

أ . السليمات : عبيدي ، وعبدلة ، وضبعة ، ومواضر ، وعراعر ،

وعويمريين ، وسويدات ، والوقيات ، والمهاجرين .

ب . السويلمين : حياينة ، ومضالغة ، وجريدات ، وعطاطرة ، وعطيوي

ج . العلّيون .

د . الجمعاني .

(1) الموسوعة الفلسطينية ، مرجع سابق ، ص 366 .

* بني عطية : من القبائل الحجازية ، ومنازلها الآن ضمن الحدود الحجازية ، بيد أنها أخذت ترحل شمالا إلى منطقة الكرك .

(2) انظر في ذلك : بيك ، فريدريك ، تاريخ شرق الأردن وقبائلها ، تعريب بهاء الدين طوقان ، الدار العربية للتوزيع والنشر ، عمان ، الأردن ، ط.د.ت، ص 312 ، وما بعدها .

هـ . السبوت ، وهم من نصارى بلاد الشام وينقسمون إلى : بريكات
وقرعان ، وروابين ، ورويعات ، وسواريا .

و . حضرة .

ز . مصابحة .

ح . الرماضين : مدامية ، وطرايشة ، وصقّقه ، وغمضة ، وعسوفية ،
ورميئات .

ط . السعيدانية : رُضام ، وزملان ، وصفان ، وغنيمات ، ونواقات ،
واركابات ، وعوادين .

(2) الحجايا : فرع من عشيرة عبدة ، وهي بطن من قبيلة شمر من طيء . وينزل
قسم من هذه القبيلة أراضي سيناء .

(3) الحويطات : " يدعون أنهم من سلالة فاطمة الزهراء رضي الله عنها ،
ولكن الأصح أنهم من بقايا الأنباط ، الذين كانوا مسيحيين على طرق القوافل إلى
اليمن ، " وعاصمتهم بطرا * على بعد بضع ساعات من غربي معان " (1) ، ومن
عشائريهم (2) :

1. الجازي : جازي ، وعودات ، وجذوان ، وشراتحة ، وصباحين ،
وفحامين ، وهدبان .

2. سليمانيين : نواورة ، وركيبات ، وعجالين ، وعمامرة ، وشوشة ،
وعثامنة ، ولوافية .

3. عمارين : حساسين ، وفقوش ، وحسنات ، وسويلم ، ونجائية .

4. عطون : جواعدة ، وقواريص ، ومحاسنة ، ورواشدة .

* بطرا : هكذا وردت في تعريب كتاب " تاريخ شرقي الأردن وقبائلها " ، وأوحى اللفظ انه من الأصل
الإنجليزي ، PETRA ، والصحيح أن اللفظ الإنجليزي مأخوذ من العربي ، لأن البتر في العربية هو القطع ،
والبتراء أو " سالع " مقطوعة في الصخر .

(1) بيك ، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، مرجع سابق ، ص 312 .

(2) العبادي ، مقنمة لدراسة العشائر الأردنية ، مرجع سابق ، ص 588 .

5. زوايدة : مطلق ، وقعيرات ، وفليحين ، وسلمان ، وشخيتات ،
وجميعان ، وسماعين ، وكواحيث ، وشقاونة .
 6. مراعية : طواهين ، وجبه ، وعجول ، وصواوفة، وعلاوية ،
ومشاعلة ، وطماحرة، وحجوج
 7. زلابية : عواودة ، وسلمانيين .
 8. طقاطقة : حماد ، وعيد قاسم ، ودحيلان ، وعودة .
 9. عريان عودة أبوتايه : توابيه ، وصباح ، وخشمان ، وفراج ،
ومضحي ، وقاسم ، وربايعة ، وفتنة ، وحجازي ، ومصبحين .
 10. الدمانية : سالم ، وصالح ، وعودة ، وسلامة ، ولافي ، وعيد.
 11. عريان بن بجاد : بجادات ، وخضيرات ، ونويجيين ،
وسوالمة ، وصقور ، وروافعة ، وعبيد ، وحساسين .
 12. النعيمات : سالمين ، وغوانة ، وسلامة ، وسليمات .
 31. مناجعة : رواجفة ، وبدول .
- هذا إضافة إلى قبائل الطفيلة مثل البحارات والحميدات وغيرهم

رابعاً : عشائر وادي موسى

يعرفون باللياثنة ، وتضاربت الآراء حول نسبهم :

فمن قائل أنهم من أبناء ليث ، وهو فرع من يهود خيبر ، ومنهم من نسبهم إلى ليث بن بكر بن مناة كنانة . وراي ثالث يرجعهم إلى قضاة ، وينقسمون إلى العشائر التالية :

1 - بنو عطا : من قضاة يتبعهم الفرق التالية :

- السلامين : من وادي جازر بفلسطين .
- الفضول : من الجولان من آل ربيعة من طيء .
- الفلاحات .
- الفرجات .

2- الرواجفة : من بطون قيس ، من بني هلال النجدية .

3- الشرور : من قبيلة حرب الحجازية .

4- العلایا : فريق من اللياثنة ينقسمون إلى الفرق التالية : -

- حمادين وشماسين ، وهم من بني حميدة .
- عمارات ونوافلة ، وهم من اذنا الخليل .

5- العبيديون : وينقسمون إلى الفرق التالية :

- الحسنات : من قضاة ، خرج منهم فرع إلى بئر السبع ، وانضم إلى قبيلة الترابين ، ويعرفون بالحسنات أيضا .

- الحلالات : يزعمون أنهم أقدم عشيرة في وادي موسى وانهم

اللياثنة الحقيقيون وهم ثلاث فرق : نصارات ومشاعلة ،

وطويسات . وقد خرج فرع من الطويسات إلى فلسطين ويقطنون

اليوم حول اللد .

إضافة إلى هذه القبائل البدوية الجنوبية ، فان هناك قبائل الطفيلة مثل البحارات والحميدات وغيرهم . وقبائل الكرك مثل : البقاعين والحباشنة والمعايطة وغيرهم . وقبائل منطقة معان مثل : المصاروة ، والكراشين ، والمحاميد . وهناك عشائر الشوبك مثل الشقيرات والملاهيم وغيرهم .

خامسا : قبائل سيناء وعشائرها

مقدمة

" تعتبر سيناء مركز جذب للقبائل السامية منذ القدم ، ولعل اولى الهجرات التي وصل تأثيرها إلى سيناء كانت هجرة الاسماعيليين * ، ومن أشهر قبائلهم بنو قيدار وبنو نابت ، حيث استقر بنو قيدار في وادي موسى ، بينما أسس الأنباط (بنو نابت) دولة قوية مركزها سالع في وادي موسى أيضا..

تبع ذلك ، هجرة قبائل قضاة الحميرية التي هجرت الحجاز ، وتفرقت بطونها في المناطق المجاورة كبادية الشام والعراق (1) .

وتتوالى هجرات القبائل العربية إلى سيناء ، وتشتد مع حركة الفتوح الاسلامية ، فقد هاجرت في تلك الفترة قبائل : جذام ، ولخم ، وبلق .

" ولم تتوقف هذه الهجرات بعد الفتح الاسلامي ، بل نجد هجرة قيس عيلان زمن الدولة الأموية والعباسية ، وهجرة بني سليم وبني هلال وطسي زمن الفاطميين ، وقبائل ثعلبة في عهد الدولة الأيوبية .

وتنتهي موجة الهجرات العربية إلى سيناء وتتوقف زمن المماليك ، حين عزل المماليك العرب ، ولم يستعينوا بهم ، ولم يستدعواهم . عندها ثار العرب ، وبدأت هجرة عكسية من مصر إلى الصحراوات المجاورة ، وفلسطين (2) .

ومن الجدير بالذكر أن هذه القبائل العربية لم تكن في يوم من الأيام محصورة في سيناء لا تفارقها ، بل كانت سيناء منطلقا لها للمناطق المجاورة

* من نسل إسماعيل عليه السلام ، وموطنهم الأصلي الحجاز ، ويظن أن هجرتهم كانت حولي القرن السادس عشر ق.م . انظر في ذلك : -

زكي ، عبدالرحمن ، سيناء ارض المعارك ، مرجع سابق ، ص 64 .

(1) كان ذلك في أوائل التاريخ الميلادي ، انظر في ذلك ، زكي ، سيناء ارض المعارك ، مرجع سابق ، ص 64 .

(2) انظر في ذلك ، زكي ، عبدالرحمن ، سيناء ارض المعارك ، مرجع سابق ، ص 46 .

في ترحالها . ومن هنا نجد امتداد القبائل العربية وعشائرها في سيناء ، والنقب ، والبادية الجنوبية الأردنية . وخير مثال على هذه القبائل التياها والترايين ، فلكل منهما جذور في المناطق الثلاث . وربما امتدت هذه الفروع لتصل شمال الجزيرة العربية .

ويمكننا توزيع هذه القبائل في مناطق سيناء على النحو التالي * : -
(أ) قبائل المنطقة الشمالية (بلاد العريش) :

1. السواركة : تنزل هذه القبيلة شمالي سيناء ، في المنطقة بين رفح والشيخ زويد وبين بئر العبد والبحر الأبيض المتوسط وتمتد أراضيها من أقصى شمال سيناء لتصل هضبة النيه . وقد بلغ عدد أفرادها مع الرميّلات نحو 12000 نسمة حسب إحصائية عام 1965 م السكانية وتتفرع القبيلة إلى: العروات ، الدهيمات ،

والجريرات ، والمحافظ ، والفلالة ، والحنجرة .

2. الرميّلات : تنزل القبيلة في خان يونس ، ورفح والشيخ زويد ، وقد انضمت القبيلة للسواركة ، واضحتا قبيلة واحدة . وتتفرع الرميّلات إلى: البسوم ، والشرطيين ، والعواينة ، والسنة ، والعجالين .

3. اللحيوات : فرع من المساعيد ، من بني عطية . ينزلون في بئر قاطية وضواحيها شرق القنطرة .

* انظر في توزيعات قبائل سيناء :

- الجوهري ، رفعت ، سيناء ارض القمر ، مرجع سابق ، ص 136 وما بعدها .
- وكذلك : زكي ، عبدالرحمن ، سيناء ارض المعارك ، مرجع سابق ، ص 40 وما بعدها .
- و حمدان ، جمال ، سيناء في الاستراتيجية والسياسة ، مرجع سابق ، ص 27 .
- و حافظ أبوالحجاج ، سيناء ، مرجع سابق ، ص 46 وما بعدها .

4. الاخارسة : تنزل القبيلة على شاطئ الأبيض المتوسط ، وغراقد الحبشة ، وبركة الجمل وبئر قاطية .

5. اللخميون والجذاميون : اصل القبيلتين من الجزيرة العربية . هاجرتا إلى شمال سيناء ، وغادرتها لمصر والشام . وبقي من هاتين القبيلتين في سيناء : بنو بياضة ، والعقيليون ، والسعديون . بلى : نزلت قرب قاطية ، ثم هاجر معظمها لمصر .

6 . بلى : نزلت قرب قاطية ، ثم هاجر معظمها لمصر .

ب) قبائل وسط سيناء (بلاد التيه) :

1. التياها : يقال أن أصلهم من بني هلال من بني عطية . وهم أقدم من سكن هضبة التيه من القبائل العربية والمشهور أن القبيلة أخذت اسمها من اسم الهضبة التي تسكنها . وقد بلغ عدد أفراد القبيلة نحو 4500 نسمة ، موزعة في النقب ، وبلاد التيه ، ونخل ، وجبل الحلال ، والمويلح ، ووادي العريش ، والبادية الأردنية الجنوبية . ويتفرع من التياها العشائر التالية :

- بنو عامر : في نخل وأم سعيد والملحا ويتبع بني عامر تياها

الجديرات الذين يسكنون وادي الجديرات .

- البريكات : في قرية عجرود ومعين .

- الشثيات : في الحظيرة وجبل الحلال .

- المنيات : في القصيمة والحسنة والثمادة والحمة .

هذا إضافة لعشائر الصقيرات ، والبنيات ، والقديرات .

2 - الترابين : يمتد أصلهم إلى بني عطية من عرب الحجاز ، ويدعون أنهم من نسل " الحسن بن علي بن أبي طالب " رضي الله عنه . حلت القبيلة بعد هجرتها من الجزيرة العربية ، شرقي بلاد الطور ، ثم غادرتها إلى وادي النيل لحروبها مع التياها . وتتحصر منازل من تبقى من القبيلة في سيناء بين السواركة في الشمال والتياها في الجنوب . وتمتد القبيلة خارج سيناء لتصل منطقة بئر السبع جنوب فلسطين . وقد بلغ عدد أفراد

القبيلة 4500 نسمة ، ومن فروعها : الجررة ، والحسابلة ، والشهبيات .
 3. الحويطات : من بني عطيه الذين نزلوا حول خليج العقبة . تمتد أراضي القبيلة من الإسماعيلية إلى وادي غرندل ، ومن جبل حسن إلى البحر الأحمر . من أهم مراكزهم : وادي جدي ، وأم خشيب ، ووادي الراحة ، وبئر معيق ، وبئر المرة ، وعين سدر . بلغ عدد أفراد القبيلة نحو 1500 نسمة . وتتفرع إلى : الدبور ، والعلويون ، والعمران ، ومن الحويطات قبيلة " عرب الشدايدة " بمديرية القيلوبية بمصر . أما باقي قبائلهم فتتوزع على الحجاز والعقبة .

4. العيايدة (العيايدة) : من بقايا عرب العائذ ، وهم بطون من جذام . من أهم مراكزهم : القنطرة ، وتل الصبوة ، والمرقب ، والشيخ حميد ، وجبل الريشة .

5 . الصوالحة : يسكنون منطقة جبل موسى ووادي فيران . ويقاسمهم المنطقة القرارشة ، والعوارمة ، وأولاد سعيد . كما يشاركونهم الجبالية الذين يعملون في خدمة رهبان " دير سانت كاترين " .

6 . التبنة والمواطرة : استعان رهبان " دير سانت كاترين " بهاتين القبيلتين لحماية أنفسهم من القبائل الأخرى . وهم ينزلون وادي فيران . ولا تزال بقايا التبنة تزرع أراضي " وادي فيران " لصالح الصوالحة ليوثنا هذا . أما المواطرة فما زالت قلة منهم تسكن قرب مدينة الطور .

ج . قبائل الجنوب (بلاد الطور) :

1 . الحماظنة : من أقدم القبائل في جنوب سيناء ، سكنوا " وادي فيران " بعد اقتسامه مع " بني واصل " . ثم اختلف الطرفان ، وحدثت حروب بينهما ، مما أضعف الحماظنة ، ومكن القبائل الأخرى كالصوالحة ، والعليقات من أن تغلبهم وتسكن أراضيهم .

2. بنو واصل :تعددت الآراء في أصلهم ، فمن قائل : أنهم من بطون بني عقبة التي أتت من شمال الحجاز ، ومنهم من يرجع بني واصل لأصول بربرية . اقتسم بنو واصل - كما ذكرنا - وادي فيران مع الحماسة . إلا ان الحروب التي دارت بينهما أضعفتهم ، وأسكنتهم في حمى الصوالة حول الشرم ، وعلى طول الساحل الغربي لخليج العقبة .

3. بنو سليمان : يرجح أنهم بطن من بني عطية الحجازية . وهم من أقدم قبائل سيناء الجنوبية ، حيث استقرت القبيلة في جنوب سيناء منذ الفتح الاسلامي . غير أن معظم القبيلة هاجر الى مديرية الشرقية بمصر . وتسكن القلة الباقية منها حول الطور والسويس .

4. النفعيات : لا يعرف أصلها على وجه التحقيق . إلا ان بعض الآراء يرجعها الى " نافع بن مروان " من بطون ثعلبة طي ، من نجد الحجاز . جاور النفعيات الصوالة ، واختلفوا معهم ، وتغلب الصوالة عليهم . مما أدى الى هجرتهم من سيناء ، واستقرارهم في مديرية الشرقية بمصر . إلا أن شطايا القبيلة ظلت مستقرة في سيناء ، ويعرفون باسم السوادة وما زال لقبيلة النفعيات ممتلكات في وادي فيران الى يومنا هذا .

5. الصبايخة : يغلب أن يكون اسم القبيلة تحريفا لكلمة الصفايخة الذين هم بطن من عرب اللحيوات. تنزل القبيلة غربي التيه ، ومن أهم مراكزها : جبل المغارة ، الجفافة ، وبئر الخصيب ، وعين صور .

6. العليقات : تمتد أراضيهم من الرملة الى وادي غرنل . ومن أهم مراكزهم : دبة الرملة ، ووادي الغرنل ، وعيون موسى ، ووادي صدر ، وابوجعدة . وقد بلغ عدد أفراد القبيلة نحو 2500 نسمة ، يتفرعون الى : أولاد سلمى ، وتُليلات ، وحمادة .

7. مزينة : يرجع أصل القبيلة لبني حرب . تسكن القبيلة شرقي دير " سانت كاترين " وجنوبه الشرقي . بلغ عدد أفرادها 4200 نسمة وتتفرع الى : علاونية ، وشدالفة ، وعويضات ، وأولاد علي .

8. العوارمة : يسكن العوارمة قلب بلاد الطور ، وفي قلوب بمصر ، وبلغ عدد أفراد القبيلة 1500 نسمة ، ويتفرعون الى : عوارمة ، وفوانسة ، ورويسات ، واولاد جاهين ، ونواصرة ، ومحاسنة .

يقول سبحانه وتعالى " يا ايها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير " * صدق الله العظيم . ارتحلت هذه القبائل من مناطق مختلفة ، وتجمعت في حلها ، وتعارفت . وانصهر بعضها ببعض . رحلت لأن نظامها القبلي قادها للارتحال . ولم تكن في ترحالها - وما زالت - تؤمن بحدود سياسية تمنعها من الرحيل والتواصل . وتشكلت نتيجة لهذه الاندماجات امتدادات عميقة عبر المنطقة العربية المحيطة بها . فالحيوات مثلا ينتشرون في وادي عربية ، ولهم أراض في سيناء ، وينتشر قسم منهم في النقب ، وهم يقطنون البادية الجنوبية أيضا . والحسانات من قضاة الحجازية ، ينضم فريق من هذه القبيلة للعبيديين في البادية الجنوبية ، وينضم آخر الى الترابين النقبية ، ويبقى الأصل في الحجاز . وأمثلة أخرى كثيرة تدل على هذا الامتداد والاختلاط .

ان هذه الصورة من الانصهار والذوبان تجسيد لمعنى الوحدة العربية وتعميق لمفهوم القومية العربية ، التي لا تؤمن بدولة التجزئة القطرية ، فالبدوي يؤمن بنظام القبيلة ، ولا يؤمن بنظام الدولة ، إلا إذا أجبر عليه .

ان الأمانة التي تحملها هذه القبائل من موروث هائل من العادات والتقاليد والقيم ، هي السد المنيع والوافي أمام أزمات امتنا العربية المتمثلة بالتبعية للغرب والواقعي والاستهلاكية ، والتجزئة القطرية المهددة بسلاح الاستعمار الثقافي - الاقتصادي ، أو ما يطلق عليه مصطلح " العولمة " .

* الحجرات : 13 .

إن تفاعل هذه القبائل بعضها مع بعض ، في بيئة صحراوية ، ممتدة بين مصر والجزيرة العربية ، صاغ كثيرا من المفاهيم الاجتماعية ، التي أصبحت دستورا لهذه القبائل . كما أن هذا التفاعل الإنساني - البيئي ولد كثيرا من آداب البادية ، وتاج عروسها الشعر البدوي ، الذي صور كافة مناسط الحياة القبلية في حلها وترحالها .

الفصل الثاني

الأدب الشعبي - الشعر الشعبي

(مفهومه وخصائصه)

الأدب الشعبي - الشعر الشعبي (مفهومه وخصائصه)

يقول عبدالسلام هارون " كلمة تراث مأخوذة من مادة ورث ، التي تدور معانيها حول حصول المتأخر على نصيب مادي أو معنوي ممن سبقه ، من والد أو قريب أو موص أو نحو ذلك . والتاء في تراث أصلها الواو [وراث] ، وقلبت لأن التاء أجلد من الواو ، وأقوى . ويستشهد هارون بقوله تعالى " وتأكّلون التّراث أكلا لما " (1) ، حين كان العرب يحجبون الميراث عن النساء والأطفال ويقرّونه على المقاتلة من الرجال (2) . ولا شك أن هذا المعنى اللغوي ، يرشح منه مفهوم " التراث " بكل إشكالياته الحدائثية ، ومعاني مصطلحاته المختلفة . فالسابق يمتلك حزمة ثقافية ، مادية أو معنوية ، يسلمها للاحقه ، وهذا بدوره ينقص منها أو يزيد فيها ، أو يعدلها ، أو يسلمها - هو الآخر - كما استلمها للاحقة .. وهكذا .. وينشأ من هذه المعادلة التراكمية نوعان من التراث :

الأول : " رسمي ، تظهر رموزه من خلال المؤسسات الرسمية على شكل : أدب ، دين ، فن الخ .

والثاني : شعبي ، وهو مجموع الرموز الناتجة عن الجزء الشعبي من ثقافة الأمة ، وهو نتاج عفوي جماعي ، يعبر عن شعور أبناء الشعب وعواطفهم ، وحاجاتهم ، وضمايرهم بشكل عام (3) . وينتقل من جيل إلى جيل بشكل عفوي ، مشافهة ، أو عن طريق التقليد والمحاكاة والملاحظة . " والتراث بين معترضين. تبعا لهذا التعريف عبارة عن ثقافة تنامت عبر العصور بفعل التفاعل المتكامل بين الإنسان والبيئة بشتى أشكالها ، سواء أكانت بيئة اجتماعية (أفرادا وجماعات) أم بيئة

(1) سورة الفجر : 19 .

(2) هارون ، عبدالسلام ، التراث العربي ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978 ، ص 5 .

(3) كناعنه ، شريف ، دور التراث الشعبي في تعزيز الهوية ، التراث والمجتمع ، المجلد السادس ، عدد 22 ، جمعية إنعاش الأسرة - البيرة ، ص 9 .

جغرافية (مناخا وموقعا جغرافيا) أم طبيعة ارض " (1) . إن الإنسان هو العنصر الأساس في تكوين التراث ، فهو المتفاعل الأول ، أو قل الممثل الأول في مسرح الحياة ، بما تمثله هذه الحياة من أبعاد طبيعية ، واجتماعية ، واقتصادية . وهو الصانع لهذا التراث لأنه هو الذي يحفظ دوره ، أي يحفظ النص التراثي بكل ما يعني هذا النص " من علاقة بالتراث الخاص بالمجتمع الذي ينتمي إليه " (2) ، وهو ناقله ومورثه للجيل الذي يليه بما "يصدر عنه من إبداع وما يمارسه من شعائر ، ومراسيم ، وما يصدر عنه من عادات وتقاليد " (3) وهذا التراث الذي صنعه الإنسان بشكل عفوي جماعي ، لم يكن بلا فائدة " بل هو ذو بعد وظيفي يخدم الإنسان في كافة مناشط حياته اليومية الآنية .

وهذا البعد الوظيفي ، هو الذي يقنن التراث ، فيزيد على ناقصة ، ويقص منه ما زاد ويعدله ، ويحذف شوائبه ، ومما يدل على هذا أن الكثير من العادات قد تغير فيها بعض الجوانب ، لأنها لم تعد تخدم الإنسان في بيئته . وهذا التغير يأخذ شكل التعديل ، أو الزيادة أو الحذف .

" وللشعبية التي يتصف بها التراث معلمان أساسيان هما :

1 . الانتشار أو التداول : بحيث يشمل التراث كل طبقات المجتمع ،

وذلك بعكس التراث الرسمي ، الذي تتناوله طبقة معينة .

2 . التراثية أو الخلود : أن التراث هنا يستطيع أن يطفو فوق

سطح الزمن ليقابل كل عصر بنفس الجودة والحيوية ، ويلتقي

مع كل جيل بنفس الانفعال والتأثير " (4)

(1) احمد ، كمال فريد ، دراسات في التراث الشعبي والمجتمع الفلسطيني ، لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي ، جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة 1976 ، ص 2 .

(2) مرسي ، أحمد ، أبحاث في التراث الشعبي ، دار الثقافة العامة ، العراق ، الاعظمية ، طبعة بلا تاريخ ، ص 12 .

(3) علقم ، نبيل ، دراسة في التراث ، والتراث الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، المجلد الأول ، العدد الأول ، نيسان 1974 ، ص 119 .

(4) د . ذهني ، محمد ، الألب الشعبي العربي - مفهومه ، ومضمونه - مكتبة الانجلو - مصرية ، ط. الطبعة د. ت ، ص 27 .

وهذه الصفة " الشعبية " هي التي جعلت التراث صناعة عامة للشعب ، بشكل جماعي عفوي ، وهي التي جعلته يصدر عن روح الشعب ، وينبع من شعوره وضميره . وهي التي فرقته ، وميزته بين التراث الرسمي والشعبي ، فالأول من صنع نخبة من الشعب نتيجة تخطيط وتفكير ، ولا ينبع بشكل عفوي ، والثاني على العكس تماماً " (1) . حيث تشير الصفة إلى أن التراث الشعبي نتاج الشعب كله ، على اختلاف طبقاته ، وفئاته ، وبيئاته ، ومراحل التاريخة . ولا يقتصر مفهوم الشعبية - تاريخياً - على ما ينحدر إلينا من مرحلة تاريخية معينة ، أو ابتداء منها على نحو ما يصنع البعض بالنسبة للتراث الرسمي ، بل ينطوي على نتاج جميع المراحل التاريخية التي مرت بها المنطقة ، ابتداءً من أول اجتماع إنساني عرفته ، وحتى وقتنا الراهن " (2) .

والتراث بهذا الشكل الممتد عبر الزمان ، والمكان ، وبكل هذه العموميات ، لا بد له إلا أن يتصف بالمرونة ، وتعدد الصور . " فلا يقتصر مفهومه على تلك المنظومة من الأفكار والرؤى والتصورات الشعبية التي تغلب عليها الطبيعة الاعتقادية ، بل يمتد إلى دوائر الممارسات والعادات السلوكية ووسائل هذه الممارسات والعادات " (3) . " ويصنف عمر الساريسي التراث إلى الفروع الآتية :

" 1 . الفنون القولية (الأدب الشعبي) : وأداتها اللغة ، مثل الأمثال

الشعبية ، والأغاني والنكات ، والحكاية الشعبية ، ولعل على رأس هذه الفنون ، الشعر الشعبي .

2 . الأشغال الفنية اليدوية : ومن هذه الفنون صناعة الفخار ، والنقش ، والجلود والخزف ... الخ .

(1) د . كناعنه ، شريف ، دور التراث في تعزيز الهوية ، مرجع سابق ، ص 10 .

(2) سلام ، رفعت ، بحثاً عن التراث العربي ، نظرة نقدية منهجية ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى 1989 ، ص 198 .

(3) سلام ، رفعت ، مرجع سابق ، ص 196 .

3. الفنون الأدائية : مثل الدبكات ، والرقص الشعبي ،

والموسيقى الشعبية ... الخ " (1).

الأدب الشعبي :

يعد الأدب الشعبي ، رافدا مهما من روافد التراث الشعبي . وهو الرافد الذي يعبر عنه بوساطة اللغة ، " ومن الدارسين من اعتبر الأدب الشعبي مرادفا لمصطلح التراث . معتبرا أن التراث ألوان مختلفة من أشكال التعبير الفني ، التي تستخدم الكلمة المنطوقة أداة لها ، وعلى هذا فمن الممكن تحديد التراث بأنه فن قولي ، والتراث بجميع أشكاله متعلق بالأدب " (2) . ومع أن هذا التعريف الإجرائي يبرز أهمية الزاوية التي يحتلها الأدب الشعبي في التراث . ويركز على أهمية اللغة في الأدب باعتبارها ظاهرة إنسانية ، واجتماعية . إلا أنني أرجح أن الأدب الشعبي يشكل قاعدة مثلث التراث . وضلعاه : الفنون الأدائية ، والحرف اليدوية . وتركز الدكتور " نبيلة إبراهيم " ، على دور اللغة في الأدب الشعبي " وذلك بفضل قيمة الكلمة في كل صورها ، فالإنسان لا ينطق بكلمة - فضلا عن أن يستخدمها في تعبير أدبي - إلا إذا كان وراء ذلك مغزى " (3) . ان استخدام اللغة وسيلة للكشف عن خلجات النفوس الشعبية ، واهتماماتها الروحية ، يفتح المجال واسعا أمام دارسي التراث بشكل عام ، والأدب الشعبي بشكل خاص لتحليله . فاللغة في هذه الحالة أشبه بقطعة الآثار التي يلتقطها المؤرخ ، ويدرس فيها التاريخ ، والحضارة ، والتطور لأمة من الأمم ، أو حتى للإنسانية ويتحدث الدكتور يحيى جبر عن دور اللغة في الكشف ، ويربط هذا الدور مباشرة بالتراث فيقول : " وليس عسيرا على العلماء أن يحسبوا عمر الأحداث المختلفة بمخبراتهم وبأدواتهم المختلفة ، هذا إذا توفرت لديهم معلومات تدور حولها وتكشف النقاب عنها . غير أن ثمة قاموسا يتضمن

(1) الساريسي ، عمر ، ماهية الفلكلور ، مجلة الفنون الشعبية العدد 1 ، كانون ثاني ، 1974 . ص 13 .

(2) العنتيل ، فوزي ، الفلكلور ما هو ؟ دار النهضة للنشر ، القاهرة ، د . ت ، ص 33 .

(3) إبراهيم ، نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار المعارف بمصر ، ط 3 ، د . ت ، ص 3 .

الأحداث كافة ، طبيعية كانت أم حضارية ، ويكشف عنها ، ويحدد أزمانها باستقراء العلاقات التي تربط بين نتائجها والقرائن التي ترشحها ، هذا القاموس هو اللغة ، أما ما يحدد أزمانها فالتراث بألوانه المختلفة . وتوجيه ذلك أن اللغة والتراث يجمعان المعاني التي تعبر عنها الأحداث . إذ ما اللغة إلا تعبير عن النشاط الطبيعي والبشري ، وكل نشاط حدث . واللغة والتراث ، أدق في الكشف عن الأمور من سواهما ، ذلك بما يقدمان شريطا متواصلا للحدث ، أو الذات مما يكشفان عنه ، ويتم ذلك بتعقب التغيرات التي طرأت على دلالة اللفظ الذي يعبر به عن الحدث أو الذات " (1) .

ومحاولة للتوضيح ، لو أخذنا المثل الشعبي " ظب قرشك ليبيض ليومك لسود " وحاولنا تحليل هذا المثل لغويا فإننا نجد أن الزمن الذي قيل فيه هذا المثل ، زمن ساد الفقر والحاجة ، والآ لما كُنّي عن أيام هذا الزمن باللون الأسود . وزاد هذا السواد حلاكة وظلاما باقترانه بالقرش الأبيض . فالضد يظهر لونه الضد . وهنا يظهر أيضاً أن القرش هو العملة المتداولة في ذاك الزمان . وصيغة الأمر (ظُبْ) * تدل على اعتماد المرء على نفسه في الكسب ، لسد عوزة ، وانتفاء دور الدولة في ضمانها الاجتماعي والاقتصادي للأفراد . ولو حاولنا المزيد من التحليل ، وبمساعدة قرائن أدبية أخرى ، لاستطعنا أن نحدد - ولو على وجه التقريب - الفترة الزمنية التي بدأ يستخدم بها هذا المثل . ومن هنا يمكن اعتبار هذا المثل ملمحا من ملامح تلك الفترة .

إن إشكالية اللغة ، التي يقوم عليها مجمل الفنون القولية التلقائية ، التي تتمثل في صفة هذه اللغة : عامية ، فصحي ، دارجة ، وطريقة نقلها من جيل لآخر ، سواء أكانت شفاهية ، أم مطبوعة ، " كل هذا جعل تحديد الأدب الشعبي أمر يختلف عليه النقاد ، ودارسو الأدب ، بيد أننا نجد ثلاثة مفاهيم لمصطلح الأدب الشعبي :

(1) جبر ، يحيى ، نحو دراسات وابعاد لغوية جديدة ، نابلس ، الطبعة الأولى ، د . ت ، ص 75 .

* ظب : انخر . محرفة عن ضب ، من ضب بمعنى الصق وأحكم الباب .

- الأدب الشعبي لأية أمة : هو أدب عاميتها التقليدي ، الشفاهي ، مجهول المؤلف ، المتوارث جيلا عن جيل " (1) وهذا الرأي يسقط من الأدب الشعبي ، أدب الفصحى ، وأدب العامية المكتوب ، والأدب المعروف مؤلفه . لا أعتقد أن اللغة سواء كانت فصحي أم عامية ، تصلح معيارا للأدب الشعبي . وكثيرة هي الشواهد التي تدحض هذا الرأي " فالشعر الجاهلي الفصيح الذي وصل إلينا هو شعر شعبي ، على اعتبار أن الجماهير ظلت تتداوله وتتوارثه حتى تم تدوينه في العصور الإسلامية الأولى " (2) . فكثيرا ما تردد أن الشعر الجاهلي ديوان العرب ، ومن هذا القول حاول غير دارس استنباط أنماط الحياة العربية الجاهلية بمختلف مناسطها من هذا الشعر ، باعتباره ممثلا للحياة الجماعية الشعبية في حكمتها وتصوراتها ومواقفها العاطفية والفكرية ، يقول الدكتور عبد المنعم الزبيدي : " يمثل الشعر الجاهلي شأنه شأن أي أدب جماعي أو شعبي الطابع حكمة العرب ، وعلمهم ومعتقداتهم وتصوراتهم ومواقفهم العاطفية والفكرية ، التي كانوا يتناقلونها مشافهة أي دون اعتماد على الكتابة والتدوين ، وتتضح فيه ثقافة الجماعة وتقاليدها الفنية العامة وتجربتها في الحياة ... أكثر مما تتضح فيه ثقافة الفرد وموهبته وتجربته أو تصوراته وأفكاره ومشاعره الفردية الخاصة " (3)

إن هذه السمات التي ارتأها الباحث الزبيدي في الشعر الجاهلي تجعل منه أدبا شعبيا . فالشاعر الجاهلي روِّ ومؤلف في الوقت نفسه ، وقصائده إعادة أو تكرار لقصائد سابقة ، وتركيب أو خلق جديد لها في آن معا " (4) فالشاعر الجاهلي ، سمع وحفظ ، ونسج شعره على مثال سبقه واضعا في هذا الشعر صورا

(1) الصالح ، احمد رشدي ، الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط3 ، 1971 ، ص 14 .

(2) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، عمان ، الطبعة الثانية ، 1989 ، ص 317 .

(3) الزبيدي ، عبد المنعم خضر ، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي ، منشورات جامعة قاربنوس ، ليبيا ، 1980 ،

ص 283

(4) الزبيدي ، المرجع نفسه ، ص 284 .

استجذت ، أو معان استقرت في الذهن ، وهنا كانت تجربة الشاعر الذاتية ، وموهبته الفردية الخاصة .

إن هذه الصورة التي رسمها الباحث الزبيدي للشاعر الجاهلي تذكرنا بصورة الشاعر الشعبي ، حامل الربابة ، قاصد الدواوين ، والراوي لمأثورات الأجداد شعرا ، وحوله مجموعة من المتلقين يسمعون . ولم يكن يتورع هذا الشاعر من تعديل شعره المنظوم ، أو تحريفه بما يتلاءم وطبيعة ذوق المتلقين ، وما يتناسب مع مستوى ثقافته وحفظه لهذا التراث . وتلك هي صورة الشاعر " لقد كان الشاعر الجاهلي مغني القبيلة وقاصها وراويتها وحامل تراثها ، وهو في نقله لهذا التراث لا ينقطع عن إعادة تركيبه وتأليفه وصياغته ، والمزج بين عناصره والتعديل فيه والإضافة إليه ، وهو في هذا التأليف والتركيب ، أو الصياغة والنظم ، يتبع تقاليد وأساليب عامة موروثة ، ولكن عمله لا يخلو من مظاهر فردية خاصة وجهد مبدع " (1) خلاصة القول أن هذا الأدب وبما احتواه من مأثورات تمثل الوجدان الشعبي الجمعي والذي انتقل مشافهة من جيل لآخر ، اعتمادا على الذاكرة ، وكان نصيب الفرد أقل من نصيب الجماعة ، يمكن تصنيفه بسهولة تحت عنوان الأدب الشعبي . وكثيرة هي الأشعار التي توالى بعدها الشعر بعربية فصيحة ، ولكنها نمت عن معان شعبية ، ولربما أوضح تمثيل على ذلك ما قاله بشار بن برد :

رباب ربة البيت	تصب الخل في الزيت
لها عشر دجاجات	وديك حسن الصوت (2)

ولعل الأغاني والأناشيد التي نحفظها عن ظهر قلب ، قيلات بلغة فصيحة ولكنها بحكم معانيها وتداولها ، وتوارثها ، ظلت محافظة على طابعها الشعبي : -

طلع البدر علينا	من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا	ما دعا لله داع

(1) الزبيدي ، المرجع السابق نفسه ، ص 284 .

(2) بشار بن برد ، ديوانه ، الجزء الرابع ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ص 27 .

ويا أمانة بشراك سبحان من أعطاك الخ ...

ولا يعير الباحث نبيل علقم اللغة التي يصاغ بها الأدب الشعبي أي اهتمام ، سواء أكانت هذه اللغة فصيحة أم عامية " الأدب الشعبي هو ما يكتب بلغة الشعب في أي موضوع وهو الأدب مصورا ملامح الشعب ، معبرا عن آماله ، وآلامه ، سواء أكتب باللغة الدارجة أم الفصحى " (1)

ويميل علقم إلى التركيز على الوجدان الجمعي للجماعة ، والتي عبّر عنها هذا الأدب . من خلال تصوير هذا الأدب آمال الشعب والآمه . ويلتقي مع هذه الرؤية إلى حد بعيد الباحث "نمر سرحان" ، الذي يعتبر نوع الوجدان الذي يصدر عنه الأدب هو المعيار ، يقول : " أدب العامة والأدب الشعبي ، فأما الأول فهو أدب صيغ بلغة العامة ليعبر عن وجدان فردي ، وأما الآخر فهو أدب صيغ بلغة العامة ، ولكن ليعبر عن وجدان جمعي شعبي ، واستعمل الشعر الشعبي العامية والفصحى لغة له . ولا تتبع مميزاته من استعماله للهجة بل من تعبيره عن وجدان جمعي للجماعة ، واستجابة هذه الجماعة له بتداوله وتوارثه " (2) .

القضية الثانية الجديرة بالنقاش لتسليط الضوء على هذا الأدب ، هي مسألة هل هو أدب مكتوب ، أم أدب مشافهة ؟

هل هو أدب معروف المؤلف أم مجهوله ؟ وما يضير الأدب أن يكون مكتوبا ، أو شفاهيا ، معروف مؤلفه أم غير معروف . أن هذه القضايا سواء أجيب عليها بالإيجاب أم بالنفي ، لا تخرج الأدب عن دائرته . ولا تحرمه شعبيته ، فكثيرة هي أغاني الاصفهاني التي تتسم بشعبيتها ، مكتوبة ، ومعروفة المؤلف . إن معرفتنا " بكليّة ودمنة " ، ومؤلفه أو مترجمه " ابن المقفع " ، لا يخرج المؤلف عن شعبيته ، ولا يبعد الوجدان الجمعي عن الاحتفاء به ، ويعزز التحديد الثاني للأدب الذي رآه " أحمد صالح " ، هذا الرأي ، " الأدب الشعبي ، هو أدب العامة ، سواء

(1) علقم ، نبيل ، مدخل لدراسة الفلكلور ، منشورات جمعية إنعاش الأسرة ، البيرة ، ط 3 ، 1977 ، ص 33 .

(2) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، مرجع سابق ، ص 318 .

أكان شفاهايا أم مكتوبا ، أو مطبوعا ، وسواء أكان مجهول المؤلف أم معروفه ، متوارثا عن السلف السابق ، أو أنشأه معاصرون معلومون لنا " (1) هذه الرؤية هي الأقرب لمفاهيم التراث المرنة ، ومصطلحاته . فالأدب الشعبي ، وهو جزء من هذا التراث ، لا يلتزم بقواعد مسبقة ، إنما هو أوعية مطاطية تتقوّل ، وتتّشكل تبعا لما يخدم الجماعة . فهو فصيح ، وعامي لغة . وهو مكتوب وشفاهي نقلًا .. وهو معروف المؤلف ومجهوله مصدرا ، ملكا للشعب ، معبرا عن وجدانه . وهذا ما عناه الباحث الصالح ، بالمحدد الثالث للأدب ، وهذا المحدد - والذي رآه غير باحث - يعتمد على محتوى الأدب ، لا شكله . أي يعتمد موضع التجربة الفنية فيه ، لا اللغة التي يستخدمها أصحابه ، أو طريقة نقله من جيل لآخر . " فهو أدب معبر عن ذاتية الشعب ، مستهدف تقدمه الحضاري ، راسم لمصالحة يستوي فيه أدب الفصحى ، وأدب العامية وأدب الرواية الشفهية ، وأدب المطبعة . والأثر المجهول للمؤلف ، والمعروف له " (2) .

هذه هي صورة الأدب الشعبي ، وهي صورة زاخرة بالحياة ، باعتبار هذا الأدب نتاج اجتماعي ، وتعبير عن الحياة الاجتماعية خلال تطورها ، وفي مختلف مراحلها " فالأدب انعكاس للعمليات الاجتماعية الكبيرة التي يمارسها المجتمع بمختلف فئاته " (3) . إضافة إلى ذلك فهي " تعبير فني يتذوقه القاريء أو المستمع ، مؤلف من أفكار ، ومخيلة وعواطف ، تصدر عن قوى الإنسان الأدبية : العقل ، والمخيلة ، والشعور " (4)

(1) الصالح ، احمد رشدي الأدب الشعبي ، مرجع سابق ، ص 14 .

(2) الصالح ، احمد رشدي ، الأدب الشعبي ، مرجع سابق ، ص 16 .

(3) د . باغي ، عبدالرحمن ، حياة الأدب الفلسطيني الحديث ، بيروت 1968 ، ص 8 .

(4) علقم ، نبيل ، منخل لدراسة الفلكلور ، مرجع سابق ، ص 34 .

سمات الأدب الشعبي : -

إن من أهم السمات التي يتميز بها الأدب الشعبي سمة المرونة ، التي تكاد تكون مطلقة محيطية بكل جانب من جوانب هذا الأدب كاللغة والموضوع ، والشكل ، والوسيلة ، وطريقة التداول والانتشار . فمرونة اللغة تأخذ صورا وأشكالا متعددة ، فقد يستخدم الأدب الشعبي ، " لغة فصحي ، وقد ييسرها ويسهلها فتصبح فصحي ميسرة ، تقارب العامية في الشكل الظاهري " (1) . وقد تكون عامية ، مشبعة بروح الريف متداولة بشكل يومي " (2) . ولا يلقي الدكتور " يحيى جبر " أي اهتمام لنوع اللغة المستخدمة في الأدب الشعبي ، فيذكر في بداية بحثه " القصيدة الجاهلية تتناسخ في الشعر الشعبي " (نؤثر تسمية هذا الأدب الشعبي كي لا نضطر إلى وضع العامي صفة للأدب الشعبي والفصيح للأدب الرسمي ذلك أن من الفصيح ما غدا شعبيا باستطارة أمره وذيوع خبره وكثرة تداوله " (3) . وهذا يدفعني إلى القول أن الأدب الشعبي لم يحفل باللغة كغاية بل هي وسيلة من وسائل التعبير لتحقيق غرض من الأغراض وهذا القول يوافق ابن جني في تعريفه للغة " بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم " (4) .

ليس غريبا ، أن تتحكم مرونة اللغة هذه في شكل العمل الأدبي ، لتخلق منة شكلا فضفاضاً مرناً يتسع في بونقته كل أغراض القوم ومرادهم . فاللغة " تنتج حينما تثمر وهي قادرة على الخلق فاللغة تخلق الشكل أو الصورة ، وذلك عندما توجه توجيهها أدبيا ، وهي تصنع بذلك ما يصنعه الصانع حينما يستغل المادة الطبيعية في خلق شكل أو صورة جديدة " (5) . فاللغة التي يصاغ بها الأدب هي التي تشكله ، بشرط أن يتحقق الغرض من هذا الأدب ، وهذه هي السمة الثانية لهذا الأدب " وهي مرونة الشكل " فهو لا يحدد لنفسه شكلا معينا ، ولا يأنف لنفسه أي

(1) ذهني ، محمود ، مرجع سابق ، ص 36 .

(2) الحاوي ، إيليا سليم ، نماذج في النقد الأدبي ، دار الكتاب ، بيروت ، طبعة 1996 ، ص 19 .

(3) جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ في الشعر الشعبي ، المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج ، النوحة ، قطر ، عدد 43 ، سنة 1996 ، ص 46 .

(4) د . جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية ، مرجع سابق ، ص 37 .

(5) د . إبراهيم ، نبيلة أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، مرجع سابق ، ص 7 .

شكل يجد فيه تحقيقاً لأهدافه ومرامييه فقد تقال حكاية ما ، يعزز هدفها أو غرضها بمثل ما ، ويمكن أن تحول هذه القصة إلى أغنية شعبية " (1) يسهل هضمها وتمثلها. واستعرض هنا صورا مختلفة لمفهوم واحد وذلك على سبيل المثال : يقال في المثل " طب الجرة ع سمها بتطلع البنات ع ثمها " * يدلل هذا المثل على مفهوم قيمي أخلاقي ويعلن صراحة أن العرق دساس " ويعطى الذكور في الابتعاد ، وعدم الاقتران بنساء (لا اصل لهن ولا فصل وغير مسنسلات الجدود) ، لان نتيجة هذا الاقتران ، ستكون وبالا على الزوج وستؤدي إلى نتائج سلبية مستقبلية ، ويصب هذا المعنى في بوتقة أخرى ليأخذ شكلا شعريا .

يقول الشاعر مصطفى خشمان * في هذا المعنى : -

بنت الردي لوز هت بالعين ما يرفع الراس طاريها
ونا رمانى عليها الزين قطّة ليالي وخليتها (2)

ويقول آخر (3) في المعنى نفسه ، وفي مجال الوصايا والعظات : -

دور على اللي منسبين جدودها لو يذكروها في تهامة بيمنها
ترى النساء أنواع واسأل امجرب بنت الحليلة تتعرف من رسنها
وترى الحليلة اللي خانت عهد رجلها لا رجا منها ولا رجا من ابنها
وشاعر آخر (4) يدلي بدلوه ليغترف المعنى نفسه ويقول " بنت الردي " لا تصلح زوجة ، ولو زهت بالعين " ، لان نسلها لن يكون صالحا : -

بنت الردي لا تؤخذها بمالك لو انها شبه شمس في ظهاها
بيجي منها صقيع الذقن مخول يا خلق الله ياما أردى طناها (5)

(1) الحاوي ، إيليا ، نماذج في النقد ، مرجع سابق ، ص 29 .

* من الأمثال الشعبية العامة ، مما سمعه الباحث في البيئة المحلية .

* مصطفى خشمان ، شاعر شعبي ، وباحث في التراث ، يعمل في جامعة معان الأردنية

(2) زهت بالعين : بانث جميلة ، طاريها : سمعتها ، خليها : اتركها

(3) الشاعر بيان الفارس ، وصايا .

(4) الشاعر محارب ذيب .

(5) ظهاها : ضحاها ، طناها : نسلها ، صقيع الذقن : سيء الخلق ، مخول : منسوباً لخاله ، بيجي منها : تلد .

ولمزيد من توضيح الصورة فانه يأتي بالضد ويمجد بنت الكريم : -

بنت الكريم خذاها بكل مالك وبيع رزقك واحطى في لقائها
بيحيى منها سخي الكف مخول وشاة النذل لظيفه حماها

" ونرى أن هذا المعنى نفسه ينتقل ليستقر في رحم حكاية من حكايات التراث :
" رجل أصر على الاقتران ببنت رغما عن إرادة أهله ، ولم يكن أهل البنت "
أجاويد " في نظر أهل العريس . وحصل " النصيب " ، وتزوجا و " خلفا " من
الأولاد ما شاء الله .. إلا أن الرجل عندما كبر وعجز ، لم يجد ولدا صالحا يرعاه
ويحترم " شيبته " ..

وتقول الأغنية الشعبية في " زفة العروس لبنت زوجها " : -

ديري ارجالك قدامك يا شلبية وانا ارجالي قدامي الفين ومية

ولا يمكن لهذه العروس أن بتقدمها هذا العدد المبالغ به من الرجال ، إلا إذا كانت
بنت " أصل وفصل " ، بنت عز وجاه ، ومولودة في بيئة كريمة .. هذا غيض من
فيض .. يتكرر المعنى بصور مختلفة ، تبعا للمرسل والمتلقي والمناسبة ، وكل هم
الصورة تحقيق المضمون والغاية ، والأثر العام الذي تتركه في المستقبل .

ومن ميزات الأدب الشعبي ، " محلية موضوعه " ، حيث يتسم موضوع
الأدب الشعبي بعموميته بحيث " يمس كل فرد من أفراد بقعة جغرافية واحدة ،
وهو أيضا خاص ، بحيث يحس كل فرد بأنه موضوعه الشخصي ، الذي يهمله
وحده أو يهمله قبل أي شخص آخر (1)

من البدهي القول أن الإنسان ابن بيئته ، كذلك أدبه ، ما هو إلا انعكاس أو
إفراز لمجمل تفاعل الإنسان مع هذه البيئة ، وتفاعله مع أخيه الإنسان . من هنا
تتأى محلية الأدب الشعبي الموضوع في البادية مثلا ، طبيعة ، وجوا ، ومناخا ،
وإنسانا ، تختلف افرازاتها الأدبية عن منطقة ريفية تختلف عنها في عناصرها .
فمفهوم الجمل مثلا في البادية ، ودوره وأهميته وتعلق البداوة به ، يختلف عنه في
الريف ، واختلاف المفهومين يؤدي بالتالي إلى اختلاف في رسم لوحات الجمل

(1) د . ذهني ، محمود ، مرجع سابق ، ص 37 .

الشعرية . أو في الكتابة النثرية عنه بين بيئة بدوية ، وأخرى ريفية (1) . ويطرد هذا المثال ، مع كل المفاهيم التي يمكن أن تكون مواضيع لأدب شعبي في بيئة معينة . فالمرأة في الريف مثلا ، والدور الذي تقوم به ، يختلفان عن دور المرأة البدوية ، من هنا فإن أدب المرأة في البادية يختلف عنه في الريف . وقد قيل " ما يفهم رطني إلا ابن بطني " ، وهذا المثل كناية عن أن ابن البيئة هو الذي يفهم أدبها ويقدره أكثر من غيره ، وهو بالتالي الذي يتمثله ويستوعبه .

" لا شك أن الفنون القولية تتميز بالبساطة والعفوية ، والتلقائية ، وذلك أن الفنون نفسها صادرة في معظمها عن عفوية أصيلة ، وطبع سليم . ولما كان الأدب الشعبي حيا متطورا بشكل مستمر ، حتى يبقى جاريا مع روح العصر ومتغيرات الحياة ، فإن طابع العفوية والارتحال والسرعة ، يصبح سمة مميزة له . ويترتب على ذلك أن تراكيبه وأساليبه في التعبير ، تأتي عفوية ، بسيطة ، خالية من التصنع والتكلف . وأن هذه الأساليب والتراكيب معنية بنقل الأفكار والمعاني بأقصر الطرق وأيسرها . لذلك لن تجد أنواع القوالب البلاغية وأشكالها - المتعارف عليها - في هذا الأدب ، فهو لا يحفل بالصناعة اللفظية ، ولا يعتمد التعبير بأساليب الفصحى ، مع انها قد تقع عفو الخاطر ، ودون قصد ، وإنما يحفل دائما بتحقيق الغاية ، وأداء الوظيفة فيما يتركه لدى ممارسيه ، ومستقبله من أثر عام " (2) . ويذكر د . الشيبني هذا ويضيف سمات أخرى منها : " أن الأدب الشعبي يعني بتسقيق المعاني ، ويعني كذلك بالتححرر من قيود النحو والإعراب " (3) ، ويعتمد الأدب الشعبي على بساطة الصورة وسذاجتها ، ومعظم هذه الصور حسية تعتمد الذوق الشعبي العام ، وتتكى على حاسة الشم ، واللمس ، والبصر . " ولعل سبب ذلك يعود إلى :

1. تعبير الصورة عن الفطرة ، بمعزل عن التكلف والتصنع .

(1) ما سمعه الباحث من البيئة المحلية .

(2) د . البرغوثي ، عبداللطيف ، الأدب الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، المجلد الثالث ، العدد الثاني ، سنة 1978 ، ص 141 .

(3) د . الشيبني ، كامل مصطفى ، الأدب الشعبي بمفهومه وخصائصه - ، المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، الدوحة ، قطر ، العدد الأول ، سنة 1986 ، ص 24 .

2. أن الفنان الشعبي ، أو المبدع ، لا يجد الوقت ليخلق في الخيال ويرسم الصورة والتشابه البعيدة .

3. أن عامل الشعبية بما يتضمنه من معاني التداول ، والانتشار ، يؤثر تأثيرا مباشرا في حفظ الصورة في أثناء نقلها ، وانتشارها المستمر بين أفراد السواد الأعظم في المجتمع " (1) .

العلاقة بين الأدبين : الرسمي والشعبي

الغاية من الأدب بشكل عام ، سواء أكان هذا الأدب شعبيا أم رسميا ، واحدة تتمثل في تلبية احتياجات الإنسان المادية والمعنوية وإشباعها . من هذا المنطلق تكمن العلاقة التبادلية التصالحية - إن جاز التعبير - بين شقي الأدب . هذا المنظور التوفيقي - في رأيي - يصلح أساسا لدراسة مساحة التقاطع المشتركة بين الأدبين ، والعلاقة بينهما .

والعلاقة بين الأدبين لم تكن عبثية ، لأن اتكاء أحدهما على الآخر يسهم في إغنائه وإثرائه ، وتعميق أغراضه وتجذيرها . وليس من العسير تلمس هذه العلاقة التبادلية ؛ فاعتماد الشعبي على الرسمي يظهر بوضوح في موضوعه الذي يطرقه ويظهر في اللفظ ، والمعنى ، والصورة أيضا . ففي مجال الحكاية مثلا ، نرى أن موضوعها لم يأت من فراغ ، فلا بد لهذا الموضوع أن يعتمد على بيئة معروفة . أو زمان معروف ، أو بطل تاريخي معروف ، فلا أدب بلا أصل يرتكز عليه ، وينبثق منه . وقد يكون هذا الأصل - المشكل لموضوع - حقيقيا أو رمزيا . ومن هنا كان اقتراض الأدب الشعبي لشخصية عنتر بن شداد . فالأدب الرسمي رسم لنا شهامة عنتر وفروسيته ، وحاول أن يرمز - على استحياء - إلى بعض جوانب التفرقة اللونية بين العربي الأصل ، والعبد الأسود . إلا أن الأدب الشعبي وسع صورة البطل ، وحلق بها عاليا في جو القيم العربية ومثلها . وتمثل ذلك في ارتكازه على ما ورد في الأدب الرسمي من فروسية عنتر وشهامته " إلى جعل البطل ثمرة من ثمرات البداوة في الجاهلية ، وهذا البطل كشف عن اعتصام الشعب

(1) إفخيدة ، علي محمد ، الصورة في الأغنية الشعبية ، مرجع سابق ، ص 43 .

بعروبته ، وبخاصة عندما أحس بوجودانه القومي ينبض دفاعا عن الحمى والنفس ، بعد انحسار موجة الفتوح الإسلامية ، واستئثار غير العرب من الممالك وأشباههم بمقدرات الحكم في أجزاء الوطن العربي " (1) . من هنا نلاحظ كيف استعار الأدب الشعبي صورة عنبرة من الأدب الرسمي ، وطور هذه الصورة ، وجعل أهدافها ، وغاياتها تتعاضد ، من أهداف فردية ضيقة ، إلى أهداف وجدانية قومية . لقد حولت هذه الحكاية بطلها من مجرد فارس ، إلى بطل قومي يقتدي به كل شرفاء الأمة في معاركهم لتحرير أرضهم من الاستعمار ، أو أنفسهم من استغلال الآخرين لمقدراتهم ، ويات البطل محفورا في وجدان الأمة الجمعي ، حتى " غدت معرفتنا به أعمق من معرفتنا للشخصيات الحية التي تعيش معنا " (2) ، وهذا لم يكن ليحصل إلا بوساطة الأدب الشعبي .

وفي المقابل لم يكن الأدب الشعبي ليخل على قسيمه الرسمي ، بلفظه ، أو صوره ، أو قصة ، أو حدث . بدأت فكرة العلاقة بين الأدبين تتطور - وبشكل مقنن - " بالحركة الرومانسية ، التي ساندت حركات التحرر القومي الأوروبي في القرن التاسع عشر ، وثار على الظلم والاستبداد ، وخرجت على كل ما هو كلاسيكي ، فقامت تنقل الاهتمام من الآداب المدونة إلى الشفاهية ، ومن أدب المدينة إلى أدب الريف ، وترجم اهتمامها بالشعب ، من خلال جمع أغانيه الشعبية ، وتقديس كل ما هو وطني . ففي ألمانيا قام مؤسس الحركة الرومانسية " هيردر " " بجمع الأغاني الشعبية من أفواه أفراد الشعب ليثبت أصالة الألمان وعبقريتهم . وقام الإخوان " جرايم " بجمع النصوص الشعبية خوفا من ضياعها ، وتأكيدا للهوية والقومية " (3)

(1) يونس ، عبد الحميد ، الإبداع الشعبي ، المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، العدد الخامس ، السنة الثانية ، 1987 ، ص 36 .

(2) انظر في ذلك : د. إبراهيم ، نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، مرجع سابق ، ص 7 .

(3) صالح ، أحمد رشدي ، الفنون الشعبية ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، القاهرة ، طبعة 1961 ، ص 29 .

أن ما قامت به الحركة الرومانسية من " ثورة على الكلاسيك ، وبعثها فكرة القومية ، والشعبية ، والعودة إلى التراث في عملية الخلق الأدبي ، كانت قد فتحت بعدا إبداعيا هائلا ، ونافذة تكشف عن تلك المساحات ، والمناطق ، التي تتخطى قواعد التحريم ، وحدود الأخلاق ، والعرف الاجتماعي والسياسي " (1) . هذه المساحات كانت مغلقة ، بل محرمة على المبدعين في العهد الكلاسيكي . وهنا تتجسد عبقرية الأدب الشعبي ، في ردف العملية الأدبية الإبداعية برمتها . وتذهب الواقعية إلى أبعد من الرومانسية ، في توظيف التراث الشعبي في الإبداع الأدبي ، ويذهب بعض الأدباء العرب الداعين لها شأوا بعيدا في التطرف بتطبيقها ، فقد " ظهر منهم من يريد أن يهبط باللغة والأسلوب إلى مستوى الأميين ، فيكتب لهم بالعامية ، ويدني المعاني من إفهامهم بتجريد الأسلوب من خصائصه البلاغية وسماته الجمالية ، حتى لا يكون الأدب في ذاته غاية يصفو به الذوق ، وتسمو به الروح ، وتجل به الحياة " (2) . انها كلمة حق يراد بها باطل ، إن توظيف التراث بهذا الشكل السلبي ، يثير الكثير من الشكوك حول القائمين عليه ، ولا يثري أدبا .. بل لا يخلقه ، بقدر ما يدمر تراثا أدبيا عربيا رسميا نعتز به أيما اعتزاز .

ويستعرض الدكتور إحسان عباس مزايا استخدام أو توظيف التراث الشعبي في الشعر الرسمي فيقول " وللتراث الشعبي ميزة هامة لأنه تراث قريب وحي ، وحين يلجأ إليه الشاعر لا يحس انه متقل بما في الماضي الطويل من خلاقات ومشكلات ، وقد وضع هذا بقوة في الأعمال المسرحية ، فلو فرضنا أن مسرحيا كتب روايته الشعرية عن زهران (أو الفتى مهران) أو عن جميلة بوحيرد أو أمثال هؤلاء (مثل عبدالكريم الخطابي ، أو عمر المختار ، أو عز الدين القسام) ، كان بذلك يختار (بطلا) ممثلا لظرف تاريخي ، لا يدور حوله خلاف كبير بينما إذا اختار الحلاج أو الحجاج ، فانه لا بد أن يبذل جهدا مضاعفا لتخطي الحقائق

(1) سلام ، رفعت ، بحثا عن التراث العربي ، مرجع سابق ، ص 237 .

(2) د. خفاجي ، محمد ، النقد العربي الحديث ومذاهبه ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، القاهرة ، طبعة

1975 ، ص 130

التاريخية الراسخة في النفوس على اختلاف هذه الحقائق لدى مشاهدي مسرحيته (1). أقول وهذا يتأتى من دور الأدب الشعبي ، في معاملته مع النص الرسمي ، فالأدب الشعبي بطبيعته أدب مرن ، ويعمل بتقنياته على توجيه المتلقي إلى الزاوية التي يقصدها هذا الأدب من النص ، والأدب الشعبي يمتلك قدرات كبيرة في التعديل ، والتحوير ، والإحياء ، واختصار المسافات ، والأزمنة في النصوص الرسمية . ويتابع الدكتور عباس ، عرض هذه المزايا " الجاذبية في التراث الشعبي تكمن في أنه يمثل جسرا ممتدا بين الشاعر والناس من حوله ، فهو بذلك يؤدي دور المسرحية - إلى حد ما - في إيقاظ الشعور القومي وإيقاظه حيا ، ولهذا لا غرابة أن نجد الإقبال على هذا اللون التراثي كبيرا عند شعراء الأرض المحتلة ، وبخاصة عند توفيق زياد وسميح القاسم ، حيث يتسع صدر الشعر للفظه الدارجة ، والمثل الشعبي ، والعادات الشعبية ، والأغاني . فهناك إحساس بان الاتكاء على هذا التراث ، لا يكفل التجاوب الأوسع مع ذلك الشعر وحسب ، بل يقدم أيضا شهادة على الاعتزاز بالمووروث المشترك ، ويكشف عن خوف دخيل من ضياع رابطة تعد مقدسة ، حين تتعرض أقلية ما للانصهار في تيار كبير ... وتمثل الأغنية الشعبية منعطفا هاما في قصيدة سميح ، بل هي تحتل أحيانا دور الخرجة في الموشح ، أعني أنها تعتمد أولا ، ثم تبنى للقصيدة على وفقها وأوضح مثل على ذلك قصيدته " مغني الربابة على سطح من طين " فان الأغنية هي المحور وما يجيء قبلها أو بعدها إنما هو أشبه بالفاتحة والتعليق على المتن : " (2)

" على سطح من طين "

تئن ربابة المأساة في كفين من حجر

فتسقط ادمع القمر

ويصعد صوت محزون

(1) عباس ، إحسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، الأردن ، عمان ، ط2 1992 ، ص 118 .

(2) انظر في ذلك : إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 118 وما بعدها .

ينادي الإخوة الغياب في دنيا بلا خبر
يناديهم مع اللحن الفلسطيني :
طلع العشب عسوطو حكو ويبس العشب
يللي ع حد الأرض مرمين
ياريت تيجو تطلطلو عالتين
وتجبرو المشحرة أقلام العنب
ياريت تيجو ترشقو البيوت
وتصلحو البواب والسدة
وتتشلو حفنة مي للوردة " (1)

" إن استخدام الشاعر اللغة الشعبية التي عكست صوراً شعبية ، في قصيدته هذه هو استخدام لغة القبيلة ، وهي لغة الإنسان الاعتيادي ، التي أطلق عليها " وردزورث " (Language of the common) ، والتي تبنتها حركة الشعر الحديث بوصفها رداً على اللغة الكلاسيكية ، المليئة بالزخارف اللفظية والتصنيع والتأنق " (2) . وإن دلت هذه المقطوعة بهذا النسيج الشعبي على شيء فإنها تدل على ثقافة شعبية تلقائية ، يحاول الشاعر تعميمها على قطاعات الشعب المختلفة ، أمام المد الاستيطاني البشع . فهي ثقافة التشبث بالجذور العربية الفلسطينية ، ثقافة تثبيت الإنسان الفلسطيني على أرضه ، ضد عدو يحاول وبشتى الطرق اقتلاع الطرق اقتلاع هذا الإنسان وتهجيريه ، بل وطمس ملامح هويته أيضاً علاوة على ذلك فإن هذا التصور الشعبي أضفى على المقطوعة ، ملمحاً جمالياً شعبياً ، ونقل ألفاظها من نثرية بسيطة يومية لتصبح شعراً جميلاً رقيقاً يقاوم أشرس الهجمات الاستعمارية .

ولم يحفل شاعر بتوظيف الأدب الشعبي في قصائده ، بقدر ما حفل به محمود درويش ، والقصيدة الدرويشية ندر وإن تخلو من إشارة تراثية . فدرويش يلغي

(1) سميح ، القاسم ، ديوانه ، منشورات عريسك ، حيفا ، سنة 1980 ، ص 224-225 .

(2) د . الخطيب ، احمد ، ظواهر حديثة في شعر المقاومة ، منشورات الهيئة العامة لاتحاد الكتاب ، الطبعة الأولى ، 1996 ، ص 47 .

المسافة بينه وبين أبناء شعبه ، فهو منهم يعاني ما يعانون ، ويقا تل دفاعا عن أرضه وشرفه كما يقاتلون ويغني معهم كما يغنون :

يما ميل الهوا يما مؤاليا ضرب الخناجر ولا حكم النذل فيا (1)
وهذا هو لحن (عَ اليادي اليادي) ، يغنيه الرجال والنساء على السواء في الأفراح في بلاد العرب عموما ، يعبرون به عن معاني الحرية والفرح والارتباط بالأرض ومطلعه :

لطلع عَ راس الجبل واصيح وأنادي
واقول يا مرحبا نسّم هوا بلادي

وتكون " يما مويل الهوا " لازمة متكررة بين مقاطع اللحن ، وقد جاءت العبارة نفسها لازمة مكررة لمقاطع قصيدة درويش والتي عبر فيها عن النضال ، والانتماء ، والتمسك بالأرض والتراث والهوية . وفي موطن آخر يصور الشاعر لوحة عرس فلسطينية شعبية ، سرعان ما تتكرر هذه اللوحة بقصف الطائرات الإسرائيلية للمحتفلين بالعرس :

عاشق يأتي من الحرب إلى يوم الزفاف
يرتدي بدلته الأولى ويدخل .. حلبة الرقص حصانا
ذبل العاشق عينيه ، وأعطى يده السمراء للحناء

وعلى سقف الزغاريد تجيء الطائرات .. طائرات .. طائرات (2)
وهنا أيضا ومن توظيف الشاعر للأدب الشعبي ، فقد استطاع أن يمزج وباقتدار فني النضال الشعبي بالفرح الشعبي . " وتقيم القصيدة عرسا لعاشق يأتي مباشرة من الجبهة ليحتفل بزفافه .. ويشي السطر الأول بالحب والموت معا ، فالبداية ملمح للنهاية . هنا عرس بكل مكوناته الشعبية : زغاريد طويلة ، والتي تمتد حبلا يلتقي عليه العاشقان ، المنفى الذي تشارك أشجاره الغناء للعروسين . ومناديل

(1) ما سمعه الباحث من البيئة .

(2) درويش ، محمود ، الأعمال الكاملة ، (قصيدة آخر الليل) ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 14 ، 1996 ، ص 177 .

الحداد تشارك أيضا " (1) . ويذبل العاشق عينيه : ذبل العاشق عينيه ، وأعطى يده السمراء للحناء ، وهذا المقطع يتناص مع ترودة * شعبية تغنى في ليلة العروسين : -

سبل عيونه ومد أيده يحنونه
خصره رقيق وبالمنديل يلفونه

ولم يتوقف الشاعر عند هذه الصورة المستلهمة من التراث ، بل خلط هذه الصورة بصورة من صور التحدي الفلسطينية " فالتأثرات تقصف العرس ، ومع هذا لا يتوقف النضال والفرح ، ويستمر العرس ، بيد انه اخذ منحني جديدا ، ظهر في غناء الفتيات في المقطع الأخير من القصيدة ، والذي يوحى بالاستمرارية ببناؤه على نمط أغاني الأعراس ، التي تتكون عادة من أبيات قصيرة موقعة ، ذات قواف واضحة قوية ، ولزامة متكررة ترددها الفتيات استجابة للفتاة التي تغني وترقص في منتصف الحلقة ، وهذه اللزامة في القصيدة " يا محمد " والتي تكررت ثماني مرات .. استمر العرس ولكن على شكل مأتم ، وبهذا تتحول لازمة " يا محمد " المكررة ، صرخة ندب وتوجع ، خلقت بترديداتها وتوقيعاتها الخاصة حلقة (للردح) والتي تتشابه في هيئتها الخارجية مع هيئة العرس " (2) . ويقول درويش :

هذا هو العرس الذي لا ينتهي
في ساحة لا تنتهي
هذا هو العرس الفلسطيني
لا يصل الحبيب إلى الحبيب
إلا شهيدا أو شريدا (3)

(1) د. هشيش، إبراهيم ، دراسات في شعر درويش، المؤسسة العربية للدراسات، عمان، ط 1، 1998 ، ص 180.
* الترويدة : قالب لحنى في الأغنية الفلسطينية ، يغنى عادة في وداع العروس ليلة الحناء ، ويكون على البحر البسيط انظر

نمر سرحان : موسوعة الفلكلور ، مجلد 2 ، ص 83 .

(2) د . هشيش ، إبراهيم ، دراسات في شعر درويش ، مرجع سابق ، ص 180 .

(3) درويش ، محمود ، الأعمال الكاملة ، المجلد الأول ، مرجع سابق ، ص 514 .

انه العرس الفلسطيني بالصورة نفسها ، يبدأ فرحا وينتهي مأتما . ويعلق .
 د. فاروق مواسي على المشهد المكون من فرح وحزن ، زغاريد ودموع " العرس
 تقابله الزغرودة ، والزغرودة تحمل رائحة الدم ، الزغرودة ذات دلالة اجتماعية
 تأصلت بالذات في الشعب الفلسطيني ، حيث ارتبطت شهادته بالنصر ، فأصبح
 عريسا للأرض ، ولا بد أن يكون في ذلك الخصب والفرح " (1) . " لا شك أن
 العرس الفلسطيني مشهد تراثي ، اتبعه الشاعر في قصيدته ، مستغلا أبعاده ودلالاته
 القديمة ، مضيفا إليها من واقعه ، وواقع شعبه أبعادا ودلالات جديدة " (2) . ويعزو
 الباحث (عبدا لعزیز أبوهديا) انكاء الأدب الرسمي على الأدب الشعبي ، وتوظيفه
 " لغايات يتوخاها المبدع في تأثيره على المتلقي . ففي التراث الشعبي كثير من
 الظواهر الجمالية التي يستطيع المتلقي تذوقها .. وهذا التراث قريب من الذاكرة
 الشعبية يسهل استيعاب المتلقي له ، إضافة لتقديمه صورة دقيقة للبيئتين الزمانية
 والمكانية " (3)

أن المطالع ديوان جفرا للشاعر (عزا لدين المناصرة) يرى هذه الأهداف وقد
 تحققت في استلهم الشاعر لبيئته المحلية ، وزمانه المعاش ، ومخاطبته لأهله
 وأقاربه مصورا نضالاتهم ، وصراهم المرير مع الاستيطان الصهيوني يقول
 المناصرة :

ماذا أقول للكنعانيات
 أقول تمتطين حميركن
 نحو معاقل البدو الأثرية
 تبحنن قرب الاتافي والشيخ
 عن أوراق الخبيزة

(1) د. مواسي ، فاروق ، قراءات في الشعر الفلسطيني ، الجزء الأول ، دار الفاروق للفكر والثقافة والعلوم ،
 نابلس ، ط 1 ، 1996 ، ص 17 .

(2) د . إسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر - قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية ، دار الفكر العربي ،
 ط 3 ، 1978 ، ص 35 .

(3) انظر ، أبو هديا، عبدالعزيز التراث الشعبي منهل الأدياء والشعراء، التراث والمجتمع ، العدد 27 ، ص 27 .

لتطعمن صغاركن ... " (1)

ويقول أبو هدبا معلقا : " يريد المبدع الجمال والصدق وهما طريقه في الوصول إلى جماهيره ، وأبناء شعبه فكان عليه أن يرد منابع التراث لينهل من هذه الينابيع ما لذ وطاب من أغان وأمثال وأقوال " (2) . وينشد المناصرة:

يا بنات الخليل اللواتي

يتمشين قرب السرو والصنوبر

في شارع عين سارة

يا بنات الخليل اللواتي يمتشقن الغضب

في التظاهرات

يا بنات الخليل اللواتي

يقطعن قطوف العنب

كي يشرب الأسياد كؤوسهم

ولا يقتصر المناصرة على مناداة أهله ، وتصوير واقعهم ، وصراعهم المرير مع الصهيونية .. بل يغني معهم ، ولهم فيقول :

هيه هيه هيه هيه هيه هيه

يتشابك بالبطم وبالشربين

هيه هيه هيه هيه هيه هيه

تحمل في يدها سكين

جملو جملو عند البير

تتصيد رف عصافير

هيه هيه هيه هيه هيه هيه

طاف حوالها الولد الولهان

(1) المناصرة ، عز الدين ، نيوان جفرا، منشورات كاظمة الكويتية ، دار العودة ، بيروت، ط1، 1990، ص 40.

(2) أبو هدبا ، مرجع سابق ، ص 27 .

ها ها ها

أسامة العريس حنوه بالذما .. (1)

انه عرس فلسطيني آخر ، حاديه شاعرنا المناصرة ، الذي لم ينسلخ عن أبناء جلدته ، ولم ينس رائحة الأرض التي ولد منها .. وهذا الجسر المتين الذي شيده المناصرة بينه وبين متلقيه يوحى بدلالات الارتباط الواضحة بين الشاعر وقضية شعبه . وهذا ما أشار إليه أبو هدبا في دراسته " فكم من شاعر اختار كلمة عامية ، أو أغنية وضمنها قصيدته لأنه رأى فيها أدق العبارات في التعبير عن موقف ، أو وصف مشاعر أو رسم لصوره . إن الشاعر يوظف التراث لبناء جسر بينه وبين المتلقي لتسهيل الفهم وزيادة التأثير فيه " (2)

الشعر الشعبي : -

صورة من صور الأدب الشعبي المختلفة ، عبرت به - ومن خلاله - العامة عما يجول بخاطرهما في تجاربها الحياتية . بعبارة أخرى يمكن القول أن الشعر الشعبي هو إفراز ونتاج تفاعل العربي مع بيئته ، وتفاعله مع أخيه الإنسان . وهذا النتاج صور العربي في كل مناشطه ، واطهر لنا همومه ، وآلامه ، وآماله . صور حله وترحاله ، غزوه وحروباته ، صور شظف الحياة وقلة الموارد ، وأخيرا عبر عن مستقبله وطموحاته .

البدايات :

اختلفت الدراسات سواء منها القديم أو الحديث حول مكان ظهور هذا الشعر ونشأته ، واختلفت كذلك في تسمياته ، ولكنها في المقابل اتفقت حول سبب ظهوره ، وخصائصه .

أن نقطة الاتفاق المركزية ، التي انطلقت منها هذه الدراسات ، لتعليل أسباب

(1) المناصرة ، مرجع سابق ، ص 40 .

(2) أبو هدبا ، مرجع سابق ، ص 32 .

نشأ هذا الشعر ، هي نشوة اللحن في اللسان العربي ، نتيجة لاختلاط العرب الأقحاح في مرحلة الفتوحات الإسلامية وبعدها . يذكر " ابن خلدون " هذا التعليل في مقدمته فيقول : " فسدت اللغة نتيجة دخول الأعاجم إلى البوتقة العربية ، ونشأ اللحن ، وظهرت لغة مغايرة للفصحى حين فقدت الحركات ، والإعراب ، ومع هذا ظلت قادرة على توصيل المعنى " (1)

ويشير (القلقشندي) إلى ظاهرة اللحن التي تنفشي على ألسنة العامة ، حتى أصابت أهل الشعر ومبدعيه فيذكر لحن أبي نواس في قوله :
يا خير من كان ومن يكون
إلا النبي الطاهر المأمون
وهنا يظهر اللحن في رفع المستثنى من الموجب ، ويصل اللحن شعر المتنبّي ويصيبه ، ففي معرض وصفه الناقة يقول :

وتكرمت ركباتها عن مبرك
تقعان فيه وليس مسكا انفرا

وظهر اللحن في الجمع في حالة التنثية ، لان الناقة ليس لها إلا ركبتان ، وقد قال ركباتها " (2) . وجاء في العقد الفريد ، باب يدور حول الإعراب واللحن ومما جاء فيه " قال ابو عبيدة : مر الشعبي بقوم من الموالي يتذكرون النحو ، فقال لهم : لئن أصلحتموه ، أنكم لأول من أفسده .. قال ابو عبيدة : لينته سمع لحن صفوان ، وخالد بن صفوان ، وخاقان ، والفتح بن خاقان والوليد بن عبد الملك (3) . ولم يكن اللحن حكرا على العامة دون الخاصة ، بل أصابت عدواه أعيان القوم من خلفاء وغيرهم . " قيل لعبد الملك بن مروان : لقد عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين . قال : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن " . وكان عمر بن عبد العزيز جالسا عند الوليد بن عبد الملك ، وكان الوليد لحانا . فقال : يا غلام ادع لي صالحا . فقال الغلام : يا صالحا . فقال له الوليد : انقص ألفا ، فقال عمر : وأنت يا أمير المؤمنين زد ألفا " (4) . ويبدو أن ظاهرة اللحن كانت قد استفحلت ،

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ص 526 - 527 .

(2) القلقشندي ، أبو العباس ، صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، 1913 ، ج 1 ، ص 173 .

(3) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد عريان ، مطبعة الاشفاق بالقاهرة ، ط2 ، 1953 ، ج2 ، ص275 .

(4) العقد الفريد ، مرجع سابق ، ج 2 ص 275 .

وتجذرت في زمن الجاحظ ، حتى تولد عنها أنواع بسيطة من الأدب الشعبي ، وصفها الجاحظ بالملح والنوادر مذكرا بسماتها والطريقة الملائمة لتداولها وتلقيها ، يقول الجاحظ : " ومتى سمعت بنادرة من كلام الأعراب ، فإياك أن تحكيها إلا مع إعرابها ، ومخارج ألفاظها ، فانك ان غيرتها بان تلحن في إعرابها ، وأخرجتها مخارج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير * ... وكذلك إذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحمة من ملح الحشوة والطغام فإياك أن تستعمل فيها الإعراب ، أو تتخير لها لفظا حسنا ، أو تجعل لها من فيك مخرجا سريا * ، فان ذلك يفسد الإمتاع بها ، ويخرجها من صورتها ، ومن الذي أريدت له ، ويذهب استطابتهم إياها واستملاحهم لها " (1) . تتلمس من هذا النص للجاحظ حقائق كثيرة :

أولها : أن ظاهرة اللحن نفشت في المجتمع ، وأصابته حركات اللغة وإعرابها ومخارج حروفها .

ثانيها : برز من هذه الظاهرة نوعان من الملح والنوادر ، أحدهما رسمي يعنى بالإعراب والحركات ومخارج الحروف . والثاني بلدي ، عامي شعبي يحدد عن الإعراب والحركات والمخارج .

ثالثهما : يقر الجاحظ بان الغاية من هذين الأدبين هو الإمتاع . وفي الوقت نفسه لا يعيب الجاحظ أدب العامة ، أو الأدب الشعبي . بل نجد العربي يطرب للحن ، ويستعذبه " فعن مالك بن أسماء بن خارجة الفزاري قال :

منطق بارع ويلحن أحيانا وخير الكلام ما كان لحنا

ويعقب ابن عبد ربه : وذلك انه حكى نادرة مضحكة ، وأراد أن يسوفي حروفها حظها من الإعراب ، طمس حسننها وأخرجها عن مقدارها " (2) .

* عليك فضل كبير : غير بالغ قصدك .

* سريا : فخما ، شريفا .

(1) البيان والتبيين ، الجاحظ ، أبو عثمان عمرو ، حققه حسن السندوني ، المطبعة الرحمانية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، 1932 ، ج 1 ، ص 131 .

(2) العقد الفريد ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 277 .

ويظهر استملاح العربي للشعر الشعبي في قصة معبد والشامي ، التي وردت في أغاني الأصفهاني " إذ تعرف (معبد على الشامي) ، فدعاه إلى بيته وأكرمه ، واتى بشيخ فلما رآه هش له ، فاخذ الشيخ يغني :

سلور في القدر ويلي علوه جاء القط ويلي علوه

قال : فجعل صاحب المنزل يصفق ويضرب برجله طربا وسرورا . قال ثم

غناه :

وترميني حبيبة بالدراقن * وتحسبني حبيبة لا أراها

قال : فكاد أن يخرج من جلده طربا ، قال : وانسلت منهم وانصرفت " (1)

ويتفق الدارسون المعاصرون مع سلفهم ، أن ظهور اللحن على ألسنة العرب كان سببا أساسيا في نشأة الشعر الشعبي . " نشأ الشعر الشعبي المعاصر نشأة طبيعية وتدرج من الفصح إلى العامي ، فلقد كان هذا الشعر في الجاهلية وصدر الإسلام فصيحاً ، وبقي كذلك حتى منتصف القرن الرابع الهجري (عصر الاحتجاج) حيث بدا الوهن والفساد يدخلان إليه بفساد اللغة ، التي كان يتكلمها البداه ، وينظمون بها شعرهم ، وبدأ شيوع العامية بينهم " (2) . وهذا الرأي يتفق مع رؤية الباحث البرغوثي " قبل ظهور الإسلام كان ميزان الصراع اللغوي داخل شبه الجزيرة العربية ، قد رجح أولا في صالح لغة عرب الشمال على لغة عرب الجنوب . ثم بعد ذلك رجح ثانية لصالح قريش على بقية اللهجات العربية ، وتكرس انتصارها بنزول القرآن بها . انتشر الإسلام ، وبدأت الفتوحات ، فانتشر اللحن ، لأن الفصحى خاضت غمار معارك لغوية ، لم تكن أقل ضراوة وشراسة من

* السلور : نوع من السمك ، يكون بنيل مصر ، أملس ، بلا فصوص وبلا ريش ، وله رأس إلى الطول ، وفم مستطيل كالخرطوم .

لدراقن : الخوخ بلغة أهل الشام .

(1) الأصفهاني ، أبو الفرج الأغاني ، اشرف على مراجعته وطبعه عبد الله الملايلي ، دار الكتب المصرية ، 1967 ، المجلد الأول ، الجزء الأول ، ص 55 وما بعدها .

(2) د . مشاركة ، محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1988 ، ص 428 .

المعارك التي خاض غمارها الفاتحون من العرب المسلمين . وهي رغم انتصارها خرجت من تلك المعارك مثخنة بجراح ، كان أعمقها ظهور اللهجات العامية نتيجة الاختلاط بين العرب وغيرهم من الأجناس ، نتيجة احتكاك الفصحى باللغات الفارسية واللاتينية واليونانية " (1) ويؤكد الباحث نمر سرحان هذه الآراء في أسباب ظهور الشعر الشعبي ، إلا أنه يضيف سببا سياسيا آخر ، يتمثل في ظهور طبقتين اجتماعيتين إثر الفتوحات الإسلامية ، ولكل طبقة من هاتين الطبقتين حياتها الخاصة ، ومشاكلها ومشاكلها ، مما أدى إلى ظهور أدب العامة ، أو الأدب الشعبي إزاء نظيره الرسمي . " أما على صعيد وسائل الإنتاج والمركز الاجتماعي والاقتصادي والسياسي فقد أصبحت هناك طبقة غريبة حاکمة ، وطبقات من الفقراء والموالي تعيش على هامش الحياة وتشكل عامة الشعب ، ولم تكن هذه الطبقة لتعأ بالتدقيق في صحة اللغة بحكم وضعيتها وبساطة حياتها ، وانصرافها إلى الجري وراء لقمة العيش ، وهنا ظهرت الفوارق اللغوية والاجتماعية وبدأ ظهور الأدب الشعبي " (2)

وإذا اتفق الدارسون في تحديد عوامل نشأة الشعر الشعبي ، فإنهم اختلفوا في تحديد مكان نشأته . فمنهم من نسب هذا الشعر إلى أنباط العراق ، ومنهم من نسبته إلى أنباط البتراء . ومن هنا كانت تسمية هذا الشعر النبطي * في رأي هذا الفريق وذلك .

يرجح الدكتور غسان الحسن أن مكان نشأة هذا الشعر هو منطقة الخليج العربي ، وأطراف نجد ، ويدعم الباحث هذا الرأي بالأسباب التالية : -

" 1 . قرب هذه المناطق من الحواضر العربية : هذا العامل كان له دور في

(1) البرغوثي ، عبد الطيف ، الأدب الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، المجلد الثاني ، العدد السابع ، 1977 ، ص 3.

(2) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، مرجع سابق ، ص 317 .

* النبطي : تسمية من تسميات هذا الشعر ، وقد اخذ هذا الشعر تسميات محلية كثيرة فهو في نجد نبطي ، وفي بادية الحجاز حميني ، ويسمى في بادية الشام والعراق بالشعر مطلقا ، وفي بوادي المغرب العربي يسمى بالشعر الملحون . بينما يعرف في السودان بشعر المسدار ، انظر في مادة نبط ، لسان العرب ، ابن منظور .

* الحواضر العربية : هكذا أوردها الباحث وأظنه يعني البصرة والكوفة

تغيير اللغة من فصحي إلى عامية .

2 . قرب هذه المناطق من الفرس والروم ، واستيعابها من دخل الاسلام من

غير العرب ، أوجد اللحن فيها .

3 . انعزال هذه المنطقة عن البوادي العربية حول لغة أهلها من فصحي إلى

عامية (1)

وهذه الأسباب تربط الشعر بأنباط العراق .

ويرد على هذا الرأي أكثر من دارس . " فأنباط العراق جماعة من غير العرب ، سكنوا بطائح العراق بين البصرة والكوفة ، واخذوا التسمية من حفرهم الآبار ، واحتقرهم العرب ، وانفوا من مصاهرتهم . أما العرب الذين ينسب لهم الشعر النبطي ، فهم بدو رحل ، ولم يعملوا بالزراعة مطلقاً ، بل اعتمدوا على رعي الجمال والأغنام ، وما ينتج عنها " (2) " ينسبون إلى جدهم نابت ولد إسماعيل عليه السلام ، وكانوا قد نزحوا من الحجاز إلى الشمال في القرن السادس ق. م ، واستقروا في منطقة خليج العقبة ، حيث كونوا مملكة عظيمة ، وتركوا آثاراً كثيرة ، ولا تزال البتراء شاهدة على آثار ملكهم " (3) ، ويعزز هذا الرأي الدكتور سعد زغلول حين يرى " أن الأنباط والذين امتد نفوذهم إلى فلسطين ، وغزة بالذات حيث كانت ميناء لهم ، هم البدو أصحاب الشعر النبطي " (4) . ويتساءل " عبد الله خميس " عن أصل هذا الشعر ، " غير أنه لا يتردد في رده للأنباط (أصحاب البتراء) ، ولكنه يجهل أصله ، وهل بدأ أول ما بدأ بهذه العامية ، أم أن له أصلاً

(1) د . الحسن ، غسان ، الشعر النبطي في منطقة الخليج العربي والجزيرة العربية ، دار الكتب الوطنية ، ابوظبي ، الإمارات العربية ، ط 1 ، 1990 ، ص 44 .

(2) نجيب ، ثاقب ، الأنباط والشعر النبطي ، والكتاب عبارة عن حلقة تلفزيونية كويتية لشعراء النبط بتاريخ 1977/9/25 ، ص 16 .

(3) وافي ، علي عبدالواحد ، فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ط 7 ، د.ت. ، ص 13 .

(4) عبدالحميد ، سعد زغلول ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، دار صادر بيروت ، ط 1 ، 1985 ، ص 135 .

آخر من لغات أخرى حاكاه الأنباط ، ونهجوا نهجه " (1) . ويحاول الباحث " حمد الفرحان " إخراجنا من دوامة هذه الاجتهادات ليقول " أن الشعر النبطي تفرع من الشعر العربي في القرن الخامس الهجري على أيدي شعراء بني هلال ، وبدا تحديدا بقصيدة علياء لأبي زيد :

ابا زيد حل الله من حل قريبكم	ولا بكى يوم افتراق الحمائل
ابا زيد حب الناس حبل ينفصل	وحبي انا وياك زي العمائل
ابا زيد عليك بالقيظ تسمر عيه	وفي الشتا من غاليات الكمايل
ريمية المقدم جمالية القفا	عليكم بها يا راكبين الرحايل
لكن صريخ المرو من تحت خفها	صريخ القطا في معلقات الحبايل
يبيعون لابعوا ويشرون لاشروا	ولا الغبن إلا في النظا والحلايل "

ومن ثم تطور هذا الشعر على أيدي شعراء نجد والحجاز والبادية " (2) .

رأيي المتواضع ، في كل هذه الاجتهادات ، التي تحاول تأصيل الشعر الشعبي ، انها اجتهادات ظنية ، ولا يمكنها إلا أن تكون كذلك . لأن موضوع البحث هنا يتعلق بأمور معنوية روحية تتصل بوجودان الشعب وضميره . وليس البحث في قضية علمية مادية يمكن الحكم بأوليئها ، أو أولية تداولها أولاً ، وكيف تطورت بعد ذلك .

ولا اعتقد أن الشعر النبطي يمكن أن ينسب لأنباط العراق ، أو لأنباط البتراء . وما لفظه (نبطي) إلا تسمية من عدة تسميات للشعر الشعبي ، فلماذا ركز الباحثون على هذه التسمية ، وأهملوا باقي التسميات ، ونسبوا الشعر إليها . لماذا لم ينشأ هذا الشعر في حوران أو في قبيلة قيس ، مع أن من التسميات التي ذكرها ابن خلدون لهذا الشعر " القيسي والهوراني " (3) وعند النظر في مادة نَبَط نجد :

نَبَطُ : الماء الذي ينبسط من قعر البئر إذا حفرت ، نبع . والاستنباط الاستخراج .

(1) خميس ، عبد الله ، الألب الشعبي في جزيرة العرب ، مطابع الرياض ، ط1 ، 1958 ، ص 49.

(2) الفرحان ، حمد حسن ، مقدمة ديوان الكبيسي ، إدارة الثقافة والفنون ، قطر ، ط1 ، د.ت ، ص 9 .

(3) ابن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ص 528 .

نَبَط : ما يتحلب من الجبل كأنه عرق يخرج من أغراض الصخر .
نَبْطِي : قوم نزلوا بسواد العراق ، سموا كذلك لاستتباطهم ما يخرج من
الأرضين (1) .

نلاحظ أن المادة يرشح منها معاني النبع والتحلب ، والاستخراج من بيئة معينة،
فهو الجبل ، أو البئر ، أو الأرضين ، وإذا اعتبرنا أن " المعنى العام ، إنما يكون
للحرفين الأول والثاني من المادة وهما اللذان يحملانه ويرشحانه .. فالحرفان النون
يتبعه الباء يدلان على حركة بعد سكون مثل :

نبغ : كان الماء في جوفها فخرج ، أي كان ساكنا فتحرك .

نبت : كانت النامية في بطنها فخرجت ، أي ساكنة فتحركت " (2)

وبناء عليه يمكن القول : أن نبط والتي نسب لها الشعر ، يرشح منها معنى خروج
هذا الشعر من الشعب ، ليصور قضاياها الحياتية ، واستتبط هذا الشعر مما اعتري
الإنسان في مجمل تفاعلاته الإنسانية والطبيعية . وإذا صح هذا الاعتقاد يصبح
الشعر النبطي المعادل المعنوي لمصطلح الشعر الشعبي . ولا يمكن بأي حال من
الأحوال الحكم بأوليته ، ولكن يمكن القول انه نتاج طبيعي لتلاقح لغوي ، بدا
باختلاط العرب الاقحاح بالأعاجم أصحاب اللكنة . وما الموشح الشعبي ، والذي
ظهر في الأندلس إلا مثال آخر لهذا النتاج (فنتيجة للاختلاط بين العرب وسكان
الأندلس الأصليين ، نشأ الزجل تقليدا لأولئك السكان ، وبخاصة حين اختلط الفريقان
في إقامة الأعراس والحفلات . ثم جاءت خطوة تالية وهي محاولة التقريب بين
الشعر المنظوم بالعربية الفصيحة وبين تلك الأغاني الشعبية التي أصبح الولدان
والنساء وطبقات أهل الحرف والعمال يرددونها باللغة العربية الدارجة ، دون أن

(1) انظر مادة نبط في لسان العرب

(2) د . يحيى ، نحو دراسات وابعاد لغوية جديدة سلسلة أسفار العربية (6) ، نابلس ، الطبعة الأولى د.ت ،
ص 172-173 .

يصفوها تماماً من الألفاظ الأعجمية التي اقتبسوها من جيرانهم ومخالطيهم ،
ودرجت على ألسنتهم فأصبحت جزءاً من لغتهم (1)

ويتلقف البداوة القصيدة الشعبية " وتتطور على أيدي شعراء نجد والحجاز
والبادية " (2) ، " وتستوطن البوادي في المرتبة الأولى ثم الأرياف ، ولكنها تجد
نفسها في غربة في المدن " (3) . لقد وجد الشعر النبطي في البوادي رحماً خصباً
لنموه ، وتربته غنية لتطوره لأسباب منها : -

" 1 . لما يتمتع به أهل البادية - على شظف عيشهم - من صفاء في الذهن ،
وسلامة في الطبع ، وذكاء فطري مذهل ، وان لبعضهم من روعة
العاطفة ، ومن الصبر والتجلد ما يجعل العقل في بعض الأحيان
حائراً ! (4)

2. مثل الشعر النبطي امتداد القبائل العربية التي ظلت محافظة على النمط
التقليدي للحياة من حيث التماسك الاجتماعي ، والارتحال طلباً للماء
والكلأ ، مما انغرس في جوهر حياتهم ، ولون بأصباغه ثقافتهم العامة
ووقاهم كثيراً من غوائل الدهر التي من شأنها أن تذيب الشعوب ، وتشتت
شملها .

3 . وهناك عامل التلاحم الفطري بين العربي والبيئة ، يبعدها الاجتماعي
والطبيعي ، فهو العامل الذي أثر في شعراء السلف من إمريء القيس إلى
الأعشى وغيرهم . وهو العامل نفسه الذي أثر في الخلف " (5) .

4. " يعتبر الشعر النبطي امتداد للشعر العربي الجاهلي ، خصوصاً في
موضوعاته ومعانيه ، ذلك أن حياة العرب في البادية لم يطرأ عليها تغيير

(1) نصوص شعرية (2) ، برنامج التعليم المفتوح ، ط 1 ، 1994 ، ص 465 .

(2) الفرحان ، حمد حسن ، مقدمة في ديوان الكبيسي ، مرجع سابق ، ص 9 .

(3) د. البرغوثي ، عبداللطيف ، التراث الفلسطيني بين الطمس والاحياء - مجموعة دراسات - مركز إحياء
التراث العربي ، الطيبة ، 1986 ، ص 52 .

(4) العزيزي ، روكس ، الشعر الشعبي البدوي ، الفنون الشعبية ، دار الثقافة والفنون ، عمان ، الأردن ، العدد
الرابع 1974 ، ص 6 .

(5) د. يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ في الشعر العربي ، مرجع سابق ، ص 23 .

يذكر . فحياة القبيلة الاقتصادية والاجتماعية والفكرية هي الآن كما كانت عليه منذ أربعة عشر قرناً (1) وهذا ما أطلق عليه الدكتور " يحيى جبر " عامل بطء حركة التاريخ ودورته في البداية " (2) . حيث وسائل الإنتاج الرئيسية لم يطرأ عليها تحسن يذكر ، وعلاقات الإنتاج القديمة ما تزال قائمة " (3)

5 . والشعر النبطي بما يتضمنه من معان وقيم وبعض الحكم والأمثال ، يلعب دوراً وظيفياً كبيراً في دعم البنيان الاجتماعي البدوي ، والمحافظة عليه من كل عبث أو انحراف ، فهو وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي من جهة ، ووسيلة للمحافظة على كل ما هو قديم من جهة أخرى (4) هذه العوامل ، وغيرها جعلت الشعر " يتمشى مع المطالب الحياتية البدوية ، ويتصل بكل دور من أدوارها ، فهو شعر الحياة والعمل ، وهو الملازم للبدوي ، شعر أفرزه تفاعل البدوي مع بيئته وهو الملازم له في كل مناحي حياته . يسمع حمامة فيناجيه : -

ناح الحمام وكلتو ويش مبكيك نوحك طرب يا طابير وبكاك حيرة
لنت مظيوم ولا دين غاشيك أنت اللي بيومك تصل كل ديرة
وهذا المعنى يلتقي مع معاني حمامة الحمداني : -
أقول وقد ناحت بقربي حمامة أيا جارة لو تعلمين بحالي
والمعري : أبكت تلكم الحمامة أم غنت على فرع غصنها المياد (6)
ويتطرق الشعر للغزل ووصف المحبوب : -

-
- (1) د. مشاركة ، محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص 427 .
(2) د. جبر ، يحيى القصيدة الجاهلية تتأسخ في الشعر العربي ، مرجع سابق ، ص 22 .
(3) سلام ، رفعت ، بحثاً عن التراث العربي ، مرجع سابق ، ص 238 .
(4) الربابعة ، احمد حمدان ، المجتمع البدوي الأردني في ضوء دراسة انثروبولوجية ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، الأردن ، ط 1974 ، ص 303 .
(5) أبو فراس الحمداني ، ديوانه ، ابن خالويه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1959 ، ص 238 .
(6) أبو العلاء المعري ، سقط الزند ، مطبعة هندية ، شارع المهدي ، الازبكية ، مصر ، 1901 م ، ص 81 .

يا نسيم الليل مهل عالحبيب
الوجه بدر ظاوي له لهيب
والعيون اوساع والكحل صبيب
والثنايا اللي بدن مثل الحليب
والصدر محلاه من شوفه تشيب

يزعجه صدمات نسملك عالخود
على نوره نفتدي بارض النفوذ
كنهن ساعات يظبطن الوعود
و الشفايف لون حمار الورود
زاهي و حلاه تدوير النهود*

ويدعو للوحدة بين العرب : -

افرح إذا تم اللقاء بين قطرين
وأنتم على صوت العروبة حريصين
من وين أنا يا صاحبي وأنت من وين
من نجد والا من مشارف فلسطين
الاسم واحد والهدف والمضامين

و أغضب اذا حل الجفا و الفراقي
وأنا على الوحدة شديد احتراقي
أوراقكم ما تختلف عن أوراقني
والا من الدوحة عريب المراقني
أن كان الاحرار العرب من يواقني

ويذكر عادات القوم ، ونختار منها الكرم *

قمت أتذكر في الزمان العتيق
عادات أهلنا يسكنون الطريق
تلقى منازلهم ع لون الحريق

وخبري أهلنا في مشاريق صيخان
و في بيوتهم يا ما شبع كل جيعان
من كثر ما حطوا على النار عيدان

* هذه الاشعار مما جمعه الباحث من منطقة الدراسة .

كلتو : قلت له ، صبيب : كثير ، ويش : لماذا ؟ ، ثنايا : الاسنان ، ضاوي : مضىء ، بدن : ظهرن .
أرض النفوذ : صحراء النفوذ في الجزيرة العربية ، السدر : الصدر ، تدوير : استدارة ، اللقا : اللقاء ،
عريب المراقني : صاحبة المنزل العالية ، يوافي : يدافع و يحامي .

* صيخان ، طبيق ، مريج : مناطق في جنوب الاردن ، العتيق : القديم ، ع : اللون : لون ، من كثر ما حطوا
على النار عيدان : كناية عن الكرم .

ويتحسر على بيع أرضه : -

علمي بهم (بمرج) يا زين التلاع
بمرعي غنمهم يجلبك حسن مرياع
ما هقوتي امريج والطبيق تتباع
ومن الجفر للطبيق ما هي بعيدي
تلقى المناسف باللحم والثريدي
يا دم قلبي وانجمد في وريدي

ويناجي الذيب كما ناجاه الفرزدق : -

يا ذيب ياللي من المراقيب اراعيك
يا ذيب ضيعني سراب بصحاريك
يا ذيب خلك دوم راحل خليك
حالي كما حالك تصاريف وهموم
مالي دليل إلا مخايل ونجوم
رسم الشقا في دروبنا صار مرسوم

ويعشق البادية ، وينتمي لاهلها : -

عشق البوادي في ضميري طبوعي
انا بدوي والبدو ذولا ربوعي
ربع لهم بالود قلبي مكيني
ارفع بهم يسراي وارفع يميني

ويستظل سحابة ، فتمطر ، فيستبشر الوسم : -

هلت سحابة فوق هام السحابيب
قامت ترش المزن غر مجاذيب
في ظلها عن الحر صرت اتقيا
وسمي مطرها فيض رش الثريا

ويدعو ربه أن يخفف سعر العلف وينبت العشب بقدرته * : -

يا الله يا رحمن يا خالق الكون
تفرج على عبد مع الفقر مسجون
رب على مر الزمن سيد الاكوان
وضع صعب له عزة النفس عنوان
رزقه على سعر العلف صار مرهون
دام العشب من ربنا ظل غفوان

* هقوتي : مصوتي ، اللي : الذي ، المراقيب : المراقبين ، السحابيب : سحب

المخايل : برق السحب ، والمخايل هي المخايل جمع مخيله وهي السحابة التي يخال الناظر اليها انها ستمطر.
اتقيا : اتقيا ، خلك : ابق ، مجاذيب : منجبه نحو الارض ، طبوع : طبع ، وسمي : أول المطر ، أو نهايته ، يورخ
به ، ذولا : هؤلاء .

* دام العشب : ما دام العشب ، غفوان : غير نام .

ويقدم نصائح ووصايا : -

اول وصاتي اتق الله وحده	بايع النقيى شبه عابد وثنها *
ثاني وصاتي اتبع سنة نبينا	واحذر امور الشرع لا تحيد عنها
ووصيك جار الرضا تحفظ حقوقه	ابتعد عن جار العداوة كمنها
وثالث وصاتي شرع بواب بيتك	وذلك بشوش الوجه للي لفنها
ووصيك سرك لا تشيعه ع الملا	كم نفس جاها ذلها من رطنها

وصف عام :-

يصف ابن خلدون الشعر الشعبي فيقول " يهجم شعراؤه على المقصود هجوما من أول كلامهم دون مقدمات ، اما أساليبه وفنونه فهي لا تختلف عن الفصحى إلا في حركات الإعراب أواخر الكلم " (1) . وهذا الوصف يحيلنا إلى الملاحظات التالية : -

" يستخدم الشعر الشعبي اللهجة العامية الدارجة * ، وهي لهجة عربية في مفرداتها وتراكيبها تختلف عن الفصحى في عدم التزامها بالإعراب " (2) . وتتسم " ألفاظ القصيدة الشعبية بالتصاقها بالبيئة الطبيعية التصاقا وثيقا ، ولا نغالي إن قلنا أنها انعكاس صادق وواضح للبيئة بكل مكوناتها وأنواعها " (3) فالبدوي مثلا يحفل بخيوله ، وهي أحد أسس فروسيته التي يفتخر بها ، وبإبله ، مصدره في العزة والقوة والجاه ، ويحفل أيضا بقطعان غنمه رمز قوته المادية ، ولنتأمل كيف غنى البدوي لخيوله وإبله وقطعان ماشيته وهي تركض وتلعب في مراحيها ، تاركة مثار النقع في فضاء الصحراء الواسعة : -

* شرع : افتح ، جار الرضا : الجار المرضي عنه (رضا) ، رطنها : كلامها ، لفنها : دخلها ، جاها : جاءها ، اتاها

(1) ابن خلدون ، المقدمة ، مرجع سابق ، ص 528 .

* قد يستخدم هذا الشعر الفصحى ، واللغة لا تمثل معيارا للفصل بين الرسمي والشعبي .

(2) البرغوثي ، عبد اللطيف ، الشعر الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، المجلد 5 ، عدد 17 ، 1985 ، ص 126 .

(3) جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ ، مرجع سابق ، ص 23 .

ومراح لخيول بها الترب عجي والبل والقطعان وسهول أفجاج *

لقد عكست الألفاظ صورة الموجودات في الطبيعة الصحراوية ، فالخيل ، والإبل والقطعان تسرح وتمرح ، في الصحراء الواسعة ، مثيرة (العجة) الأتربة والغبار في فضاء ممتد لا متناه .

وتتمرد هذه الألفاظ على الفصحى " فهي من ناحية تجانب كثيرا من قواعد اللغة العربية ، النحوية والصرفية ، ومن ناحية أخرى لا تتقيد بالقواعد اللغوية التي تتجلى بوضوح في الناحية الإملائية ، حيث تكتب اللفظة على خلاف الأصل الذي بنيت عليه ، وذلك لضرورة الشعر أحيانا ، ولغير ضرورة أحيانا أخرى " (1) .

أن مجانبة القواعد النحوية في الشعر الشعبي ، قاعدة بحد ذاتها ، فهو شعر متمرد على النحو بشكل عام لنأمل : -

شيخ وليد شيخ وذي وليد ذيب من ساس ربع يشهد لهم كل حيا

لقد كسر الشاعر (شيخ وذيب) ، واصل حركتهما الضم ، ويرى الدكتور يحيى جبر " أن الكسر هنا أكثر انسجاما مع ميل الدارجة في التخفيف والتسهيل واقل اقتضاء لحركة جهاز النطق من الضم " (2) ، ولو اعتبرنا أن كسر حرف المضارعة في (يشهد) لهجة قديمة من لهجات العرب ، استعارها الشعر الشعبي ، فإننا نلاحظ مرة أخرى ، أنه أتى بألف الإطلاق في العجز بدلا من تنوين الكسر ، ربما تسهيلا للنطق أيضا .

ولا يشعر هذا الشعر بأي غضاضة في إدخال (أل) التعريف على الفعل : -

عرض الفتى مثل الكزاز الينشعر من فعل ناقص للمكارم دفنها

* لخيول : الخيول ، الترب : التراب ، الغبار ، البل ، الإبل ، عجي : الأتربة والغبار في الفضاء .

(1) مشاركته ، محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو ، مرجع سابق ، ص 435 .

(2) د . جبر يحيى ، القصيدة الجاهلية تتأسخ في الشعر الشعبي ، مرجع سابق ، ص 40 .

* الكزاز : الزجاج ، الينشعر : الذي يشعر .

ويُتحرر من قيود الصرف أيضا ، " ومن ذلك استخدام الشاعر لوزن " يفعال " بمعنى يفعل :

مزن اللي يدكان ظلم بعصايب

والمعنى : يصبح داكنا ، والدكنة من الألوان ، فكأنه بناه على وزن افعلَّ يفعلُ [إحمَرَ يحمَرُ] فاستبدل ألف يفعال بأولى النونين (يدكن) (1) . ويولع هذا الشعر بالقلب مثل استخدامه الشائع للفظه ونّة : واصلها (نّة) حيث أبدل الهمزة وارجعها لأصلها الواوي ، والقلب المكاني : جظ واصلها ضج . وتقارب كتابة الشعر الشعبي من الكتابة العروضية ، فهو يكتب حسبما يلفظ وبذلك يتمرد على القواعد الإملائية المألوفة ، ولنلاحظ في المثال التالي كيف استبدلت التاء المفتوحة بالتاء المربوطة ، والطاء بالتاء :

انا لها بالشعر في حروق الصيف بين القلم والسيف والطرس والخيل
وتتوسع دلالة اللفظة من المعنى المادي الضيق ، إلى معاني العلاقات الاجتماعية البدوية الواسعة . فالطنيب مثلا تعني لغويا : حبل طويل تشد به سرادق البيت ، وجمعه أطناب ، وتتوسع الدلالة لتعني في عرف البدو " الرجل الخائف أو المظلوم ، والذي ينصب بيته بجانب بيت واحد من المشاهير ، ويرفع عقاله عن رأسه ، ويضعه في رقبة الرجل الذي يستجير به ويقول له : أنا طنيب عليك يا فلان " (2) ، ويستخدم الشاعر هذا المعنى : -

وحظي تعثر واصبح اليوم مقيود واطنّب طنّيب القرم للدم نهاب
فالشاعر بحظه البائس ، يتوسل " ويطنّب " علّ الله " يفرجها " عليه .

الملاحظة الثانية : أن هذا الشعر الذي يستخدم اللفظة بمرونة مطلقة ، سمته في ذلك سمة كل فنون الأدب الشعبي ، لا يتورع عن استعارة أي معنى يرتضيه ويقتنع به. واللفظة في هذا الشعر والتي تصدر بعفوية وتلقائية ، ليست هدفا بحد ذاته ، بقدر ما هي وسيلة حاملة للمعنى الذي يسعى له الشاعر . " ولا يختلف الشعر

(1) جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ ، مرجع سابق ، ص 37 .

(2) سرحان ، نمر ، الموسوعة الفلكلورية ، المجلد الثاني ، مرجع سابق ، ص 350 .

الشعبي عن الرسمي من حيث أداء المعنى ، وإفادة السامع ولكنه لا يقيد بضوابط المعاني والبيان " (1) فكما قال ابن خلدون : يهجم شعراؤه على المقصود هجوما من أول كلامهم : -

العشرة اللي بهنّ العمر ينزاد *
يا لله يكتب فيهن نصيبي
الأول بيت وسيع الطناب
يتواعدنه كآبَاب السبيبي

نلاحظ هنا أن الشاعر أبان عن مراده ، وفي أول بيت قصيدة . فأمانيه عشرة ، وبدأ يعلن عنها الواحدة تلو الأخرى . وكأنه يريد توصيل المعنى للسامع بأقصر الطرق .

ويستعير الشعر الشعبي من القريض أغلب مجالاته المعنوية ، وأرى أن أخذ الشعر الشعبي من القريض ، يرجع إلى عوز الفكر الشعبي إلى المعاني الجيدة في الكثير من الأحوال ، الأمر الذي يضطر الشاعر الشعبي إلى البحث عن معاني جديدة ذات تأثير ، وهو لن يجد ضالته إلا في القريض الذي يسمعه أو يقرأه فيعجب به " (2) . لنتأمل هذه الصورة المستعارة : -

مثل الدلوع كما الريم بالقاع
صكوا عليها بالحلس والحديدي
وهذا المعنى مستلهم من : -

ريم على البان بين القاع والعلم
أحل سفك دمي في الأشهر الحرم (3)
وصورة أخرى تبدو بوضوح مستلهمة من معاني المتنبي :
أنا لها بالشعر في حروت الصيف
بين القلم والسيف والطرس والخيول

(1) حمزة ، فؤاد ، قلب جزيرة العرب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط1 ، 1933 ، ص 100 ، وانظر أيضا : قسطنطين خمار ، موسوعة فلسطين الجغرافية ، منشورات اليسار ، الطبعة الثالثة ، 1988 ، ص 30 .

* اللي : التي ، يتواعدنه ، ينزاد : يزداد ، كآبات السبيبي : شعر الماعز ونحوه يصنع منه وتر الربابة . (والمقصود حضور الشعراء) .

(2) السامرائي ، عامر ، المباراة في الشعر الشعبي ، التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، العدد الثالث ، 1969 ، ص 35 .

(3) أحمد شوقي ، الشوقيات ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، 1958 م ، الجزء الأول ، ص 190 .

حيث يقول المتنبي :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم (1)
 " ولا تقل هذه الصورة الشعبية تعبيراً ، وجمالاً عن أختها في القريض ، إذا لم نقل
 تتعدها في بعض الأحيان " (2) .

وتتميز الصورة التي يتناولها الشاعر الشعبي " بالبساطة والسذاجة ، فهي تعبر
 عن الفطرة ، يلتقطها البدوي من بيئته ، في معزل عن التكلف والتصنع ،
 والانخراط في قوالب الصياغة " (3) . ولا تحول الحاجة في هذا الشعر إلى
 الكلمات دون إقامة المعاني ، فنادر ما تجد فيه معنى غير مستقيم ، وذلك لتحرره
 من قيود الشعر التقليدي ، وهذه السمات تجعل هذا الشعر اصدق تعبيراً عن
 أحاسيس المجتمع من الشعر الرسمي " (4) .
 الملاحظة الثالثة :

" لا يختلف شكل القصيدة الشعبية عنه في القصيدة الرسمية ، إلا أن البيت الأول
 فيها يسمى مشداً ، بينما في القصيدة الرسمية يسمى مطلعاً " (5) . " ومعظم هذه
 القصائد مبنية على قافيتين : قافية ملازمة لعجز الشطر الأول من البيت ، وأخرى
 ملازمة لعجز الشطر الثاني منه " (6) . وذلك مثل : -

ما همنا لو تدعون الربوبة فرعون موسى قبلكم كان كذاب
 من ادعى بالفضل بانئت عيونه ومن جاب جند الروم لبلادنا خاب
 " وتعتمد القصيدة الشعبية (وحدة البيت) في بنائها ، كما هو الحال بالنسبة للقصيدة
 الفصحى ، فتحس وأنت تقرأها أو تسمعها ، أن كل بيت من أبياتها يقف وحدة
 مستقلة ، بحيث لا تخسر القصيدة شيئاً فيما لو قدمت بيتاً أو أخرت آخر " (7) .

(1) المتنبي ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1958 ، ص 322 .

(2) القشاط ، محمد سعيد ، الألب الشعبي في ليبيا ، دار لبنان ، ط1 ، 1968 ، ص 63 .

(3) افخيدة ، محمد علي ، الصورة في الأغنية الشعبية الفلسطينية ، التراث والمجتمع ، مرجع سابق ، ص 43 .

(4) يحيى جبر ، البرق في التراث الأدبي ، المأثورات الشعبية ، العدد 29 ، 1993 ، ص 54 .

(5) مرسي ، احمد ، أبحاث في التراث الشعبي ، مرجع سابق ، ص 139 .

(6) مشاركة ، محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو ، مرجع سابق ، ص 442 .

(7) البرغوثي ، عبداللطيف ، الشعر الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، مرجع سابق ، ص 3 .

" ويغلب على القصيدة الشعبية البدء باسم الله ، أو بحمده ، أو بحكمة ، أو بالنداء لغرض الشكوى مثل يطارش ، ويا راكب ، وياونة . وقد يكون المنادى طائرا أو خليلا على نمط " قفا نبك " . والغالب في خواتيمها أن تكون الصلاة على النبي " صلى الله عليه وسلم " ولعل هذا ما تمتاز به عن شعر الجاهلية ، وذلك استجابة لدواعي الإسلام ، دين العرب أجمعين " (1) . وللتدليل على هذه " المشدات " والخواتيم نورد الأمثلة التالية :

سميت باسم الله أول كلامي	رب كريم محيي العظام بكفنها
يا الله يا عالي على كل عال	يا مقسم الدنيا ملوك وممالك
ياراكبا من عندنا فوق مطواع	امه اصيلة ودروها صعيدي
يا ونه ونها كل مظهرود	ماله على البلوات خل موافي
يا ليل جاوبني ترى خاطري ضاق	وعكس صدى صورة بعيني مطله
يا بو نايف جال قلبي وما صمد	من قابلت الزين حسيت انكدار

وأمثلة على الخواتيم

وختم كلامي بحمد من هل المطر والف صلاة ع النبي المبرور
 وختم كلامي مصلي ع النبي المحبوب ومن صلى ع النبي نال الفلاح
 اختلف الباحثون في تحديد موسيقى هذا الشعر وعروضه . فمنهم من حاول إخضاعه لعروض الخليل ، وتكلف في ذلك عنتا ومشقة ، ليوائم الشعبي بالرسمي ويخرج بقواعد مطردة ، ولكن هذا الشعر قلما تقيد قاعده ، فهو متمرد على العروض التقليدي أيضا . ومن دعاة عرض الشعر الشعبي على العروض الأستاذ مصطفى الخشمان الذي قام باستقراء نماذج كثيرة من هذا الشعر مثل :

الطيب يللي تريدونه	توي لقيته لدوارة
---/ب---/---	--/ب--/ب--/---
مستفعل مستفعلن فععلن	مستفعلن فاععلن فععلن

(1) جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ ، مرجع سابق ، ص 23 .

الباب الثاني

الفصل الأول

أغراض الشعر الشعبي في النقب

مقدمة :-

يتناول هذا الفصل أغراض الشعر الشعبي في النقب ، ولا أكون مبالغاً إذا قلت أن الشعر الشعبي في البادية ، متنفس للبداة ، يعبرون به ومن خلاله عما يدور في بيئتهم من يحمل للمناشط الحياتية فيها ... فالشعر هو صورة أدبية شعبية لتفاعلات الإنسان مع بيئته سواء أكانت هذه التفاعلات اجتماعية ، أم اقتصادية أم ثقافية صورت السلوك ، والمعتقدات ، وأنماط التفكير . ومن هنا لا نخطئ إذا قلنا أن الشعر هو حياة البادية بكل امتداداتها وتفرعاتها . وهنا تكمن الصعوبة في دراسة هذا الشعر بشكل عام . إذ عند دراسته يتوجب على الدارس الإلمام بكافة مناحي الحياة البدوية ، ولا أظن هذا يتأتى من خلال دراسة واحدة ، تحيط بكافة هذه الأبعاد .

لهذا رأيت في دراسة الأغراض الشعرية في النقب ، أن أنظر إلى أهم الموضوعات التي تناولها هذا الشعر ، وقصرتها على :-

- 1- الغزل في الشعر الشعبي في النقب .
- 2- وصف الطبيعة في الشعر الشعبي في النقب .
- 3- الحيوان في شعر النقب .
- 4- الشعر الاجتماعي في النقب .

وقد تناولت هذه الأغراض ، من خلال القصائد التي توفرت لدي وحاولت - بإمكاناتي المتواضعة - دراسة هذه النصوص ، دراسة تحليلية تلقي الضوء ، على أبعاد هذا الشعر البدوي . ولا يمكنني بأي حال من الأحوال أن ادعي أن هذه الأغراض الشعرية الأربعة هي الأغراض الوحيدة في هذا الشعر ، ولكن من وجهه نظري وجدتها الأهم والأكثر شيوعاً ودوراً في أدب البادية الشعبي . كما أن الأغراض الأخرى تتداخل معها .

الغزل في الشعر الشعبي في النقب

لمحاولة الإحاطة بموضوع الغزل في الشعر الشعبي في النقب علينا أن نجيب عن

الأسئلة التالية :-

- 1) لماذا هذا الخصب في الإبداع الغزلي بين شعراء النقب ؟
- 2) هل يتناسخ غزل السلف في الغزل الشعبي ؟ بعبارة أخرى هل هناك أسس سابقة يرتكز عليها هذا الغزل ، أم أنه بلا جذور ؟..
- 3) ما طبيعة هذا الغزل ؟ هل هو حسي ؟ فاحش أم غير فاحش ؟. هل هو غزل عذري ؟
- 4) ما هي أبرز سمات قصيدة الغزل في الشعر الشعبي في النقب ؟.

يعد موضوع الغزل في النقب ، من أكثر أبواب الشعر كماً ، وأغناها من حيث الذوق والفن والعاطفة . وجد فيه البدوي متنفس نشاطه الحياتي ، فالغزل بالنسبة للبدوي فعل ورد فعل في آن واحد ، فهو أحد الضوابط الاجتماعية القبلية ، التي تشده باستمرار ليظل في دائرة نظامه القبلي ، وطريق يجد فيه البدوي ضالته لاستقرار اجتماعي كالزواج مثلاً وهو في الوقت نفسه انعكاس لحمل تفاعلات البدوي مع بيئته . نظر البدوي في هذه البيئة ، فوجد إنتاجاً اقتصادياً قوامه الرعي ، مؤسس على الترحال من منطقة لأخرى طلباً لكلاً وماء . وجد وتيرة حياته بطيئة هادئة ، خلاء واسعاً ساكناً لا يحركه إلا حيوان بري ، أو ريح عاتية ، أو شمس لاهبة . وهنا تكونت ردة الفعل عنده في صياغة علاقات مختلفة* فتقرب من حيوانه وحاوره وغنى له ، تكلم مع

* إن هذه التأثيرات البيئية ، سواء المادي منها أن المعنوي ، تؤثر على الشعراء ، أكانوا رسميين أم شعبيين ، سواء أكان هذه الشاعر رسمياً أم شعبياً . فجميعهم يخضع محددات بيئية واحدة ، وعلائق اجتماعية واحدة .. ويستظلون مظلة النظام القبلي . الذي آمنوا به وارتضوه منهجاً اجتماعياً اقتصادياً سياسياً لا فكاك منه .

النجم والقمر والنسيم وبثها مشاكله وهمومه ، ناجى الغيمة كي يستظلها ويرتوي ماءها. ووجد تاج هذه المملكة الصحراوية وزيتها المرأة . " فالمرأة هي المظهر الإنساني الحركي في هذه الصحراء ، وهي مركز الجمال ، والأقرب للشاعر ، وتحتل المرتبة الأولى في موجودات الصحراء بلا منازع . ركز الشاعر نظره على المرأة ولكنه لم يتزعزعا من الطبيعة ، بل كاتنا عنده توأمين " (1).

ويتجلى غزل البدوي في صورة " الفعل " كثرة عشق الإعراب والبدو ، بفراغهم الطويل ، الذي لم يجدوا وسيلة يقطعونه ويقتلون بها غير العشق " (2).

وهذا ناتج من طبيعة الإنتاج البدوي ، فدورة الإنتاج البدوية بسيطة ، لا تتجاوز رعي الأغنام ، وجني إنتاجها ، وإن تجاوزت ذلك فزراعة بعض الحبوب لتوفر للبدوي مكاناً للرعي. وهذه العملية الإنتاجية يقوم بها قلة قليلة من أفراد الأسرة ، لا يتجاوز عددهم واحداً أو اثنين ، ونساء يقمن بحلب الغنم ، وتصنيع الناتج في البيت . إن عملية الإنتاج هذه ببساطتها وبدائيتها توفر للبدوي وقت فراغ طويل ، لا بد أن يشغله ، ويقطعه ، وكان اللهو والغزل ، وطلب المتعة " فعلاً " يقوم به البدوي لملاءمة وقت فراغه . وقد التفت العقاد لهذا العامل الأساسي في إبداع شعر الغزل في البادية حيث يقول " أيسر للمرء أن يتصور مدينة بغير شعر غزلي ، من أن يتصور بادية لا تنظم هذا الشعر كل حين " (3) وتوجيه ذلك أن دورة الإنتاج في المدينة مركبة ومعقدة ، تشغل جل وقت الإنسان ، بعكس دورة الإنتاج البدوية البسيطة . ويرى الدكتور يوسف خليف الرأي نفسه " في أن السعي خلف المرأة طلباً للهو والمتعة ، أو الحب والغزل ، كان أحد الوسائل التي حل بها البدوي مشكلة الفراغ " (4)

(1) للدغلي ، محمد سعيد ، أحاديث غزله في الغزلين العنري والعمرى وامتداداتها في الأدب العربي ، منشورات دراسات دمشق ، ط 1 ، سنة 1985 ، ص 73 .

(2) عطوان ، حسين ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط 1970 ، ص 61 .

(3) العقاد ، محمود عباس ، جميل بثينة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط 3 د . ت ، ص 18 .

(4) خليف ، يوسف ، الحب المثالي عند العرب ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ط 1961 ، ص 96 .

ويتجلى غزل البدوي في صورة " رد الفعل " ، و " نتيجة للبيئة التي يعيش فيها البدوي ، ونتيجة للحياة الاجتماعية التي تطبعه بطابعها الخاص ، وجد البدوي أسساً قويةً يتكئ عليها ليكون غزلاً ومبدعاً في هذا الغزل فالعربي نشأ منذ القدم محباً للفرح والطرب والسرور ، صافي الطبع ، قوي العاطفة . فلا بد أن يجد سبيله إلى ما يغذي هذا الطبع ويقوي تلك العاطفة⁽¹⁾ ، ومن هنا كان غزل البدوي في المرأة ، وتقريبه منها ووصفها أحد هذه السبل .

وليس من الصعب أن تجد في أشعار النقب الغزلية من يعبر عن هذه الافتراضات . فهذا الشاعر العمامرة الحويطي يقول مخاطباً صديقه خالداً :-

شفت يا خالد دنيي كيف أظلمت	وهمت في دنيا الأسى ما لي رشيدي
والمصايب من غضبها كشرت	وغرست أنيابها حتى الوريدي
وفي صحاري الموت ناري ولعت	يحترق في وسطها قلبي الوحيد
ولا حبيبه كل ما عيني أدمعت	ارغمي في حظنها مثل الوليدي ⁽²⁾

ويظهر شعر الغزل في صورة " رد الفعل " ، نتيجة للتحويلات السياسية الكبرى التي شهدتها المنطقة . فالبدوي المنتمي لأمتة العربية ، والقاطن في ديارها الممتدة ، يجد نفسه بين عشية وضحاها ، وقد احتلت أرضه ، وانتزعت منه ، وسجن ، وعذب ، وقيدت حركته وشرده ، وبدأت دياره التي عهداها وأحبها ، تستقبل مكرهة سكاناً جدداً من شذاذ الآفاق ، وصودرت - فيما صودر - حريته في التعبير ، فالتمس في الغزل متنفساً ، يقارن به ، ومن خلاله بين فرح الأمل وطمأننته ، وبين معاناته الحاضرة في ظل الاحتلال .

ومن هذا القبيل ما سمعته من الأستاذ " محمد الحمامدة " :

البارحة حلبي الفنجان بين الودايا	وحسن الوانيات في حنوة الربيع
وحجر الرتم نرضم عليه الشوايا	والربع في ظل العريشة مكاويع
عند اكحل العينين وزين الثنايا	اللي أوشامهن مثل عشب الماراييع

(1) أبو رحاب ، حسان ، الغزل عند العرب ، مكتبة البيان العربي ، القاهرة ، ط 1 ، 1947 ، ص 13 .

فالشاعر يعيش ، عيشه حرة كريمة ، لا يعكرها كدر ، فهو متكئ في عريشة يشوي اللحم ، ويشرب قهوته ، يشاركه في هذا الجو الرومانسي ، " أكحل العينين " ، أأما عيشة أنس " ونس " كما عبر عنها الشاعر " مخلد الزوايدة " :-

أعيش عيشة حر وأحلام توعي* والطائر اللي طار ما يستوييني
شامخ شموخ سهيل ما علن ركوعي إلا لوجه الحق ربي وديني
عيشة ونس أعيش عامي سبوعي في مجلس بالطيب فرشه ثميني
وسرعان ما بدأ الغزو الاستعماري الاستيطاني ، فتسمت الأجواء وبدأت
المعاناة " وقلة هداة البال " ، وتحول " أكحل العينين " من رمز للجمال ، والحب ،
والراحة النفسية ، إلى " نقيصة " مصادره مسببة ، وتحول الشاعر من الفعل لرد الفعل ،
وأصبح شظايا :

واليوم صرنا في حبال المنايا نشرب من السم المكرر قراطيع
والناس مكتسين وحناء عرايا وديارنا صارت ملاعب جرابيع
العمر فاني والنقيصة* ولايا ويفرح قليل الحيل يوم الزعازيع
ومن عقب مانا مثل ذيب القرايا واشد فوق الجبل ما شدها جذيع
أمشي على رجلي وعظمي شظايا وأقوم وأقعد في البلاد الحراجيع
ويبرز فعل الغزل واضحا في وصف الشاعر للحبيب ، وصفاً حسياً مادياً ،
ويتجلى هذا الوصف في قول الشاعر :-

* توعي : ملكي ، عيشة ونس : عيشة أنس (قلبت الهمزة واوا) ، قراطيع : جرعات ، مكتسين : لا يمين ، ملاعب جرابيع : كناية عن الاستيطان ، يوم الزعازيع : يوم الشدائد ، من عقب : من بعد ، ذيب القرايا : شيخ مشايخ المنطقة ، أشد فوق الجبل : يمتلك لكل القيم الحميدة ، بلاد الجرابيع : البلاد الحجرية المقفرة ، ومنها قرقعا في العبرية ، بمعنى الأرض ، والمعنى هنا كناية عن الارتحال والهجرة .
* النقيصة : تجاذبت أطراف الحديث مع الشيخ خلف أبو نوير في بيته بالقرين ، ومما قاله : " نحنا للعرب اليوم مناقيص " . وفسرها بتلقائية : " لما العرب كانت تغزو العرب ، كانوا يأخذون أموالهم وحللهم ، فاللي وقع عليهم الظلم نسميهم (مناقيص) . وهذول المناقص كانوا يروحوا لشيخ محاييد لجل يتواسط ويرد لهم شيء من المال المسلوب . وهذا حالنا العرب اليوم : إسرائيل أخذت مالنا وحللنا وأرضنا وممنا وبحرنا .. وإحنا اليوم مناقيص .. وينروح لأمریکا حتى ترد لنا شيء من اللي ملبووه " .

أبو خديد زايد في شقاره والعين سودا وغافق الرمش غاطيه
أبو نهد كيف بيض الحباري وبيض الحباري يوم ترقد تغاطيه
ثم ينتقل الشاعر لبيان كيف التقى هذه الجميلة وأين فيقول : -
أشرفت عالمشرف بارعي⁽¹⁾ بدياره

وألقيت غير الغربان يتناقزن فيه
وأشرفت عالمشرف قولي خسارة

وبدعي على خير واللي سكن فيه

ويرز الفعل ، ورده ، بصورة الصوت وصداه في شعر سعود الفتنة : -

في صحاري الهجر للصوت نادي يمكن جناب الود يسمع مناديه
صوتك صدى للصوت والغادي يا من يرد الصوت لديار غاديه
صوتك وصوتي والصدى بجوف وادي ومن نار هجرك جفت أزهار واديه

إضافة إلى هذه العوامل في إبداع الشعر الغزلي ، فإن هناك دواعي موضوعية كثيرة تعمل على إبداعه "ولعل اختلاط المرأة بالرجل أحد هذه الدواعي ، فالمرأة مركز الدائرة التي يدور فيها الغزل ، ترى الرجل ويراهما فهي غير محتجة بالبيت ، وربما ظهرت سافرة .. تنتقل وترحل .. وتشارك الرجل في كثير من أعماله ، ترعى الغنم ، وتملأ الماء ، وتذهب إلى السوق لبيع المتزوج ، وشراء ما يلزم للبيت"⁽²⁾ وكان المرعى الصحراوي الواسع الخالي ، وما زال مرتعاً لعشاق البادية ، يلتقي فيه الفتى والفتاة ، بمعزل عن القبيلة - ووشاها وما أورده العبادي لقصة "أديس الموح " "وعلية بني عطية " يبين دور المرعى باعتباره ساحة لقاء مهمة لنشاط العشاق :

يقول على من قال أديس الفايز من فوق صفرا كالحليب الصافي

(1) بارعي : أرعى غنم وما مثابه يدعي على خير يرمل دعواته كي يخلصه من اليهود (مكان خير) ، أبو خديد ، أبو خد ، زايد ، زائد ، المشرف : منطقة مرتفعة .

(2) أبو رحاب ، حسن ، الغزل عند العرب ، مرجع سابق ، ص 14 .

غر⁽¹⁾ نطحني يقهر عالغنم العتر عرجا والغنم مزلافي
 أنا أحلبتلي⁽²⁾ بصحين من ذهب اللون من هاللون ما هو خافي
 من علمك يا بنت لسروح الغنم يبلاه بشلفا من يمين الشافي
 والله لو جدي قريب لوجدك لألبسك ثوب الحرير الوافي
 وأريحك يا بنت من قول انعجي وادللك عالضمر العيافي⁽³⁾

نرى في هذه المقطوعة أن الشاعر الفارس ، قد حول المرعى ، إلى ساحة غزل
 وهو ، ففي هذا المرعى غزال من ذهب ، يتودد إليه الشاعر ويتقرب منه ، ويتمنى أن
 يظل بقره ، حتى يتمكن من تدليله ، وليرجحه من حياة الرعي والتعب . ويتسع المكان ،
 ويمتد الزمان في المرعى ، ليتمكن عليّة بنت شيخ مشايخ بني عطية كي ترد عليه ،
 وتحاوره شعراً ، مبيّنة له صفات الفارس الذي تنتظره :

يا ديبس بالله لا تزيد بهرجك⁽⁴⁾ حنا على مضموركم عراقي
 أنا ما بشفي مكحل عينه ولا مر من جنب العرب هفهافي
 أنا بشفي من يحفل سابقه عند التوالي يثقل الخفخافي
 يلحق راعي عوده تكدي به ويقهر على راعي مهرة فرلافي
 أنا بشفي من يطلق عقلهن وبليلة ظلماً وبها النداف
 أنا بشفي من يعلل ضيفه تلقى اللحم فوق الدفين أرداف
 أنا بشفي من يدفي ضيفه بطراحة ومفرش ولخافي

(1) غر : غزال ، نطحني : لاقتي ، يقهر عالغنم : يردها للمرعى ، العتر عرجا : كناية عن دلال ، وجمال الراعية
 فهي لا تمشي بسرعة ، مزلافي : قريبة .

(2) أحلبتلي : حلبت لي ، الضمر العيافي : الخيول الأصيلة يفضلها عن النياق مصدر اعتزاز البدوي .

(3) د العبادي ، أحمد عويدي ، من القيم والآداب البدوية ، الطبعة الأولى ، 1976 ص 321

(4) بهرجك : كلامك ، حنا : نحن ، مضموركم : ما تسرون ، أشفى : أريد ، التوالي : المكان الهفهافي :- وهذا يذكر
 بقول ميسون البحدلية : وليس عباءة وتقر عيني أحب إلي من لبس الشفوف ، عقلهن : رباط البعير ،
 النداف : مطر يرافقه تلج ، يعلل : يساهر ، طراحة :- وسادة يلحق راعي .. ويقهر على راعي : يساعد من تعثرت
 ناقته ، ويصيح على الهارب من المعركة .

إن المرعى مكان ملائم لقول هذا الشعر ، يلتقي فيه الفتى والفتاة في جو هادئ، أقرب إلى الشاعرية ، والحرية في القول لبث اللواعج والأسى ، والشكوى للمحبيب . ويستطرد العبادي في روايته للقصة فيقول إن من عادة (عربان) بني عطية ، والعزازمة والليحات ، وعربان سيناء يسرحون الأتني بالغنم والإبل بدلاً من الرجل فهي ترعى وهو يجلس ويرتاح ⁽¹⁾ وهذا الرأي ليس قاعدة مطردة في وقتنا الحاضر ، فترى في النقب الراعية وترى الراعي أيضاً ، وليس بالضرورة أن ترى كل رعيان النقب إنثاً . والعد ، أو بئر الماء ، والغدير ، أمكنه ملائمة للقاء أيضاً ، حين يقصدها البدوي للماء (قربة) ، أو لري ماشيته ، ولنقرأ للشاعر خليل الوحيدي كيف التقى الحبيب صدفه على عد الماء :

وردنا العد القراح	صدفته والبخت جابه ⁽²⁾
وقمت اعقل ع قلبي	عياني يوم شافت أحبابه
يجري بايدن الفوارق	حصان هزيت ركابه

اختار الشاعر الماء العذب ليلائم غرض الغزل ، ولقاء الحبيب ، وأظن أن صفة العذوبة تتفق ولقاء العشاق . وما أن رأى الشاعر حبيبه على العد عذب الماء حتى ارتعش قلبه ، وقفز هذا القلب مضطرباً كحصان هز الفارس ركابه . وينصح الوحيدي شاعراً آخر صديقاً له بأن يتمهل حين يشرف على الغدير ، كي لا يأخذ العذارى على حين غرة :

يا خوي أشرف عالغنادير بامهال

خلي العذارى تخطم بطبع خطمة

وقد يلتقي الرجل بالمرأة في أي مكان آخر في هذه الصحراء ، بغير موعد ، كما يقول " حميد أبو مغصيب " في حوار مع من لاقاها : -

(1) العبادي ، من القيم والآداب البدوية ، مرجع سابق ، ص 322
(2) العد : بئر الماء ، القراح : العذب ، صدفته : رأيته صدفه ، البخت : الحظ ، اعقل : اربط واثبت ، عياني : عيوني ، شافت : رأت ، ايند الفوارق : خطوات واسعة . وهذا ما سمعه الباحث من الشاعر .

هيه يلي ماش وقف ثواني ابغي اسولف معك كلمات قليلة ⁽¹⁾
 قالت : ابعده لا يشوفونك خواني ثم نصبح سالفه بين القبيلة
 قلت : قلبي ما يطاوعني عصاني على بعدك مالي يا محمول حيلة
 قالت : خاف الله غادر هالمكاني لا توقعنا بمشاكل مستحيلة
 قلت : يمك والله أن قلبي مخاني طرده الزينات هذي بعد خصيلة
 قالت : اسمع ما نقوله يا ترياني ترى طرد البيض يتعب من يجيله
 لاقاها بعيدة عن المضارب ، وبدأ حواراً معها ، ذكرته بنظم القبيلة ، وقيمها
 الاجتماعية في عدم السماح بلقاء رجل وامرأة غرباء عن بعضهما . فذكر لها حبه ،
 ومعاناته لأجلها .. ويستمر النظم الحواري القصصي بين الشاعر وفتاته ، حتى تخضع في
 النهاية لأمره ، وأمر حبه .

وأمكنة اللقاء هذه ليست بدعه حديثة اقتصرت على شاعر النقب ، بل هي
 أمكنة لقاء قديمة ، ذكرت كتب الأدب الكثير منها ، مثل غدير امرئ القيس ، وغدير
 "أبو نواس" :

وقابلت الهواء وقد تعرت بمعتدل أرق من الهواء
 رأت شخص الرقيب على تدان فاسبلت الظلام على الضياء ⁽²⁾
 ومنها مرعى المجنون وليلاه :
 تعلقت ليلي وهي ذات ذؤابة ولم يبد للاتراب من ثديها حجم ⁽³⁾
 صغيرين نرعى البهم ياليت أننا إلى اليوم لم نكبر ولم تكبر البهم
 وغدير جميل ين معمر ، وبثينة ، التي وردته ، وفرقت ابل جميل بعيداً عنه :
 وأول ما قاد المودة بيننا بوادي بغيض يا بئين سباب
 وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله لكل كلام يا بئين جواب ⁽⁴⁾

(1) هيه : أداة نداء (يا) ماشي : مائتر ، ابغي : أريد ، أسولف : أحدث ، أتكلم ، يشوفونك : يشاهدونك ، سالفه : حكاية ،
المحمول : الجميل ، يمك : قريبك ، مخاني : لا يخونني ، طرد البيض : ملاحقتهم .

(2) أبو نواس ، قصة حياته في جده وهزله ، عبد الرحمن صدقي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ط د ت ،
ص 178

(3) ديوان ، مجنون ليلي ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، دار الكتب العربي بيروت ، ط 3 ، 1997 ص 164.

(4) شرح ديوان جميل بثينة ، دار الكتب العربي ، بيروت قام بشرحها ابراهيم الجزيني ، ط 1 ، 1968 ، ص 19 ، ص
20.

إن هذه الأمكنة ، التي التقى فيها المحبون منذ العصر الجاهلي ، وإلى يومنا هذا ما زالت تقوم بالدور نفسه ، فهي أمكنة للهو والمرح والتغزل والفرح بقاء الحبيب .
وإذ يقضي حبيب من حبيب لبانه في الخفاء ، وينفض اللقاء ، ويسروح كل حبيب لسيله ، وينضم تحت لواء قيم القبيلة ونظمها ، عندئذ تزداد الشقة بين العاشقين وتوسع اللوعة على لقاء المحبوب مرة ثانية ، ويكرر حلم اللقاء ، وهذا يشعر بالحاجز بين الجنسين في أحضان القبيلة ، ومقدار الكبت الذي يعانيه كلاهما ، لدرجة أن الشاعر يحسد الثوب الذي ترتديه حبيبته ، فهو الذي ينظر إلى مفاتن الجسد :-

بداري في محبتكم بداري على أم النهود وشعور بداري⁽¹⁾

نيالك يا ثوب تنفرج بدالي على أم النهود وشعور للكعابا⁽²⁾

وقد قال يمثل هذا القول الدكتور شوقي ضيف ، في ثانيا دراسته لبنت كثير :

أرى الإزرار على لبني فاحسده إن الإزرار على ما ضم محسود⁽³⁾

وها هو شاعر آخر يشكو الحجر والبعد ، و" يطنب " على الحبيبة ، ويرجوها الوصال ، ويذكر لها سهره وأرقه ، عليها تعطف عليه بقاء ، وترجمه من لوعة الوجد :

البارح ما نامت عيني يوم قلبي همومه لفنه⁽⁴⁾

وأطنب طنيب الذيبيني رأسه المرفوعة وطمعنه

قمت أصفق على الكفين قلبي العذارى أتعبنه

(1) بداري الأولى : من المداراه والثانية في داري ، نيالك : يا حسن حظك ، تنفرج : تنتظر

(2) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور ، الجزء الثاني ، مرجع سابق ، ص 268

(3) انظر : ضيف شوقي ، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط 3 ، دت ص 87

(4) البارح : أمس ، أطلب : أترجى ، وأتوسل ، الذيبيني : رجل ذو كرامة ، وطمعنه : انزلنه ، قلن قيمته

ولا تسمع الحبيبة توسلات الشاعر ، ولا تلقي بالاً ، بل ترحل عن الديار
ويزداد البعد ، وتتسع الشقة :-

أقفوا أهلها مغيبين يا حد الأردن فاقنه⁽¹⁾

تعدو ورا الهزبي حد ابن سعود داخلته

ويزداد همه من الفرقة والغياب ، ويفقد بصره من الدمع :-

الفرقا قامت تطويني وهموم القلب يتلفنه⁽²⁾

وصرت ظرير شيني غير العذارى يقودنه

ولا كسير الجناحين جنحانه ما يرتفعنه

وماله غير الصبر ، فهو العزاء لعاجز مثله :

صبرت شهور مع سنين سود الليالي ايردنه⁽³⁾

ونلاحظ معاناة الشاعر ، " على العماري " من هجر محبوبته ، وبعدها عنه ،
ونسلم نذبه وعويله في ثنايا شعره ، فليله عذاب ، وغربته لا نهاية لها ودمعه يختلط
بدمه.

ليلي عذاب وغربي مالها حدود ودمعي تكسر بين جفني والهداب

وعانق جروح الأمس جرح له شهود دمع تحدر خالطه دم سكاك

وتاهت بي الأيام وشريت أن بزود مر وعلقم في ملذات الأكواب

آصرة الحب بين اثنين تحيلهما إلى واحد ، فإذا ابتعد أحدهما عن الآخر ، اختل

هذا الواحد .. أصابه المرض والعجز ، ورافقه السهر والأرق ، وهو في حاله هذه بين

قلب دام ، وعين دامعة ، وفكر مشئت .. إنه انسان واه لا يقدر على حركة :-

وونيت ونة من به العقل مختل عجز الخطبا عن شفاه وحكيمي

(1) أقفوا : أداروا ظهورهم ، فاقنه : تجاوزنه ، الهزبي : اسم مكان

(2) الفرقا : الفرقة والبعد ، ظرير : ضريب أعمى ، شيني : قبيح

(3) ايردنه : تأتيه متلبعة ، تحدر : نزل وهطل سكاك : كثير

مكف اليدين دائم محجل والنور صار لنون عيني خصيمي
 وإذا كان في الحقيقة والواقع لا يستطيع رؤيتها ، وحتى لو رآها فإنه لا يستطيع
 محادثتها ، إلا أنه يراها في حلمه ، ويحادثها بلغة القلوب :
 وفعلاً لقيتك بس مقدر أحكيك
 وقفت حائر يوم بالعين سلهمت⁽¹⁾
 ولو يصمت لساني بقلبي أناديك
 من نظرتي أهواك لو ما تكلمت
 مرت ثلث سنين والقلب يغليك
 وشوف زولك عبر الأحلام لا نمت

ويقول آخر في المعنى نفسه :-

أغظ عنه الطرف مقدر أحاكيه أخاف حساد الهوى يفطنولي⁽²⁾
 أعانقه بالقلب واللواحق تراعيه خشف جسور فعلوقي يجولي
 وفي وحشه البعد والغربة ، يتذكر لقاءه مع الحبيب ، يتذكر سعادته الماضية ، ويذكر ما
 خلفه البعد والهجر من هم وتعاسة :-
 عقب المعزة والغلا والوناسا عذبت قلبي في هواك وتركته⁽³⁾
 خلتن عايش بهم وتعاسا حبك المواصل له تترع بركه

إن الفراق والبعد والهجر - وما أكثرها في حياة البدوي - من الدواعي
 الأساسية لهذا الغزل شأنها في ذلك شأن اللقاء . وربما تعاضم هذا الشعر صورة ،
 وعاطفة ، وخيالاً ، في حال البعد والجفا ، أكثر منه في حال اللقاء ، وهذا أمر بدهي ،
 فلواعج الحب تزداد وتطرّد كلما ابتعد الحبيبان عن بعضهما ، مصداقاً لقول ابن
 الدميني :-

(1) سلهمت : صمت ، زولك : شخصك .
 (2) أغظ : أغض ، مقدر : لا أستطيع ، أحاكيه : أكلمه ، خشف : ولد البقرة الوحشية فعلوقي : في علوقي ، نمي
 وأحشاني .
 (3) الغلا : المحبة ، عقب : بعد ، خلتن : تركتن .

وقد زعموا أن الحب إذا دنا
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا
يمل وأن النأي يشفي من الوجد
على أن قرب الدار خير من البعد
روافد شعر الغزل في النقب :

إن أول ما يلفت النظر في هذا الشعر ، أنه ابن بيئته الصحراوية ويصدر عنها .
بعبارة أخرى أن الشاعر البدوي يعرف الصحراء بكل عناصرها البيئية والاجتماعية ،
وهذه العناصر هي المنهل الذي يغترف منه صوره وأخيلته ومعانيه ، ومن هذا المنطلق
نجد الصدق فيما يعبر به الشاعر عن أحسايسه . ولتأمل ما قاله " أبو مغيصيب " في
وصف فتاته ، لندلل من خلال هذا الوصف على ما اختاره الشاعر من عناصر البيئة :
أسود العينين مجلي الجماني والخدود يروقن بمزن ثقيلة
وأن أوصف أنا الردفين المغمزي هزت حجول الكعب ردف ثقيلة
والخزامي فاح خلط به الزعفراني عالنواهد مرخي رأس الجديلة
عنق خشف مرتعه روس المياني أن لمح راميه من رأس طويلة
صدرها للنهد شفته تو قاني لون مفقاع الكما من بعد سيلة
قالت : ابعد لا يشوفونك اخواني ثم نصبح سالفه بين القبيلة
قلت : قلبي ما يطاوعني عصاني على بعدك مالي بالمجمول حيلة
في هذه المقطوعة ، يتكئ الشاعر على المطر في رسم صوره وأخيلته ، والمطر رمز الحياة
في الصحراء ، ينتظره البداة بفارغ الصبر ، ويستبشرون بمطوله ويسميه بعضهم " الحيا "
فيباركون بعضهم بعضاً ويهتثون بمطوله قائلين : " مبروك الحيا " وهذا " الحيا " وهذه
المزن الكثيفة تحملها وتمايل بها دلا وتيها حدود الفتاة ، ويهطل المطر ، وتكتسي
الصحراء نباتاتها كالخزامى والزعفران ، يخلطهما ، ويصبغ بهذا الخليط طيب الرائحة
تهديه ، ورأس جديلته المتدليلة عليهما . ثم ينتقل الشاعر إلى وصف عنق حبيبته وهنا
وجد في طول العنق جمالاً . فشبهه بعنق ولد البقرة الوحشية وهو رائع في
العشب برأس جبل . وأتم المعنى في أن هذه المها ولطول عنقها

استطاعت أن تلمح صيادها وهو على مرتفع أيضاً . أما النهدي الفاقع ، في استدارته وفي لونه المحمر ، واستدارته فهو كما فقع، ونبت بعد هذا المطر .

ولو دققنا النظر في هذه اللوحة لرأينا أن الشاعر نوع في صورها ، فهي صورة حسية بصرية : أسود العينين ، الحدود تروق بمزن ثقيلة ، " الردفين المغمزاني " ، الححول المهتزة بتأثير الردفين ، عنق خشف ، لمح راميه ، النهدي كما " (الكما) من بعد سيلة " . وهناك صورة حسية شمية تأت من خلط الخزامى بالزعفران ، ودهن الحبيب تهديه بهذا الخليط طيب الرائحة.

ولم يوظف الشاعر هذه الصور ويثبتها على الجدار ، بل بث فيها الحركة ، وأدب فيها الحياة ، فالخدي يشرب بالمطر ، والمطر يهطل ، والردف يغمز ، والحوحل تهمز ، ورائحة الطيب تفوح والغزال متحرك دوماً تبعاً لحركة راميه ، وحتى الكمأة يحركها سيل المطر ، ولا شك أن حركة الصورة وحيويتها أخرى بالتأثير في المتلقي من الصورة الثابتة . وربما كان مبعث هذه الحركة والحيوية في الأخيصة انعكاساً لحركة البدوي نفسه ، واسقاطاً من حياته التي لا تعرف الاستقرار والثبات .

إن هذه الصورة التي يلتبسها الشاعر الشعبي ، ليست بدعة جديدة .. بل لقد سبق إليها من قبل سلفه من الشعراء ، فإذا دققنا النظر في الصور الشعرية الشعبية ، وجدناها تقليداً ، وتكراراً للصور الشعرية في مختلف العصور السابقة . وإلا فما نقول بهذا التوافق بين جيد عشيقه امرئ القيس :

وجيد كخيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل⁽¹⁾

وجيد فتاة شاعرنا :

عنق خشف مرتعه روس المباني وأن لمح راميه من راس طويلة

والتوافق في صورة النهدين ، النهدي الجاهلي عند الأعشى :

وثديان كالرمانتين وجيدها كخيد غزال غير أن لم يعطل⁽²⁾

(1) الزوزني ، أبو عبد الله الحسين ، شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 4 1980 ص 47
" الخشف : ولد البقرة الوحشية .

(2) الأعشى ، ديوانه ، تحقيق فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط 1968 ص 63

والنهد عند شاعرنا الشعبي (مفقاع كما من بعد سيلة) ، بل أظن أن بروز النهد بشكل " الكمأة " بعد المطر ، أكثر بداوة من بروزه بشكل الرمانة .
ولم يغادر الشاعر الشعبي العناصر البيئية الطبيعية ، دون أن يمر بغزله عبر العناصر القبلية الاجتماعية ، فيذكر تفاعل غزله هذا مع مفاهيم القبيلة ومعاييرها :-
قالت : ابعدي لا يشوفونك خواني ثم نصبح سائلة بين القبيلة
قلت : قلبي ما يطاوعني عصاني على بعدك مالي بالمحمول حيلة
فالقبيلة ، ومنذ العهد الجاهلي ولوقتنا الحاضر ، لا تطبق لقاء أو حواراً بين ذكر وأنثى لا تربطهما رابطة زواج أو علاقة أخوة . وكثيراً ما ترددت الأقاويل ، ونسجت القصص حول العشاق بوساطة الوشاة والحساد . وتذكر كتب الأدب قصصاً شتى لهؤلاء العشاق وما عانوه من هؤلاء الوشاة وأقاويلهم ، يقول الشاعر قيس بن الملوح :
الا أيها الواشي بليلي الا ترى إلى من تشي أو بمن جئت واشياً⁽¹⁾
وأيضاً فإن المعنى الذي استخدمه الشاعر الشعبي للتدليل على تجاوزه قيمة من قيم البادية والتمرد عليها ليس بدعة جديدة ، بل استخدمه شعراء السلف ، فهذا هو وضاح اليمن يقول في المعنى نفسه :-

قالت : فحولي أخوة سبعة قلت : فإني غالب قاهر⁽²⁾

وهناك من سبق شاعرنا ، وضاح اليمن وأبي مغيصيب ، في تجاوزه حراس الحبيبة ليلاً ، واقتحامه خبائها ، والتمرد على نظم القبيلة ، ومن هؤلاء المتمردين : امرئ القيس ، وعمر بن أبي ربيعة .

إن المتأمل في مكونات صورة المرأة في الغزل الشعبي ، ومتابعة ما يرسمه الشاعر الشعبي في النقاب لصاحبه ، يمكنه وبسهولة ان يستخلص حسية

(1) مجنون ليلى ، الديوان ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط 3 ، 1997 ، ص 207
(2) الأغاني ، مرجع سابق ، الجزء السادس ص 216

هذه الصورة وماديتها ، واستلهاهم الشاعر لها من بيئته . وكذلك هي صورة المرأة في الشعر الجاهلي ، مادية حسية ، ومن هنا يرى الدكتور " يحيى جبر " تناسخ هذه الصورة الجاهلية في الشعر الشعبي وذلك لأن كثيراً من أنواع الأدب الشعبي اليوم ، تمثل امتدادا لأدب القبائل العربية التي ظلت محافظة على النمط التقليدي للحياة ، من حيث التماسك الاجتماعي ، والارتحال طلباً للماء والكلأ . وهذا في حقيقة الأمر ما جعل حركة التاريخ ودورته أبطأ في فعلها وتأثيرها في البدو منها في الحواضر ، كأنهم باستمرار تحركهم وترحالهم لا يتيحون لعامل التاريخ ممثلاً في منتجات الحضارة المادية أن يعجل في دورة الحياة ، فهم بذلك يصنعون الحياة مهدوء ، وهذا من وجهة نظرنا ما جعل الروح التي تسود كثيراً من القصائد الشعبية المعاصرة صورة أخرى من القصيدة الجاهلية ، لولا المستوى اللغوي الذي صيغت فيه هذه وتلك⁽¹⁾ " ويرى الدكتور افخيدة " الرأي نفسه في تناسخ الشعر الجاهلي في الأدب الشعبي " فظروف القول واحدة ، والإنسان واحد ، وكذلك الأرض والمشاعر والعواطف والانفعالات⁽²⁾ ، ويعتقد الدكتور " يحيى جبر " جازماً أن التلاحم الفطري بين العربي وبيئته يبعديها الاجتماعي والطبيعي هو الذي أدى إلى هذا التناسخ ، لا سيما أن البيئة الطبيعية هي نفسها التي أثرت في أسلاف الشاعر الشعبي من امرئ القيس إلى الأعشى وليد وغيرهم .. والترابط الاجتماعي ما زال على ما كان عليه آباؤهم، من التحام بالبيئة مراحاً ومراداً ومرعى ، ومن التمسك بالوشائج القبلية التي يلوذ بها الإنسان إذا ضاقت عليه الحياة⁽³⁾ فالمرأة في الشعر الجاهلي غزال وظيفية بكامل جسمها ، أو بشكل مجزأ ، وهي شمس وقمر ونجم ، دفاها كئيبان رمل ، ونهداها حقاً عاج ابيض ، ناصعة الجبين واسعته ، شعرها أسود .. الخ . ولا تفارق هذه الأوصاف شعر الغزل في النقب ، وإليك أمثلة على ذلك : يقول طرفة :

(1) جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ في الشعر الشعبي ، مرجع سابق ص 22

(2) افخيدة ، علي محمد ، الصورة في الأغنية الشعبية مرجع سابق ، ص 22

(3) جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ في الشعر الشعبي ، مرجع سابق ص 23

وفي الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطي لؤلؤ وزبرجد⁽¹⁾
والنابغة :

نظرت بمقلة شادن متربب أحوى أحم المقلتين مقلد
مخطوطة المتنين غير مفاضة ريا الروادف بضة المتجرد⁽²⁾
وطرفة :

ووجه كان الشمس حلت رداءها عليه نقي اللون لم يتحدد⁽³⁾
والأعشى :

غراء فرعاء مصقول عوارضها تمشي الهوينا كما يمشي الوجي الوحل
وعمرو بن كلثوم :

وثديا مثل حق العاج رخصاً حصاناً من أكف اللامسينا⁽⁴⁾
وإنك واجد الصور نفسها في شعر النقب الغزلي :

- ولما نظرت العنق من الرمي قريب جفله رصاص كالصوت الرعود
- أبو عيونا واسعات عن العوق مثل الغزال اللي شرد عقب ماطل
- ريم الفلا روض الخزامى مغاليه يقطف زهر ما لاق ومن ظله جفولي
- صورته من صورته وخلقه ظي عفر لو راح مع الظبا كان أخوها
- والردف يطوي الثوب والعود ريان والحد بارق مزنه مستحجية

(1) الأزوزني ، أبو عبد الله حسين ، شرح المعلقات السبع ، مرجع سابق ، ص 66

(2) للنابغة الذبياني ، ديوانه ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1960 ، ص 39

(3) طرفة بن العبدت ، ديوانه ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1987 ، ص 20

(4) عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، دار صادر بيروت ، ط 1 ، 1996 ، ص 55 .

إن نظرية التناسخ هذه ، والتي جعلت الشعر الشعبي يتكئ على الجاهلي ، أفادت الشعر الشعبي إنما إفادة ، وذلك نظراً للدراسات الكثيرة التي تناولت الشعر الجاهلي ، مما يسهل على باحث الشعر الشعبي أن يسير على هديها في دراسته للقصيد الشعبي ، التي تندر الدراسات التحليلية حوله .

ولم يكن الشعر الجاهلي ، الشعر الوحيد الذي يتناسخ قصيده في الشعر الشعبي البدوي، بل تناسخ هذا الشعر مع الشعر الرسمي في جميع مراحلها ، وذلك لما يتسم به هذا الشعر من مرونة . ولكن اللافت للنظر أن الشعر الشعبي إذا استعار صورة أو معنى حضرياً غير جاهلي ، فإنه يقوله بقلبه البدوي الصحراوي ، ليلائم بيئته الجديدة ، بعبارة أخرى فكأنه يعيد الصورة الحضرية إلى سيرتها الجاهلية . فهذا عمر بن أبي ربيعة يجيب عن سؤال يتعلق بمدى محبته للحبيب :

ثم قالوا : تحبها ؟ قلت : همرا
عدد النجم والحصى والتراب⁽¹⁾

وهذا شعر حضري ، ولتأمل كيف صاغ شاعر النقب هذا المعنى الحضري ، وحوله إلى آخر مغرق في البداوة ، وذلك باستخدامه لألفاظ بدوية تلائم البيئة ، واتكائه على ظواهر فلكية ، وأحوال جوية ، يراها ويلاحظها ويتأثر بها :

فرحت ببك عداد نو المخايل
وعداد ما هاج الريح بلتطامي⁽²⁾

وعداد ما وادي درج ماه ويسيل
عقب العطاش أرواه جم الغمامي

" ويسل " الشاعر الشعبي هذا المعنى ، من بيئته ويعيده للأصل البدوي :

كن في خده قمر وأربع فالشهر
والمحاجر كن فيها سيوف تسلها

(1) عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1961 ، ص 60 .
(2) ببك : بك ، عداد : أعداد نو المخايل : لمعان برق ، درج : جرى فيه الماء ، ماه : ماء ، جم : كثير .

وآخر يختصر الأسياف ، ويحددها بسهمين فقط ، ويحدد أيضاً مكان انطلاق هذين السهمين ، فالأول يصدر من " موقه العين " ، والثاني من الشفاف الرقيقة " : -

ارحميني من إخطار سهمين من طعنهن حسيت بالسدر ضيقه
الأول صادر من موقه العين وسهمك الثاني من شفاف رقيقة

إن المطالع في أوصاف المرأة في شعر النقي الغزلي ، يجدها مكررة كما كررها الشعراء الجاهليون من قبل " فالشاعر يستقي أخيلته من العالم الحسي المترامي حوله ، وهذه الحسية فيهم جعلتهم لا يتوسعون بمعانيهم ، بل جعلتهم يدورون حول معان تكاد تكون واحدة ، وكأنما اصطلحوا على معان بعينها .⁽¹⁾

وتحدد وفقاً لذلك أفق الشعراء في إطار البيئة الذي لا يتحدد ، فضعف خيالهم ، و تشابهت صورهم وظهر من جراء ذلك التكرار في الصور والمعاني⁽²⁾ ويعزى ضعف الخيال هذا إلى ثبات البيئة بمشاهدها اليومية المتكررة ، وصورها الروتينية ، إذ أن التغير في البيئة البدوية يكاد يكون ضعيفاً إن لم يكن مستحيلاً . فحتال الشاعر الشعبي في هذا كما يقول كعب بن زهير بن أبي سلمى :-

ما أرانا نقول إلا رجيعاً ومعاداً من قولنا مكروراً⁽³⁾

ويرفض الشاعر الشعبي " محمد المصباحين " ظاهرة التكرار الشعري في النقب ويقول :
إلى هاض⁽⁴⁾ قلبي أصعب القاف نبيه وأظهر من قلبي بيوت غريبة

(1) ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي دار المعارف بمصر ، ط7 ، د.ت ، ص 221
(2) الجبوري ، يحيى ، الشعر الجاهلي ، خصائصه وفنونه - دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع ، ص 74 .
(3) كعب بن زهير ، ديوانه ، حققه وشرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 1987 ، ص 26
(4) هاض : ثار ، القاف : القصيد ، للضريبة : الصيد ، الشور : الرأي ، أفتيه : يملكه .

يهيئ قلبي هيضة وادي من عواليه ركز أخیاله وتراكب شعیه
أخذ جزیل القاف وهزله أخلیه والبيت اللي مخطي معتنی به
ولا كل من بيني القاف يحكم معانیه ولا كل من بيني الضریة بصیه
ولا كل رجل بالشور أقدیة ولا كل رجل بالمهدي نقتدی به
فالمعاني والصور عند الشاعر متنوعة ومختلفة ، ولا يعتمد شاعر على آخر إلا في
جزیل (القاف) ، أما هزله فلا یهتم به ، ویقول فی المعنی نفسه :-
كل شاعر بیني القاف ویجتهد لكن عندك المعانی تختلف
المعانی والعقول مفرقه وكل رجل ماش واله سلف
ولكن الواقع غیر هذا فقد قمت باستقراء هذا الوصف من القصائد التي تمكنت
من جمعها ، وبوبت هذه الأوصاف فی : وصف الخد ، والشعر ، والعیون ، والنهد ،
والردف وما إلى ذلك ، وإن التأمل فیها یرى بسهولة تكرار هذه المعانی والأوصاف .
وصف الخدود فی الشعر الشعبي فی النقب :-
یا نسیم اللیل مهل عالحبیب یزعجه صدمات نسمك علخدود
ناعم خده وحساس غریب یشتكی لمسات شعره والجعود
زها برقع واطعینه فوق خد حاط جفن العین حوله واستدار⁽¹⁾
والخد برق لا سرى تالی اللیل ولا كما البدر ظهر بالتمامی
كل من زاهی الخدین اللی الیالی ابعدننه⁽²⁾

(1) عالحبیب : علی الحبیب ، عالخدود : علی الخدود ، زها : جمل ، واطعینه : یضعونه .
(2) أبعدنه : أبعدته ، لغاتی : من اللغة تكلم معی ، شرعی : ظهرن ، لا لعج : لو ظهر أبو خدی : أبو خدود ، شفته : رأیته ، كن : كان ، بوضی : یضی ، هلنا : أهلنا ، لتهامی : إلى تهامة ، حماره : لون أحمر ، فارقن : علامة فارقة ، ما خبر : لا أظن ، قنید : مثیل ، حلاب المتلی : حلیب النوق .

- هو الفريد اللي بدريه لغاني ورموش في زين خده شرعني
- أسود العينين مجلي الجماني والخدود يروغن بمزن ثقيلة
- والخدود يوصفهن برق الرعود لا لعج بتالي الليل بسحاب
- خده برق وناعمات ايديه وله مبسم يسحر وقلب طفولي
- ابو خديّد زايد في شقاره والعين سودا وغافق الرمش غاطيه
- ياالله من صاحب شفته خده من الزين رويان
- كنّ في خده قمر عشر واربع فالشهر والمحاجر كن فيها سيوف تسليها
- والخد براقه في راس مزيني يوضي سنا برقها من هلنا لتهامي
- كن في خده حمارة مع اللون العفر فارقن في البيض ما خبر له قنيد
- والخد بارق مستهل السحاب وكلامه احلى من حلاب المتلي
- والردف يطوي الثوب والعود ريان والخد بارق مزنة مستجيبه

(2) ابعده : أبعده ، لغاني : من اللغة تكلم معي ، شرعني : ظهرن ، لا لعج : لو ظهر
 أبو خديد : أبو خدود ، شفته : رايته ، كن : كان ، يوضي : يضيء ، هلنا : أهلنا ،
 لتهامي : إلى تهامة ، حمارة : لون احمر ، فارقن : علامة فارقة ، ما خبر : لا اظن ،
 قنيد : مثيل ، حلاب المتلي : حليب النوق .

وصف العيون :-

- والعيون اوساع والكحل صبيب كنهن ساعات يظبطن لوعود⁽¹⁾
- كنهن عيون خفر مسترد في افياض وشاف زيله واستدار
- نون عينك به جيوش تستعد جاهزة بسلاح شامل للدمار
- وانت الامل يابو عيون شقية والله احبك كثر هلت بردها
- يا زين يابو عيون سود ونعاسا يكفك قلبي يا حبيبي ملكته
- ارحم صويين طاح من سهم عينك وخلق لخلق يا حبيبي سموحي
- ابو عيون وساع ورموش غزيرة والجدايل يضربن حد للوراك
- سود عيونه من نفر بجهرنه وخصل رمشه كنه عيون شيهان
- خرس عيونك ناعسات مضاليل عين الوليع وطافح بنهزامي
- وجدي على زاهي الرموش المكامل وجود منهو طايح بالمقامي

⁽¹⁾ يظبطن الوعود : يظبطن الوعود ، افياض : سهولة واسعة ، زيلة : شخص ، أو شيء ما ، كثر : عدد ، صويين : سهم صائب ، للوراك : للورك ، نفر : استعد ، بجهرنه : يرونه ، كنه : كانه ، خرس : خرساء ، عين الوليع : عين متقدة ، طايح : نازل ، القفور : القفر .

- يا عنق خشف بالقفور اتجول سود عيون كنها عيون الريمي
- اسود العينين في زفة شبابه من بنات البادية بنت وزينة
- ابو عيون وساع هن بالحيل سود يجرح المعلق لا غصب الهداب (1)
- عند اكحل العينين وزين الثايات اللي اوشامهن مثل عشب المربع
- عيونها زي غدير الصيف ويا عذاب ال خطا به
- ابو عيوننا واسعات عن العوق مثل الغزال اللي شرد عقب ماطل
- والعيون وساع ورموشهن العكش سود
تسحر المشتاق لين عقله تسليه
- ارحميني من اخطار سهمين من طعنهن حسيت بالسدر ضيقة
- سود العيون والاصابع سجارة ويا زين جسمه في لباس ظهر فيه
- والكحل بالعين داعجته والرمش يا ريش غربان
- والرمش اللي في جفونك مستحد هز جسمي هز زلزال الدمار
- سبتني سمرة البحرين ببسمتها وكحل العين

(1) وساع : واسعة ، بالحيل : كثير ، المعلق : المحب ، زي : مثل ، الخطا به : الذي مر به ،
العوق : الل ، والنية ، اللي : الذي ، شرد : هرب ، العكش : المنحنية ، لين : لئن ،
السدر : الصدر ، داعجته : وضعته بكثافة .

والخُدود يروقن بمزُون ثَقيلة

أَسود العينين مجلي الجماني

وصف الشعر :

سمرا وكحيلة والشعر مجدول⁽¹⁾

بنت بدوية محلاها طول

والجدائل يضربن حد للوراك

أبو عيون وساع ورموش غزيرة

لجلهن يكسنه لو كان عريان

- شذب قرونه يوم دلح كنه

لون اللهايب واهجات يشعني

- شقر الجدائل كاسيات المتاني

شقرن قرونه ظافية عالردوني

- توه صغير السن حلو مزاره

وتهوده مثل الحراب وقوفي

- اللي قرونه زاهيات بشقارة

تجهل المكياج وما هي به فطينة

- ما تقص الرأس ولا تصير جنباه

والثنايا كـالبرد

- قرنها ريش المداحي له يشابه

(1) قرونه : جدائله ، دلح : ظهر ، المتاني : الكتفين ، يشعني : يظهر ضوءاً ، توه : ما زال ، ظافية : متدلّة ، جنباه : شعر قصير ، ما هي به فطينة : أي لا تعرفه ، ترخي : تسرح ، قراميل : خصال من الشعر مجموعة ومربوطة بخيط أو نحوه ، الغوى : الزين والدلال ، ع : على ، حنا : نحن ، خلا : ترك ، شعلا : شعلة ، حاذفته : مسرحته ، محاقيب وبطان : ظهر وبطن ، المكياج : ما تستعمله المرأة من الوان وإصباغ للتجميل .

- ترخي قراميل الغوى ع قفاكي وحنأ نقاسي الغلب من باب لباب
- وبأ بو شعور حرير منشور خلا في قلبي شعلا به
- والقرن عالمتن حاذفته يلحق محاقيب وبطان
- وان رمت شقر الذوايب على دمث النحر
ذيل صفر شعشعت والكظام آيتلها⁽¹⁾
- تلني شقرن ذوايبه وشعشاع الحدود
كن فيها كهربين والعنين كهريه
- فارقن في بيض لونه وفي طول الشعر
كل ما كده عالمتن مترين اكيد
- راعي جديل يمشطه بالخضاب زوده على حد الردوف مدلي
- والقرن ذيل اللي تشعشع للاكوان بنت الاصيل اللي طويل السببية
- والخزامى فاح خلط به الزعفراني عالنواهد مرخي راس الجديلة
- وصف الثنايا والشفاه :-
- والثنايا الليا بدن مثل الحليب والشفاف لون حمار الورود

⁽¹⁾ رمت : طلبت ، آيتلها : أية لها ، علامة عليها ، تلني : هزني ، شقرن : شقراء ، فارقن : له علامة فارقة ، كدة : مشطه وسرحه ، زوده : كثيرة ، اللي تشعشع الاكوان : كناية عن الشمس ، طويل السببية : طويل شعر البيت ، كناية عن رفعة الشيخ ومنزلته الليا بدن : التي ظهرت ، حمار الورود : الورود الحمراء ، هل : اقبل ، وداني : أرسلني ، شفاف : شفاه ، جفله : أخذته على حين غرة .

- عند اكحل العينين وزين الثنايا اللي اوشامهن مثل عشب المرابيع

- يابو ثنايا برد هل حبك عالموت وداني

- الاول صادر من موقه العين وسهمك الثاني من شفاف رقيقة

وصف العنق :-

- وليا نظرت العنق من الريمي قريب جفله رصاص كالصوت الرعود

- تابي عنقه كما عنق العنود قادت الغزلان في روس الهضاب (1)

- ورقبيته زي ابريق الفضة وتقتل من غير قلادة

- دقها فالعنق والدق الاخر فلخصر الوصوف الكاملة كلها يحتلها

- والعود عود الخيزران الرياني والعنق عنق من المها مستظلي

- والنحر مثل القدر حين اشتبا به والحشا لفه حرير طاويينه

وصف النهدي :-

(1) تابي : ان طلبت ، العنود : غزال ، رقيقة:رقبته،صغرت للتحبيب،زي : مثل ، دقها : جعلنا نحيفة متناسقة ، الرياني : المرتوي ، اشتبا به : عندما ارتفعت حرارته ، طاويينه : مطوية ، السر : الصدر ، محلاة : ما أجمله ، مزبور : مشدود وقوي ، طفي : اطفئ ، سدره : ستره ، لا مشى : لو مشى ، سوى : أحدث ، ناض : بنت ، سيلة : مطر ، الفناجيل : جمع فنجان ، ثوبية : ثوبه ، بينثرامي : يطلبين الانفصال عن الثوب .

- والسدر محلاه من شوفه تشيب زاهي وحلاه تدوير النهود
- يا لطيف العود مزبور النهدي ارحم المجروح وطفلي عنه نار
- والنهود بوسط سدره مستديره لا مشى بالثوب سوى احتكاك
- قد علوه توهن زينه فقع الكما لا ناض من عقب الاحزان
- صدرها للنهد شفته تو قاني لون مفقاع الكما من بعد سيله
- يا بو نهود لون وصف الفناجيل يشكن ثوبيه لصفقن بينثرامي
- اللي نهيده في نحره استكاني مثل الزبيدي توهن فقعني⁽¹⁾
- اللي قرونه زاهيات بشقاره ونهوده مثل الحراب وقوفي
- وبالحشايا يا صاحبي شفت النهود واقفات كنهن روس الحراب
- والخزامى فاح خلط به الزعفراني عالنواهد مرخي راس الجديلة
- ابو نهيد كيف بيض الحباري وبيض الحباري يوم ترقد تغطيه
- ويا بو نهود عالصدر قاعود يشده من طرح الرطابه
- والحشا ملهوف طامسن تحت عض النهود
- الله اللي حط فيه الجمال ورتبه

⁽¹⁾ الزبيدي : الكما الأبيض ، صاحبي : صديقي ، صاحبي ، كنهن : كانهن .

وصف الأرداف :-

- وان اوصف انا الردفين المغمزاني هزت حجول الكعب ردف جليلة
- والردف يطوي الثوب والعود ريان والخد بارق مزنه مستجيبه

الحبيبة غزال :-

- كون الغرير اللي من الصيد بجفل ذبحتني يا عنق ذاك الريمي
- ابو عيونا واسعات عن العوق مثل الغزال اللي شرد عقب ما ظل
- ولما نظرت العنق من الريمي قريب جفله رصاص كالصوت الرعود
- كنهن عيون خفر مسترد في افياض وشاف زيله واستدار
- يا غزال الجفر عنكم ما ابتعد حبكم بالقلب سوى له مطار
- فم الرشا والجم من دونه يحيل لما زرد في قاعته بانحطامي
- يا عنق خشف بالقفور اتجول سود عيونه كنها عيون ريمي
- كم ليلة جيت متحري الوعود باغي شوف الريمي عقب الغياب
- مثل المها عينه وجيده وما فيه يلومني من لا يعرفه عدولي
- فز الوله ثم قلبي جمح فيه جمحة غزال شاف زول وطولي
- ريم الفلا روض الخزامى مغاليه يقطف زهر ملاق ومن ظله جفولي
- ريم الفلا ومرتعين في روايبه يرعى البختري والخزامى بفضولي
- صورته من صورته وخلقه ظبي عفر لو راح مع الظبا كان اخولها

- والعود عود الخيزران الريابي والعنق عنق من ألمها المستظلي⁽¹⁾
- وبعد عرض هذه الصور الجسدية الحسية ، للمرأة - موضوع الغزل - يبرز على السطح سؤال : هل صور الشاعر الشعبي امرأة بعينها ؟ أم أن أشعاره صودرت " المرأة المثال " ؟ . لمحاولة الإجابة عن هذا السؤال أقول : لم أعثر على اسم فتاة واحدة في الأشعار التي تمكنت من جمعها . ومرد ذلك في رأيي - المتواضع - يعود إلى :
1. إضافة لهذا فإن ميزة الشعبية في هذا الشعر يمكنها أن تمنع الشاعر من التصريح بإسم فتاته ، وهذا يتشابه مع ما يغنيه الرجال الفلسطيني (الحداد) في الأعراس الريفية ، فهو يصف المرأة (بأوصاف البيضاء ، السمرا ... الخ) ولكنه لا يستطيع بحال من الأحوال ان يسم فتاة بعينها ، وحتى لو كان ها الاسم مستعاراً ، خوفاً من إثارة البلبلة والمشاكل الاجتماعية .
 2. إن نساء البادية قد عشن في عالم من صنع الرجال ، عالم جاهز مغلق ولم ينحجن في أن يكون لهن وجود أصيل يمكن أن يتصف بأنه ذاتي على نحو ما يوصف الرجل . فالمرأة دائماً تابعة للرجل ، ولهذا فإنه صنعها على هواه ، وقدمها كما يحلو له فمحور هذا الشعر هو (أنا الرجل) .
 3. " إن ما حدث هو أن الشاعر قد عامل المرأة شعرياً كما عامل جواده وناقته مثل : " البنت الأصيلة تعرف من رسنها " فوصف المثال لا الواقع ، فالشاعر لا يصف امرأة بعينها ، ولكنه يصف المرأة المثال . وهنا قام هذا الشعر بالدور الذي قام به النحت " .⁽²⁾

(1) جقله : اطرب لصوته ، خفر مسترد : غزال هارب ، قياض : أفجاج ، سهول ، زيله : شبحه أو ظله ، سوى : منع ، متحري : أتحرى ، أطلب جاهداً ، باغي : يبغي : يطلب ، فز : فقر الخيزران الريابي : أعواد رقيقه تتمايل .

(2) د يوسف ، حميني عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط1 1998 ، ص16 وما بعدها .

ولو تأملنا هذه الأبيات الوصفية ، التي اخترتها من قصائد مختلفة وبوبتها . وتناولت بيتا من كل باب منها ، وربطتها معا لأبدعنا صورة امرأة جميلة ، أو قل " امرأة مثالا " يطرب لجمالها الذوق العربي بشكل عام .

وبجانب هذا الغزل الحسي في هذا الشعر ، نجد ملامح غزليه عذرية ، فالغزل الشعبي ليس قصرا على وصف المحبوبة ، ولكنه يعبر أيضا عن لوعة المحب ومعاناته ، واشتياقه . وبصور آهاته وأنيته :

يا ونتي ونه حبيب المهاره	راعيه بالركابات في الجنب كاويه
يا ونتي ونه فتاة العذاره	ملزوزة علجوز ما القلب هاويه
يا ونتي ونه فقير مع جنابه	عارف معاني الجود والقل طاويه
يا ونتي ونه ثليب الجماله	بارك وحمله في مطبه مخليه

يئن الشاعر كما المهرة الأصيلة تكويها لكز الركابات على جانبيها . انه حزين حزن شابة غضة مكرهة على زوج لا تحبه . حاله صعب كفقير يعرف الجود ولكن فقره يمنعه من البذل والعطاء . انه كالبعير يئن تحت حمله الثقيل والذي لا طاقة له بحمله .

ويناجي عبونه مغرورقات الدموع :

يا عين لكي بالهوى لفته	ما انتي على دين الاخوان
يا الله من صاحب شفته	خده من الزين رويان

وينادي صديقه عله يطفئ نيرانا شبت في قلبه المجروح :

يا بو معيتيق شب قلبي بناره	شاعر حساسي واللهب يشتعل بيه (1)
بسباب منه ساكن وسط داره	فتح جروح مغلفات لياليه

وعندما لا يسعفه صديقه ، ولا يطفئ نيرانه ، ولا يستطيع التخفيف من آلامه ، لا يجد حوله غير الحبيبة لتقوم بهذا الدور ، ولا يطلب منها إلا ان تكلمه لعل في ذلك شفاءه :

(1) حساسي : إحساسي ، بسباب : بسبب .

كلميني جاويني يا عنود
خففي في هرجتك جرح الحشا⁽¹⁾
غصب عني أصبح خافقي ودود
من الطفولة كن قلبي له نشأ

ويطلب منها أن لا تظلمه ، وأن ترحم معاناته ، وتعطف عليه باللقاء : -

لا تظلميني ما دريتي عن خفوقي
ولعت بي ناركم داخل حشايه
كنت أحسبك باللقا بيا شفوقي
ما دريت احساسكم ما هو معايه⁽²⁾

ويناجيها طالباً منها معاتبته ، فالمعاتبه تغسل القلوب وتصفئها ، وتقوي أواصر
الحب . واللافت للنظر هنا أنه يطلب العتاب مع أنه لم يصدر عنه أي ذنب يستحق
ذلك :

عائيني يا حياتي فالعتب صفوة قلوب
فالمعاتب مصدقيه من الضماير نابعه⁽³⁾
عائيني وأنا واثق ما صدر مني ذنوب
لكن أدري من ضميرك الظنون تصارعه
كل ودي والأمانى يلتقن فينا الدروب
ليه تبعد عن دروبي وطريقي تقاطعه
إن حبه لها ، وبعدها عنه ، قد صيرا ليله عذاباً ، وحياته غربه مطلقة إنه يعيش
مع دمه وحزنه وجروحه :
ليلي عذاب وغربتي ما لها حدود
ودمعي تحدر بين جفني والهداب⁽⁴⁾
وعانق جروح الأمس جرح له شهود
دمع تحدر خالطه دم سكاب

(1) هرجتك : كلامك ، الحشا : المقصود هنا القلب ، نشأ : نشأ

(2) باللقا : باللقاء ، بيا : بي

(3) فالمعاتب مصدقيه : العتاب الصادق ، ونا : وأنا

(4) دمع تحدر : دمع نزل ، قترابك : اقترابك ، اليامتى : إلى متى ، وعطف : اعطف ، ينوحى : نائح ، باك ، نامت
الأخبار : لم تأت ، تلوغ : تنور ، قلب الغنا : قلب المحب محدن : لا أحد ، كود : شخص ، إنسان ، حدر : وصل ،
طو للشديد : ارتحلوا ، جانا : آتانا ، مونمن : متلق ، مراقبين : مكان مراقبة وانتظار .

ويذكر بخل الحبيب وشحه ، ويستجديه العطف ، ويذكره
 بالحديث الشريف : " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء " :-
 ما دام بعدك وقترابك بياديك اليا متى يا زين وانت شحوي
 ارحم رحمتك الله ربك واليك وعطف على اللي في هواكم ينوحي
 ورحلت ولم تأت عنها أخبار .. غابت ولكن عهد الحب باق .. يراقب
 المرتحلين والمسافرين عل احدهم يمد به بأخبارها ، ولكن لا احد يسعفه ، ويظل
 قابعا في سجن همومه ولوعته واشتياقه :
 ناست الاخبار عن صاحبي ما جا خبر
 والهموم تلوف قلب العنا قامت تزيد
 محدن جانا بعلمه يا كود انه حذر
 العهد بظعونهم يوم طوو للشديد
 محدن جاني ونا مونسن هم و قهر
 كل يوم راكن راس مراقبن جديد
 وفي ظل الغربة ، والبعد والهجران ، والهم ، والترقب ، والعذاب ،
 والوحشة ... يتذكر المكان .. فمكان اللقاء يذكره بالحبيب .. ويعزز هذه
 الذكرى ليقربها من الواقع " بالفعل " ، من خلال تخيله قيام الحبيب بمشط
 شعره الطويل وصيغه بالحناء :
 يا ريتني سيرت يم الغرابي من شان .. شوفها رحمه لي⁽¹⁾
 راعي جدل يمشطه بالخضابي زوده على حد الردوف متدلي
 ويتذكر الزمان .. زمان اللقاء المفرح فهو يذكره بالحبيب أيضا :-
 في نهار العيد قابلت انا الزين ما درى هو حلم والا حقيقة
 ولعل الشاعر هنا لاعم بين العيد وموعد اللقاء ، ليكون " عيده عيدين " كما
 يقول الموروث الشعبي .

⁽¹⁾ من شان : من اجل ، شوفها : اراها ، مشكاي : شكوي ، خبثة : خبيثة ، لهبوني : الرياح ،
 عصبوي : الطباع ، ما اقرر : لا أستطيع ، يفتنولي : يتذكروني ، فعلوقي : في قلبي ،
 يجولي : يتجول ، يا ريتني : يا ليتني ، سيرت : مشيت ، يم : اتجاه ، الغرابي : اسم المكان .

ويشكو لصاحبه عجوزاً ، تحاول السعي بينه وبين الحبيب ، ويصف خبثها
وبشاعتها ، وحقارة الدور الذي تقوم به :

مشكاي وقفوا في طريقي لي حرب وأنا أشهد أنهم يا خليل أثروا بي
بقيادة اللي كنها سم عقرب ما بقي بقولها إلا النيوبي
عجوز خبثة فعلها بالخرّب من دون خلي واقفة لي حسوبي
من خلقتها شنته خيالن من الرب بشعه من يوم الصبا والشبوبي

ويرد صديقه عليه ، ويطلب منه ان يشكوها للرب ، فهو الواحد القادر على
دحرها ، ورد مكرها إلى نحرها :

تشكي عجيز لون غصنها من الخبث شرب
منحني ويابس نشفنه لهبوبي
مالك عليها معين سوى الرب

خبثات الأنفاس شنيعات عصوبي
ويخاف الوشاة والحساد ، فيغض الطرف عن الحبيب ، ولا يستطيع أن يكلمه
ولكنه يعانقه بالقلب ، ويراقبه باللواظ :
أعظ عنه الطرف ما أقدر أحاكبه أخاف حساد الهوى يفطنولي
أعانقه بالقلب واللواظ تراعيه خشف جسور فعلوقي يجولي
"ويحظ" قلبه ويرتعد ، عندما تفشت أسرارها ، وأصبح حبه معلناً صريحاً ..
ويصاحبه الأرق والسهر :

حظ قلبي حظ كيد العقود من هموم داخله كثر التراب⁽¹⁾
عيني اللي ساهرة عيت تنود لين نجوم الليل ما لن للغياب
هاض قلبي لم ييحت السدود ومن بعد تفكير وضحت الجوابي
وبعد أن ييثر المحب لواعجه للحبيب ، يشب عن الطوق ، ويتمرد على
قواعد اللعبة العذرية ، ويطلب من المحبوب مشاركته قضاء بعض المتع

(1) حظ : ضج (قلب مكاني) ، كيد العقود : كيد الكاهنة ، عبت : رفضت ، تنود : تنام ، لين : عندما ، مالت : مالت ، هاض : هاج ، ييحت السدود : تفشت الأسرار ، تبغي : تريد ، الصدج : الصدق ، مير : لفظة للحث ، جهنكي بالله : عبارة تومل مثل قول العامة " الله جارك "

الحسية. فيرفض حبيب العفة ذلك ، كما رفضته من قبل ليلي الأخيلية مع الحبيب توبة بن الحمير حين قالت :-

وذي حاجة قلنا له لا تبج بها فليس إليها ما حيت سبيل
لنا صاحب لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحب وخلييل⁽¹⁾
ويقول الشاعر الشعبي : -

كان تبغي الصدح غرامك طواني وشتعل في القلب من لون الفتيلة⁽²⁾
مير عجل يا حبيب لا تواني جهتكى بالله لا تكوني بخيلة
ترى عمر الآدمي يا بنت فاني دوم لحظات السعادة به قليلة
قالت : اطلب ثم وضع المعاني يلك للي تطلبه ناجد وسيلة
قلت : قربه جاي يا زين الغواني ولا بديلة
قالت : الله عن مطاليك ثماني قلت : ربي يغفر الذنب ويزيله
هالذنوب ويغفر من هو يستعاني ما يخيب من نداه ويرجي له

هذه الأمثلة التي أوردتها تصور حياة العاشق العذري ، وتصور حالات هذا العشق من معاناة ومكابدة ، تصور الحرمان والهجر والبعد ، تصور الألم ، ودور النظم الاجتماعية في منع لقاء المحبين ، ودور الوشاة والحساد في السعي بينهم . وإذا كان السلف من العذريين قد اقتصر حبه على واحدة وغنى لها ، فالشاعر الشعبي اقتصر على واحدة أيضاً ولكنه لم يسمها ، وبحكم سمات الشعر الشعبية ، فقد امتدت هذه الواحدة لتشمل النوع وتصور القصيدة من خلال شيوعها لساناً معبراً ليس لقائلها فحسب ، بل لكل العشاق .

ومن الأمور اللافتة للنظر في هذا الغزل " أن الوصف المعنوي فيه قليل، والسبب في ذلك ربما يكمن في أن الحبيب البدوي لم يعيش مع محبوبته ، ولم

(1) الأصفهاني ، أبو فرج ، الأغاني دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ط 2 دبت ، ج 11 ،

ص 213

(2) ري : اعتد ، الأدمي : الإنسان ، دوم : وقت ، يلك : لك ، للي : للذي ، ناجد : نجد ، هالذنوب : هذه الذنوب ، من هو يستعاني : من يستعين به ، نداه : ناداه وتوسل إليه ، يرتجيه : يطلب منه الرجاء

يتعرف عليها عن كتب ، وإنما كان حبه عبارة عن لقاءات عابرة وعن بعد ،
 وإلا لما اكتفى بالأوصاف الخارجية للمرأة⁽¹⁾ ويقول الدكتور يحيى الجبوري معللاً
 الظاهرة " فالمرأة هي موضوع الغزل ، وقد تناول الشاعر الجاهلي جمالها ، وأول ما لفت
 نظره جمال وجهها وجمال أعضائها . ووصف الجمال الجسدي هو الأمر العام الطاغى
 على هذا الغزل أما وصف المحاسن الخلقية والنفسية وتصوير عواطف المرأة ، وحكاية
 الحب بين الرجل والمرأة فيأتي كل ذلك بالمرحلة المتأخرة من وصف الأعضاء ، إن
 الشاعر يقف أولاً عند الصورة الخارجية للمرأة ، الصورة التي تحرك فيه عواطف الجنس
 وعواطف الحب والجمال"⁽²⁾ ، والسبب في ذلك ربما كمن في أن الحبيب البدوي لم
 يعيش مع محبوبته ، ولم يتعرف عليها عن كتب ، وإنما كان حبه عبارة عن لقاءات عابرة
 وعن بعد ، وإلا لما اكتفى بالأوصاف الخارجية للمرأة⁽³⁾ ، ولهذا نرى أن التزعة الغالبة
 في هذا الشعر أن تكون الأوصاف الحسية للمرأة هي المجال الذي تتردد فيه أفكار
 الشعراء والموطن الذي يحومون حوله . إضافة إلى ذلك "فإن طبيعة الحياة الفقيرة التي
 يعيشها الشاعر ، وشظفها وسيرها على وتيرة واحدة ، جعل الشاعر ينجح إلى الصورة
 المادية المحسوسة في الطبيعة ، وبالتالي جعل غزله يتركز على المفاتن الجسدية للمرأة ،
 دون الطواف بعالم الروح إلا لمأماً"⁽⁴⁾.

ومع هذا فإن المطالع في الشعر الغزلي في النقب لا يعدم أن يرى بعض مواطن
 الوصف المعنوي والخلقي مثل : الإباء ، والوفاء ، وحسن الخلق ، والعقل (الزين) :

(1) غريب ، جورج ، الغزل تاريخه وأعلامه ، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي ، دار الثقافة بيروت ، لبنان ،
 طبعة د . ت ، ص 14

(2) الجبوري ، يحيى ، الشعر الجاهلي - خصائصه وفنونه - مرجع سابق ، ص 166

(3) عبد الواحد مصطفى ، دراسة الحب في الأدب العربي ، مرجع سابق ص 16 انظر أيضاً : اتجاهات الغزل في
 القرن الثاني الهجري ، بكر يوسف ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف بمصر ، ص 19

(4) الدغلي ، محمد سعيد ، لحديث غزله ، مرجع سابق ، ص 75.

أنت الحبيب ومحبتي لي وفيه
أنت ال فيك الطباع الأبية
لا شفت زولك هان همي عليه
أنت النسيم اللي رياحه عذبه
ما تغيرت بل زايدة في عندها
فيك الأدب ووصاف عقلك سندها
وصارت هموم الوقت تترك بلدها
وأنت الحياة اللي أكيد وعدها⁽¹⁾

مطلع قصيدة الغزل (المشد) :-

ربما اختلفت قصيدة شعبية غزلية عن أخرى في المشد ، ولكنها قطعاً تتفق معها في المعاني ، وتتفق في أفكارها الرئيسية أيضاً . فمجال الاتفاق بين القصائد الشعبية يظهر في الوصف الجسي للحبيبة ، وفي لوعة الحب ، وشدة اشتياقه نتيجة الفارقة والمهرج .. وهذه الأفكار والمعاني نجدتها مكررة في ثنايا القصائد الغزلية .

أما المشدات فمختلفة ، وأن كان يكثر فيها النداء ، وهو الملائم لبعد المحبوب في جو الصحراء الفسيح المترامي ، ولما للنداء من فائدة كبيرة في تكوين الجملة الطلبية والتي يعبر فيها الشاعر عن مجمل طلباته واحتياجاته من المحبوب . ولنسمع نداء الشاعر " أبو تايه صديقه " أبو نايف " .. يتاديه عله يثته همومه ويسري عنه :-

يا أبو نايف جال قلبي وما صمد
من قابلت الزين حسيت انكدار⁽²⁾
وما أن يسمع " أبو نايف النداء ، حتى يبدأ الشاعر بث شكواه ، وضيقة وتبرمه بتلقائية :
وهاج فكري والضمائر له سند
وحشني في قاف حطر بنفجار

(1) عندها : عنادها وكبريائها ، ال : الذي ، زولك : شخصك ، هان : قل
"المشد : هو المطلع في القصيدة الشعبية .

(2) جال قلبي : تاه فكري ، من قابلت : عندما قابلت ، واضلعيته : يضعونه ، وحشني : في قاف حطر بنفجار : تحول الفكر والهم إلى قصيدة ملتهبة ، ابوصف : أريد أن أصف ، زهي : جمل .

وبعد هذه المقدمة ، يجد الشاعر لزاما عليه أن يدخل مباشرة في وصف الحبيب حسيا :

قافنا لزوم يظهر كسالشهد ابوصف عيون الزين جملة وختصار
زهي برقع واضعنه فوق خد حاط جفن العيسن حوله واستدار
وينهج الشاعر "سليم السميري" المسار نفسه في بناء قصيدته ، ويتكى على
تشخيص مظهر من مظاهر الطبيعة هو النسيم ، ويبدأ بمناداته :

يا نسيم الليل مهل عالحبيب يزعجه صدمات نسك عالخدود
ثم يدخل هو الآخر مباشرة في وصف المحبوب حسيا :

الوجه بدر ظاوي له لهيب على نوره نقندي بارض النفود
والعيون اوساع والكحل صبيب كنهن ساعات يظبطن الوعود
والثنايا الليا بدن مثل الحليب والشفاف لون حمار الورود

وينادي "مخلد الزوايدة" الليل ، يحاوره ويبيته شكواه ، وتكثر في
قصيدة الشاعر ألوان من المبالغة ، تبرز في التكرار وفي استخدام صيغة كم
الخبرية .. وفي ذلك إichاء وإسقاط لما يعانيه الشاعر من ضيق ولوعة في
حبه. ويقف الشاعر حواراه مع الليل ، ولا ينتقل - كما انتقل أقرانه - لوصف
حسي ، وكأنه في ذلك فاقد لحبيته : -

يا ليل جاوبني ترى خافقي ضاق وعكس صدى صورة بعيني مطلة
جيتك اخم الأرض والرجل تتساق والشوق ينزع خافقي من محله
انا اسالك يا ليل : من عذب الانطاق يا سرمدي وشلون كيف ارتحله
كم عاشق يا ليل ناكك مشتاق ينشد نجومك عن سواليف خله
كم عاشق ناداك في صوته اشفاق وانت ترد الصوت بطعنة وتله
وكم عاشق بك تاه في خطوة ارهاق وافشى لغز حساس ماحدث فطنله

ويسائل الشاعر "العطون" "الفجاج" الفسيحة ، والفلاة اللامتناهية الحدود عن
الحبيب :

أساءلك يا فلاة عن صاحب الذوق اللي يشوفك كل يوم من التل .

ثم يدخل مباشرة في وصف حسي مباشر لهذا الحبيب ، يمزجه بشيء
 من الوصف المعنوي المتمثل في منطق الحبيب الذي يأسر لب الشاعر :-
 أبو عيونا واسعات عن العوق مثل الغزال اللي شرد عقب ما ظل
 ادعج غنج في نظرتة يزرع العوق في قلب منهو بالهوى صار منسل
 زاهي جماله زايد زين منطوق له منطق يشفي عليلا ومنسل

ويناجي الشاعر " تيسير الذبابات " هواجسه ، فهي ممثل الحبيب في
 وجدان الشاعر ثم ينتقل بعد ذلك لوصف خلق الحبيب . ويظهر في نهاية
 القصيدة رد فعل الشاعر في تحديه للياس ، وإصراره على إزالة كل هواجسه
 وهمومه ، وذلك من خلال تبنيه للشخصية الفعالة ، وتقمصها . باستخدامه
 الأفعال : ترجع ، وسامر ، وامشي ، واظهر ... الخ .. ففي كل بيت شعري
 نرى فعلا أو أكثر سيقوم بها الشاعر لبناء هذه الشخصية التي ستتناسى
 الجراح، وتقفز عنها ، وتبني صروح المستقبل . وهذا في نوع من الإسقاط
 النفسي على الحالة اليايسة التي يعيشها الشاعر ، وإيحاء لما يعانيه من قلق :

يا هاجسي تاصلك مني تحية	تبعد عن الحساد واللي حسدها
يا صاح في قلبي محبة قوية	نيران حبك في خفوقي وقدها
انت ال فيك الطباع الابيه	فيك الأدب واوصاف عقلك سندها
لرجع وسامر ما مضى لي من أيام	وامشي على درب حبيبي مشاها
اظهر من الافراح واخفي من الالام	وانسى تصاريف الزمن و غثاها
لرجع واصحي الوقت من سالف اعوام	واشب نيران يتواقد سناها
واعانق النسمات لا هبت انسام	واغازل النجمة في عالي سماها
واشعل شموع الحب في درب الاوهام	تضوي على ذكرى خفوقي رثاها
وارسم مسير ايامها وسير الاقدام	تمشي على هون بطية خطاها
واتابع احلامي على درب الاحلام	واصل مواصيل الامل في رجاها
واترك هواجس خاطري بالهنا تنام	واسقي ورود الحب لا جف ماها
وعشق عيونك كثر ما طائر حام	وعشق بهن حلو الحياة وصفاهها

وتتجلى هذه الإرادة ، وهذه الشخصية الفعالة النشطة المتحركة ، المتمردة على قوانين السكون وبطء دورة الحياة الصحراوية . المتمردة أيضا على نظم الحياة الاجتماعية والتي تمنع لقاء الأحبة ، ولا تسمح به .. تتجلى هذه الإرادة في قصيدة الشاعر " الفطنة " :-

أبكتب عن النظرة اللي شفتها فعيونك
وعن البسمة اللي بثغرك سيدي⁽¹⁾
وأبكتب عن البحة المثيرة اللي بصوتك
وأبكتب عن السحر اللي فعيونك فيدي
وأبشعل لك قصيدتي تنور دنييتك
وأبساھر النجمة و طالع ساعتي
وأبسھر القمر أّسامر و جنّتك
وأبرسل البسمات في مثاني همستي
ويرحب الشاعر " الدماني " بالحبيب في مشد قصيدته ، ويعبر له عن مدى فرحه بلاقائه ، ثم يتحرك مباشرة ليصف نهده ، وخده ، وفمه ، ورموشه:-

أهلا هلا بك يا الغظي يا قل الجبل	شوقك يرد الروح عقب انصرامي
فرحت ببك عداد نو المخايل ⁽²⁾	وعداد ما ماج البحر بلتطامي
وعداد ما وادي درج ماه و يسيل	عقب العطاش ارواه جم الغمامي
يا بو نهود لون وصف الفناجيل	يشكن ثويبه لصفقن بنثرامي
والخد برق لا سرى تالي الليل	ولا كما البدر ظهر بالتمامي
وجدي على زاهي الرموش المكامل	وجود منهو طايح بالمقامي

(1) أبكتب : اريد أن اكتب ، القمر : طير من الطيور، الغظي : الطري ويراد هنا الغزال، عداد : عدد

دنييتك : دنياك وحياتك ، بلتطامي : بالتطامي .

(2) يذكر الشاعر هنا قول عمر بن أبي ربيعة: ثم كانوا تحبها قلت بهرا عدد النجم والحمى والتراب

وبعد أن يجسد الشاعر صورة جميلة لهذا المحبوب ، ينطلق ليثبه لواعج حبه ، وما يعانيه من وجد وشوق :

متى تعود أيامنا والتعاليل بعد الفراق ونجتمع بليتامي⁽¹⁾
 وكل يشاكي صاحبه بالتفاصيل ساعة وداه وحافلة بالمرامي
 ويأمر الدماي قلمه ليكتب جواباً للمحبيب ، واصفاً فيه مشاعره تجاهه ، ثم يتقل
 لوصف حسي لهذا المحبوب ، بعدها يتوسل لله طالبا منه الرحمة ، ومستعينا به أن يشفيه من
 هذا الحب بجمعه بمن يحب : -

أبيات شعرن من ظميري طلعي	سر يا قلم وكتب جواب الدماي
أحبك ياللي بالهوى ما خدعني	ليبك ياللي بالمحبة دعاني
سبحان منهو بالهوى لك أخضعني	يا واحد محبوب من غير ثاني
مثل الزبيدي توهن فقعي	اللي غيده في نخره استكاني
لون اللهايب واهجات يشعني	شقر الجدائل كاسيات المتاني
يارب ياللي وان طلبته سمعني	يا لله ياللي عليك مستعاني

ترحم طريقن من هوى الشوق فاني

اللي فراقه باللهايب وضعني

وآخر جوابي شان الموت شاني

أن كان ربي بالغظي ما جمعي
 ويحدد الشاعر " خليل الوحيد " زماناً في مشهد قصيدته ، وبعد ذلك يحدد مكان اللقاء ، وهو بئر الماء (العد) ، ثم يبدأ بوصف الحبيب :

ثلث تيام وأنا صائم قعودي ما صرت نابه⁽²⁾

(1) التعاليل : مفرد تعليلة ، وتعني عموماً السهر مع جماعة بقصد الترويح عن النفس ، مثل قولهم :

وإحنا يوم سرينا تعليلة طريت علينا

وحنا لولا محبتكم لا جينا ولا تعينا

وتعني هنا : السهر مع الحبيب سراً بعيداً عن أنظار الناس ، بليتامي : بالتنام ، طريقن : طريق ، شان الموت بشاني : أي أنني أحسب مع الأموات .

(2) ثلث تيام : ثلاثة أيام ، يشاكي : يشكو ، ونا : وأنا ، قعودي ما صرت نابه : بغير لم يحرك أسنانه لأكل

وردنا العد القراح صدفته والبخت جابه
ويابو نعيد عالصدر قاعود يشده من طرح الرطابه
أصابه زي شماريخ يضربو خروط الشبابه⁽¹⁾

ويحدد الشاعر سالم اللوافية أيضاً زمانا في مشد قصيدته :

البارحة ما جا المراج ايتطرب يلعب بي الهاجوس في كل صوبي
ويدخل الشاعر العطلون في حوار مباشر مع الحبيب ، ويصف معاناته :
كلميني جاوبيني يا عنود خففي في هرجتك جرح الحشا
غصب عني أصبح خافقي ودود من الطفولة كن قلبي له نشا
وفي قصيدة أخرى للشاعر :—
لا تظلميني ما دريتي عن خفوقي ولعت بي ناركم داخل حشايه
كنت أحسبك باللقا بيا شفوقي ما دريت احساسكم ما هو معايه

⁽¹⁾ خروط الشبابة : فتحاتها ، ما جا : لم يأت

الفصل الثاني

وصف الطبيعة في شعر النقب الشعبي

وصف الطبيعة في شعر النقب الشعبي

للبيئة الطبيعية تأثير كبير في صياغة الحياة البدوية ، فهي البوتقة التي يتفاعل معها البدوي ، وهي التي تؤثر فيه بتفاعلاتها في يحمل مناسطه الحياتية ، وتؤسس لنظام البداوة الخاص . ولو تتبعنا عناصر هذه البيئة ومفرداتها لرأينا انعكاسها على حياة ساكن الصحراء "فالبيئة هي التي صاغت أبناء الصحراء على ما يلائمها من نخولة في الأجسام ، وسمرة في الألوان ، وحدة في البصر ، وقناعة بالقليل ، وعزة في النفس ، وصلابة في العزيمة ، وصبر على المشقات ، وصراحة في المقال ، وإثارة للإيجاز ، والاكتفاء باللمح والرمز"⁽¹⁾. فالبيئة تقتضي أن يقطع البدوي المسافات الطويلة للبحث عن كلاً مواشيه ، أو جلب الماء لها بشكل يومي أو موسمي ، ويتم ذلك تحت الشمس الحارقة ، على رمال الصحراء المتناهية ، ومن هنا تأتي نخولة الأجسام ، وسمرة الألوان ، وحدة البصر، والصلابة في العزيمة ، والصبر على المشقات . وفي فصل الشتاء تجده بين خوف ورجاء ؛ خوف من القحط أو من سيول الشتاء الجارفة ، التي تقتلع الخيام وتودي بالمواشي ، ورجاء في أن يمن الله عليه ، ويجعل المطر سقيا رحمة لا سقيا عذاب . وليس المطر العنصر الوحيد المؤثر في هذه الحياة بل هناك ما يتعلق به من عوامل

(1) د . الحوفي ، أحمد محمد ، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مكتبة نهضة مصر بالقاهرة ، سنة 1958 ، ص 14

وأسباب أخرى ، مثل الأنواء الدالة عليه والبروق والرياح التي تسوق السحب وغيرها .

وفي سفره نجد الطبيعة دليلاً هادياً له ، فبالنجوم يهتدي ، ويعرف الاتجاهات في الصحاري الواسعة . والجبال والأودية والهضاب نقاط ثابتة على الأرض تهدت سواء السبيل أيضاً ، وفي سمره نجد القمر يضيء (تعليلته)⁽¹⁾ ، والصبا والنسيم يعثان شجونه وحنينه .

لقد رافقت هذه المفردات الطبيعية البدوي في حله وترحاله* ، لما لها من أثر في حياته . فهي موضوع حديثه اليومي ، ومصدر إلهامه ومنبع وصفه الشعري ، فالمطالع في الشعر الشعبي في النقب ، يجد هذه المفردات في ثنايا القصيد البدوي ، يستحلب الشاعر منها معانيه تارة ، وينحت منها صورة تارة أخرى . وهو في هذا وذاك جزء لا يتجزأ من هذه المفردات الصحراوية ، لا ينفصل عنها ، ولا تعدو حياته بكل أشكال نشاطها أن تكون نتاجاً لهذه التفاعلات البيئية .

إن فنتة الشاعر الشعبي بالبيئة ليست بالجديدة ولا المبتكرة . وإنما هي امتداد لوصف الأسلاف - لا سيما الجاهليين منهم - لهذه الطبيعة . فما أكثر القصيد الجاهلي الذي عني بالبرق والمطر والنوء والشمس والقمر ، والجبل والوادي وغيرها من عناصر الطبيعة . فقد أفرد الشعراء لهذه العناصر أجزاء كبيرة من جسم القصيدة الجاهلية متبعين أوصافها وسماتها ، ومحاولين الإحاطة بجميع أحوالها .

ويأتي المطر وما يتعلق به من مظاهر على رأس هذه العناصر الطبيعية ، ذلك لأنه من أهم أسس الحياة الصحراوية والتي تدور حول الكلاً والماء . اللذين تستحيل الحياة البدوية دونهما إلى جذب ومحل ، مما يزرع الأمن الاقتصادي الصحراوي ، بل يقوض دعائم الحياة البدوية برمتها ؛ فالمطر نعمة كبرى في الصحراء لأنه يكفل الخيرات والأرزاق لسكانها ، بل إنه وسيلة من وسائل الحياة ؛ لهذا فرح به البداية وهشوا له ، وتشوقوا إليه ولهذا سموه الغيث ،

(1) التعليلة : سمر البدوي ، وسهره ليلاً ، حيث يتجاذب الأحاديث مع الآخرين في ضوء القمر
* تأثر البدوي بمؤثرات حياتية مختلفة حالياً ، نتيجة لتطور الحياة ببعديها السياسي والاقتصادي إلا أنه إلى حد كبير ما زالت البداوة تلقي بثقلها عليه .

وسموا الحيا ، وعرفوا السحاب الممطر والسحاب الجهام ، وعرفوا
البرق الواعد بالمطر والسحاب الخادع الخلب الذي لا يعقبه أمطار⁽¹⁾ .

٥٨٠٨٤٢

(1) إضافة لهذين الاسمين فقد ورد في دراسة الأستاذ أحمد محارب الظفيري تحت عنوان الماء والمطر في حياة البادية في مجلة التراث الشعبي عدد 12 سنة 1973 أسماء أخرى للمطر والسحاب منها : الويل والوايل : وهو الشديد من المطر الضخم القطر .
الديم : المطر الخفيف المتواصل لليل مع النهار .
الودكا ، الوداج (الودق) : المطر المستمر لمدة طويلة .
الرداذ : مطر ضعيف (الرداذ)
الهملول : مطر سريع ، كبير القطر ، ويجمع على هماليل .
الوسمي : وهو المطر الأول من أمطار السنة ، سمي بالوسم لأنه يسمم الأرض بالنبات .
الثروي : نسبة إلى الثريا عندما تصير في كبد السماء في الشتاء ، وإذا كبدت على قمة الرأس رأيتها في الماء وفي المرأة ، وفي كل شيء صفا ولا تظهر إلا في البرد الشاتي . ويسمى مطر هذا الفصل وسميا ، لأنه يسمم الأرض بالنبات . وهو عادة آخر الخريف ، ومنه قول زهير :
وغيث من الوسمي حو تلاعه وجادته من نوء السماك هو اطله
ويسمى أول المطر الوسمي عهادا
الولي : المطر الذي يجي بعد الوسمي ولا ينفع الوسمي إلا بالولي ، لأن أول الوسمي يقع وللحر سلطان فيجعل النبات وأن لم يأت الولي يجف ، قالوا ويمطر الوسمي تخصب الأرض وبه تنبت (الكماء)
الوسم : علامة فارقة أو مميزة كلن وما زال يضعها للعربي في البادية على ثروته الحيوانية تميزها عن غيرها من الحيوانات التي تمتلكها القبائل الأخرى ، ويبدأ الوسم بعد الصليب وهناك وسمان :-
الوسم البدري (المبكر) : وهي الفترة الواقعة لمدة 35 يوما بعد الصليب ويصادف تقريبا أول نوفمبر .
الوسم الخوري (المتأخر) : ويقع بعد الوسم البدري بأسبوعين ، أي لمنتصف شهر نوفمبر تقريبا ، لتغطي بذلك فترة الوسم وهي خمسون يوما تلك الأيام الواقعة بين مطرة الصليب وعيد لد (16ت2)
وفي المثل : إن دخل الصليب لا تأمن الصبيب .. أي أن حل الصليب فأني وقت بعد ذلك يحتمل هطل المطر فيه

ولتأمل ابتهاج الشاعر " أبو جريان " بهذا الوسم ، وكيف تتبع مراحلـه
ووصف آثاره على البداية :

سقوى* لقالوا سرى البرق ما بات	الوسم قرب وانتهت حسبة سهيل*
جانا* بشيره في الليالي السريعات	أقبل من المنشأ* كما داجي الليل
يسوقه الريح مداليه* جزلات	ينثر على دربه حشاير من السيل*
ومربه الخالق بديع السموات	يأخذ ثمان وخمس غيم وهمايل*
نوة تفهق* واقتفا النو نـاوات	وا درة مثل المضاب المهايل
غيم سماء وجم سحبه رويات	ضاف* من الطور* الخضر للمساهيل
ساعة بكف وينومر* تسع ساعات	لن ارجهنو فيه بدو وجماليل
يفرح به القرم ومن حط نوقات	تفرجت للي لمسهـم بما ذيل
يسقي الدحي والخبوت العذيات	الي هماليلة لفت تروي المحاصيل
عجيج نباته وثمرت كل الأنبات	ييري كبود من صداها معاليل
طار العلف ما عاد جاله بمحالات	وراع الغنم ما عاد يطـر المحاويل

* سقوى : طلب السقاية أو المطر ، حمية: حصاب .
 * سهيل : نجم يبشر ظهوره بالمطر . وهو من النجوم اليمانية ، ويظهر في العروض الشمالية لمدة قصيرة في إقبال
 الشتاء . ومن قول العـلمة في فلسطين " إذا طلع سهيل برد الليل وادخل الخيل " .
 * جانا : جاعنا ،
 * المنشأ : اسم مكان المنشأ، البداية ، من حيث ينشأ السحاب ،
 * مدالية : غيومه
 * حشاير السيل : واد يفيض من الماء ، ومر به : لمر به
 * همايل : مطر مريع كبير القطر
 * نوة تفهق : سحابة تلمع ،
 * ضاف : زائد
 * الطور : الجبل
 * ينومر : يستمر في الهطول ، أرجهنو : رجوه ، جمامل : جمع جمال ، وأراد بها الحيوان عامة ، القرم : الإنسان
 نوقات : نياق ، تفرج للي لمسهـم بما ذيل : أي فرح بهذا المطر كل من أصاب منه ولو قليلا الدحي : ما انبسط من
 الأرض ، الأرض السهلية الخبوت : ما ارتفع من الأرض .

انتظر الشاعر بفارغ الصبر حسبة سهيل ، وما أن ظهر النجم حتى بشر هذا الظهور بمطول المطر ، وهذا يذكرنا بظهور هلال رمضان أو العيد فما أن يظهر الهلال حتى يحل شهر رمضان أو العيد .. ويحل المطر ، مصحوباً بلمعان البرق ووميضه ، وتسوق الرياح قطع السحب السوداء كالليل ، وتهدى هذه السحب مطرها لثرى البادية العطشى .. ويشتد المطر غزارة ويستمر هطولسه حتى تتدفق سيوله من أعالي الجبال للهضاب والسيول . وتعجز الوديان عن تصريف الماء الجاري فيها . ويفرح البدوي ، حيث أحيا هذا المطر الأرض بعد موتها . وهنا يحمد البدوي الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة التي أنعم بها على عباده ، فهو الذي خلق هذا المطر ، ودبره ، وسيره ، ووزعه اقتضاء لحكمته على عكس ما كانت تعتقده العرب في الجاهلية ، من أن الكوكب هو الذي ينشئ السحاب ويأتي بالمطر ، وقد نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن ثلاث من أمور الجاهلية : الطعن في الأنساب ، والنياحة ، والأنواء⁽¹⁾ . إن هذه اللوحة التي رسمها الشاعر الشعبي ، تكاد تكون منقولة عن لوحة امرئ القيس في وصفه المطر في معلقته :

أصاح ترى برقاً أريك وميضة	كلمع اليدين في جي مكلل
يضيء سناه أومصايح راهب	أمال السليط بالذبال المفتل
قعدت له وصحبي بين حامر	وبين اكام بعدما متأمل
على قطن بالشيم أئمن صوبه	وأيسره على الستار فيذبل ⁽²⁾

(1) الدينوري ، ابن قتيبة ، الأنواء مصدر سابق ص 14

(2) لمرؤ القيس ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 24.

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة يكب على الأذقان دوح الكنهل⁽¹⁾
 فالغيث عند امرئ القيس، كما هو عند شاعرنا الشعبي "عظيم كريم قوي،
 ينصر الضعفاء، ويطش بالفاتكين، أضعف من شأن الجبال، وكر على الوحوش
 والسباع فأغرقها، فاذا بلغ الصحراء الفقيرة الواطئة أغناها، وجادها، وجعلها في طرب
 وسرور".⁽²⁾

ومهما حاول الشاعر العبي تزيين البيئة بآثار هذا المطر، ورسم صورة جميلة
 لهذه البيئة، والتغزل بها، إلا أن الأثر الاقتصادي للمطر وآثاره سرعان ما تطفو على
 السطح، وسرعان ما يفصح الشاعر عما يدور في أعماقه، من فرح بنمو العشب،
 وعدم الحاجة لشراء الأعلاف للحيوانات:

عجيج نباته وثمرت كل الأنبات ييري كبود من صداها معاليل
 طار العلف ما عاد جاله مجالات وراع الغنم ما عاد يطير المحاويل
 وفي جملة راع الغنم ما عاد يطير المحاويل، كناية عن الخير الكثير الذي تدفق على هذه
 البادية، فمن المعروف أن راعي الغنم لا يهتم باطعام الماشية التي لم يثبت حملها، ولا
 يتوقع نتاجها، قدر اهتمامه بالعشار من الماشية، خصوصاً إذا كان الراعي يشتري
 علف حيواناته من السوق ولكن عندما نبت العشب، ونما بفعل المطر، فلا حاجة لطرد
 المحاويل عن مذاودها "فالخير كثير".

وتكرر صورة تتبع المطر من منشئه، إلى أن تعلو آثاره رمال الصحراء،
 تكسوها عشباً أخضر يانعاً في قصيدة الشاعر بخيت الدقس:

يا الله يا منشي غزيرات المطار بأمرك تموج غيومها في سماها
 غيث على المنشا هماليه كبار تقدح بروقه والخيال اقتفأها
 ثقافت نصوبه على الرامان بهار طم الجبال النايقات وغشاها

(1) الوميض: لمع البرق، الحبي: السحاب المتراكم أو المتداني، المكمل: الذي تراكم بعضه على بعض شبه انتشار
 البرق وتشعبه بحركة الديدن، المناء: الضوء، السليط: الزيت، الذبال: جمع ذبالة وهي الفتيلة، حمر
 وأكام: موضعان، الفيقة: اللبن يجتمع في الضرع، الدوح: الشجر العظيم، الكنهل: شجر ضخ من العضاة.
 (2) د. نوفل، سيد، شعر الطبيعة في الأدب العربي، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، القاهرة ط. د. ت
 ص 48.

تسقي ديار تكرم الضيف والجار يشمل ضواحيها ويكسي عراها
 يخضر مراعيها رياحين وزهار وهل اليد ما تشتكي قل ماها
 وتموج بزهور لها طلع نوار يكسر شعاع الشمس في معتلاها
 ويسيل واديها ترديد ومرار تجري مغاييله مثل مبتداها
 ويعلها سيل ورا سيل تكرار يسقي صحاريها ويقطع ظماها
 تشبع رعاياها بساعة ومقدار من كل نوع عشب ري عطاها⁽¹⁾

إن هذا الوصف الدقيق لرحلة المطر من مبتدائها إلى منتهاها ، يدل دلالة واضحة على تعلق البدوي بهذا المطر ، وشغفه به .. ينتظره بشوق ولهفة ، ولم لا وهو أساس لاقتصاد البادية الرعوي ، به تدور عجلة الاقتصاد ، وبدونه تتوقف هذه العجلة ، ويلحق المحل والجذب ، وبالتالي الفقر سكان الصحراء ، والملاحظ في هذه القصيدة أن الشاعر قرن قطرات المطر ، بحب البهار لما له من منزلة عظيمة في حياة العربي ، فهو دلالة من دلالات الكرم ، تجلب رائحته النفاذه الضيف ، وتطحن حباته وتخلط بالقهوة، وهي إحدى أسس الضيافة العربية . ويذهب الشاعر إلى أبعد من ذلك حين يقول : أن هذا المطر يكسي عرى الصحراء ، ويرشح من هذا التعبير موقف أخلاقي إذ " الستر " والستر " في القول والفعل ، من شيم أبناء الصحراء ومن قيمهم التي يعتدون بها .

وننتقل لقراءة رسالة شفوية يحملها الشاعر " خالد الصانع " أحد المسافرين لصديقه " جازي " يشره فيها بمطول المطر " الثروي"⁽²⁾ ويصف فيها لمعان البروق وغزارة المطر الذي شبهه بقرب كبت ماءها ، وهذا ليس غريباً في البادية فللمطر في الصحراء شأن يختلف عن شأنه في سواها فهو ينحدر

(1) منشي: منشي، المطار: الأمطار، ثقافت: تواليت، طم: غمر، وهل: أهل الرامان: (راس رامان) أعلى جبل في النقب، قرب الحدود الفلسطينية- المصرية، ويبلغ ارتفاعه (1035م) عن سطح البحر، وهو بذلك ثالث أعلى قمم فلسطين، مغاييل: سيل ماء، تحت سطح الأرض مختلف فيها غير ظاهر.
 (2) للمطر الثروي: نسبة إلى الثريا، وهو أول أمطار الوسمي، تسمى سحبه "مرايع"، وهي سحب مبكرة بالمطر بقول الشاعر الشعبي:
 عند أكحل العينين وزين الشيا إلى وشامهن مثل عشب المرايع.

بغزارة أشبه بفوهة القرب كما يصوره الجاهليون وسرعان ما يتحول إلى سيل جارف⁽¹⁾
ويطمئن الشاعر صديقه ، ويخبره بأن العشب نما ، وأن الآبار امتلأت ماء بعد أن شكت
الجفاف ، ويكمل رسالته بأن هذا المطر حول السنة إلى عام خصب وخير ، يقول
الشاعر :-

برق براق ع راس قوز الخيللات خلته وقلت من الثريا وسيمه
كبت مطرها وريت العشب زومات وأسقت عدود العين عقب القطينة
يا راكب الي زروع في الخسفيات يبعد عن بلاد الحب وضغينه
وتقول لجازي فاطرك وسمها فات وأن قال لك تلفانه قل له سمينه
وسلم على جازي وعل جماعات ودي أودعك هرجي شينه وزينه
وللمطر في البادية قدسية خاصة ولا تخلو نظرة الشاعر الشعبي في تتبع المطر
ووصف هطوله من حالة دينية يتغنى بها في محراب الصحراء . فوظيفة المطر في الصحراء
وكما يراها الشاعر الشعبي لا تقف عند الحاجات المادية ، ولا تقتصر على استعمال
الآدمي والحيوان للماء فقط . بل تتعدى ذلك لتغسل القلوب وتجليها مما علق بها من
صدى وآثام وأضغان ؛ فالمطر هو الدواء الشافي لهذه القلوب العلييلة كما في قول
الشاعر:

عجيج نباته وثمرت كل الأنبات يبري كبود من صداها معاليل
وهذه النظرة تنفرع عن معتقد اسلامي ، يركز على القلوب وضرورة نقائها ،
لبناء المسلم الصالح في الدنيا والآخرة . وتتجلى هذه القدسية أيضاً في أن الكثير من
القصائد الطويلة تبدأ مشداتها بوصف قدرة الله على تكوين السحاب ، وإنزال المطر منه
وبعضها تبدأ بالتوسل إلى الله ليترل المطر :-
يا الله يا منشي مراهيش الأمزان يا عايد بالوبل لأرض محيلة
يا الله من مزنه هبت هبابها رعيدها صار له في البحر زلزال⁽²⁾

(1) حلوي ، إيليا ، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1970 ، ص 114
(2) مراهيش الأمزان : المزن المتحركة ، الوبل : المطر ، أرض محيلة : أرض جذباء

وتنهي خواتيمها بالصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم مثل :

وصلاة ربي على خير الرايا عدد ما هل وبل من غيوم
تمت وصلوا يا حضور على الحبيب عدد ما وبل تساقط من سحب
صلاة ربي عدد هملول الأمطار على محمد وعدد رمي الحجارة⁽¹⁾

ونتقل إلى قصيدة مطرية أخرى يشكو الشاعر "مخلد الزوايدة" لهيب الشمس
الصحراوية التي لوحت وجهه ، ويشكو الرمضاء تحت قدميه : -
يا الله لطفك عن سموم اللواهيب
رمضا كوتني تحت الأقدام كيا
بوجهي حروق الشمس مثل الشواهيب
مخطوف لوني والفرح ما تحيا⁽²⁾

إن هذا التأثير البيئي القاسي وضع الشاعر في موقف بائس ، ومهد لحالة الغربة
والضياع التي تصاحبه :

سنين عمري غاديات ذواهيب وأقفت حياتي بين روحة وجيا..
ويصعد الشاعر المراقيب ، وكأنه يريد أن يتوسل له ليخفف عنه ما به من
ضيق، وعل " الله يفرجها عليه " ويتنظر :
من ضيقتي نطيت روس المراقيب
وأشرفت بالمشراف وأصفق يديا
كأني به توبة بن الحمير في طريقه إلى ديار ليلي الأخيلية حيث يقول :-

(1) الظفيري ، أحمد ، الماء والمطر في البادية ، مرجع سابق ، ص 24
(2) سموم اللواهيب: الرياح الصحراوية الحارة، رمضا: صحراء، شواهيب: علامات، ذواهيب: ذاهبة، ماضية سدى،
أقفت: أصبحت، جيا: إقبال مجي ، نطيت: صعدت ، يفر: يهب ، اللواهيب : السحب الممطرة ، اتفيا : اتفيا ، استظل ،
المراقيب : جمع مراقب ، وهو كل مكان عال ومشرف مشفق مما يفعل فيه من المراقبة لارتفاعه.

وأشرف بالقول اليفاع لعلني أرى نار ليلي أو يراني بصيرها⁽¹⁾
وسرعان ما ينقذ حالة الشاعر البائسة مطر وسمي . تعانق قطراته الحصى المشوي
وتبردها، ويتفياً الشاعر ظلال الغيوم ، ويهب النسيم ، وتنتشر رائحة البحتري الخزامي
فيقول : -

قمت استخيل البرق يهوز السواهيـب	تلطم غمام الجو تلوح الرويا
هلت سحابة فوق هام السحابـيـب	في ظلها عن الحر صرت اتفيـا
قامت ترش المزن غر مجاذيبـ	وسمي مطرها فيض رش الثريا
هب النسيم وزعزع الريح بالطيبـ	فز البحتري والخزاما سويـا
الطيب فاح ورطب القلب ترطيبـ	وبل الرمح بالكيد وأرواه ريا

واستخيل البروق وشيم المزن عادة جرت عليها العرب في الجاهلية والإسلام ،
غير انما في أدب الجاهلية أظهر ، ذلك لما كان للمطر من دور في صياغة حياتهم وتعلقهم
بالمطر ، يعني تعلقهم بكل ما له ارتباط به من سحب وبرق ورعد وريح ونحوها ، يقول
امرؤ القيس في وصف المطر : -

نشيم بروق المزن أن مصابه ولا شيء يشتفي منك يا ابنة عفزرا⁽²⁾
أي أنه يشتفي بمراقبة البرق والمطر ولكن حبه لابنة عفزر لا يشتفي منه بشيء . يقول
أيضاً على قطن بالشيم أكن صوبه أيسره على الستار ويذبل⁽³⁾
وقال الأعشى :

الجاء قطر وشفان لمرتكم من الأمل عليه البغر أكتاباً⁽⁴⁾
وفي هذا الجو الرائع ، يحل الشاعر ابن مكنوم الإماراتي ، ضيفاً على المنطقة ،
وكان الضيف مطر من نوع آخر على نحو ما يترجم قولهم عند الترحيب بالضيف زارنا
الحيا ، فهو كريم كرم المطر ، فارس فروسيته ، شاعر ينظم قطرات الحروف .. ويتزامن
مقدم الضيف "منقع الطيب" مع "فر" البحتري والخزامي :

(1) الإصفيهاني، الأغاني، ج 11، ص 208.
(2) امرؤ القيس، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، 1985، ص 96.
(3) امرؤ القيس، ديوانه، مصدر سابق، ص 60.
(4) الأعشى، ديوانه، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، تحقيق فوزي عطوي، 1968، ص 30.

أهلا هلا بك يا كبير المواهب من شيمة المضيوف بالضيف حيا
يا مرحبه بك يا بن مكتوم ترحيب ترحيبة عالصدر تبسط يديا
حيّاك ثم حيّاك يا منقع الطيب تحية بالشعر لجلك تهيا
فارس رقا للمجد و رام المصاعيب وشاعر ينظم القاف و حرفه نديا
من راس نبع فيه عذب المشاريب صافي مثل هزاج زلاله شهيا⁽⁴⁾

إن المطر في هذه القصيدة ، واحتفاء الشاعر به على هذا النحو ، خلق
جوا رائعا مفرحا ، تناسب و لقاء سمو الأمير ابن مكتوم* . وملازمة قدوم

⁽⁴⁾ الصفاء والعذوبة من صفات الماء عند البدو وهناك صفات أخرى منها :-

- الماء القراح : العذب . كقول الشاعر :

عدوهم من كاس المر يشرب وصديقهم يشرب قراح عذوبي
ويقول عمرو بن كلثوم : ونشرب ان وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا عكرا وطينا
عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، ص ٧٠ .

- الماء الملاح : المالح ، كقول الشاعر :

شربي قراح واهنتيت من عقب شربي للملاح
- الهماج : ماء وسط بين القراح والملاح
- الماء المطروق : وهو المتروك الذي تبعر فيه وتبول الإبل والغنم
- الكدر : الوسخ ، القدر
- والعفن : المتعفن

انظر احمد محارب الظفيري ، الماء والمطر في البادية ، مصدر سابق ، ص ٦ .
ملاحظة : وكثيرا ما ربط الشاعر البدوي للضيف بالمطر ، خصوصا في اوقات البرد الشديد ، حيث يعلو قيمة

الكرم .
انظر في ذلك :- د. انور ابو سويلم ، المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمان ، عمان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ص ١٨٤ .
• يحضرنني في هذا المقام ، قصة حدثنيها محمود ضراغمة (ابو علي) من طوباس - جنين
" قدم الملك عبد الله بن الحسين بعد ضم الضفة الغربية للأردن ضيفا إلى طوباس وتزامن
مقدمه وهطول " المطر الوسمي " ، فرحب به الأهالي ، واحتفلوا بضييفهم ، وألقيت
الكلمات الترحيبية بجلالته ، ومن هذه الكلمات ما قاله ادهم في حضرة جلالتة : اليوم
حل علينا سعدان . وما إن نطق الرجل بلفظة سعدان ، حتى اضطرب الجمع ، وسيطر
عليهم الخوف ، وتدارك الخطيب :-

السعد الأول : هطول المطر

والسعد الثاني : قدوم جلاتكم ضيفا إلى طوباس .

عندها تبسم الملك - الذي كان مولعا بالنكات الشعبية - واطمان الحضور واستراحوا .

الأمير لهطول المطر بني أساساً متينا ، وأرضية صلبة اتكأ عليها الشاعر ليمدح الأمير ،
ويوجد مبررات كثيرة لهذا المدح .

ولا شك في أن هطول المطر غير أجواء الشاعر من حال السلب إلى الإيجاب ،
ومن جو اليأس الذي كان يخيم عليه ، إلى حالة من البشر والسعادة والتفاؤل ومصادفة
هطول الوسمي ومقدم الضيف ، دليل على المطاوعة والمواتاة⁽¹⁾ ، فما تمناه الشاعر ناله ،
وما انتظره على مرقبة أناه . وتنسجم دلالة المطاوعة والمواتاة ، والخير الكثير الذي يجلبه
المطر في الصحراء ، والاستبشار والتفاؤل لدى البدوي بهطول المطر ، ظاهرة من ظواهر
شعر المطر الشعبي ، إذ نلاحظ في ثنايا هذا القصيد ، وصف خد المرأة بالبرق ، وهو
عنصر هام من عناصر تكوين المطر ، وترى السحاب يستجيب للمعان خد الفتاة
- البرق - ويتساقط مطراً تبعاً لهذا اللعان

والردف يطوي الثوب والعود ريان والخد بارق مزنه مستحيه
والخد براقه في راس مزيبي يوضي سنا برقها من هلنا لتهامي
الخد بارق مستهل السحاب وكلامه أحلى من حليب المتالي⁽²⁾
وفي المقابل يكني الشاعر الشعبي عن عدم المواتاة ، بتفرق السحب دون أن تمطر ، كما
يعبر عن ذلك الشاعر العمامرة : -

يا مخاوي الليل سحي زوعت ومات في دنيا الأمل طيف سعيد
وما أكثر ما شبه الشاعر البدوي خد فتاته بالبرق ، فهو لا يحفل بشكل الخد ،
أو نعومته ، أو لونه قدر ما يحفل بلمعانه ، ولا أظن أن هذا الوصف يقصد به لذاته ،
قدر ما يصور مدى محبة البدوي للبرق قرين المطر ، ومسببه ، وتشوقه عند رؤية لمعانه :

والخد برق لا سرى تالي الليل ولا كما البدر ظهر بالتمامي

(1) انظر ، يحيى جبر ، البرق في التراث الأدبي العربي ، مرجع سابق ، ص 54
(2) يوضي : يضيء ، هلنا : أهلنا ، لتهامي إلى تهامة بلرض اليمن ، للمتالي : النوق التي يتلوها ولدها (جمع مثلاة -
متالي) سحي زوعت : أي تفرقت دون أن تمطر ، والتعبير كناية عن عدم المواتاة

والخودود يوصفهن برق الوعود لالعب بتالي الليل السحاب
 خذه برق وناعمات أياديه وله مبسم يسحر وقلب طفولي⁽¹⁾
 وقد يترك الشاعر البرق (الوسيلة) ، ويربط الخد بشكل مباشر بالغاية (المطر)
 كما في قوله : -

أسود العينين مجلي الجماني والخودود يروغن بمزن ثقيلة
 ويقرن الشاعر ثايا الحبيب وأسنانه ، بالبرد ، وهو شكل من أشكال المطر ، ويشند الجو
 برودة:-

قرنها ريش المداحي له يشابه والثنايا كالبرد تبتشـوفينه
 يابو ثايا برد هل حبك على الموت وداني
 ويربط الشاعر الشعبي المطر بحبه لفتاته وعشقه لها ، فالشاعر يحاول وباستمرار ، أن
 يصل بحبه لفتاته ، لدرجة الحب المطلق ، فلا يجد حباً يضاهي هذه الدرجة إلا ولعه
 بالمطر ، وولفه به .. فهذا هو يرحب بجواب الحبيب عدد ما نزل القطر :

حي مهو مرسل يمي جوابه هـلا بالكوب والي كاتينـه
 عدد ما هل المطر من سحابه عدد ما يشتاقي مضمون لضنيه
 ويفرح بلقاء الحبيب " عدد نو المخايل " ، " عدد موج البحر " ، وعدد ما درج ماء
 سيل بعد عطش شديد : -

فرحت بيلك عدد نو المخايل وعداد ما ماج البحر بلتطامي
 وعداد ما وادي درج ماه ويسيل عقب العطاش أرواه جم الغمامي⁽²⁾
 ويسلم عليه ويرحب به " عداد ما مزن تماطل مطرها " : -

سلام يا مخلد من القلب للقلب عداد ما مزن تماطل مطرها
 ويطلب من الله تعالى ، متوسلاً وراجياً سقياً المكان ، لأن أهل الحبيبة يسكنون به

(1) لا سرى : لو سرى ، لالعب : لمع ، يروغن : يظهرن ، يمي : اتجاهي والمقصود لي ، قرنها : شعرها ، ريش
 المداحي : ريش الطير ، تبتشوفونه : إذا رأيته ، وداني : أرمئني .
 (2) بيلك : بك ، عداد : عدد ، نو المخايل : برق السحب والمخايل هي المخايل جمع مخيلة وهي السحابة التي يخال
 الناظر أنها ستطر ، بلتطامي : بالتطامي ، درج : ملأ ، عقب : بعد ، تالي : آتي

بالله أني طالبك من رايح تالي مزن على ساحل العارض يخيّلونه⁽¹⁾
يسقي لنا عقلة البدو مدهالي مربّي غزال يحط المسك بقرونه⁽²⁾
والتوسل إلى الله في سقيا موطن الحبيب ، يتردد في كثير من شعر السلف كما
يقول الشاعر طرفة بن العبد :-
سقى سلمى وأين ديار سلمى إذا حلت مجاورة السرير⁽³⁾
ويقول عمر بن أبي ربيعة :-
سقيا الدراهم التي كانوا بها إذا لا يزال رسومهم بلقائي⁽⁴⁾
وليس من المتوقع أن نجد في هذا الشعر حفاوة بالصيف ، أو فرحة بمقدمة ،
وإشادة بذكره وبآثاره ، لأنه صيف شديد الحرارة مسؤوم ، وإذا وصفه الشاعر الشعبي
فلكي يفتخر بأنه احتمل لظاه ، وهو بذلك صلب شديد البأس والقوة . وبهذا النهج فإن
الشاعر الشعبي يحاكي أسلافه من الجاهليين يقول سويد بن أبي كاهل الشكري : أنه
جاء الصحراء الواسعة وقت الظهيرة ، وكان السراب يتخايل له لامعاً خادعاً ، وكان
الحر شديداً يكاد ينضج اللحم :-
كم قطعنا دون سلمى مهمها نازح الغور إذا الآل لمع
في حرور ينضج اللحم بها يأخذ السائر فيها كالصقع⁽⁵⁾
ويركب علقمة بن عبدة ناقته ، في يوم شديد الوهج ، لكنه يحتمل النار الحامية
وكان يحس أنها تحرق ثيابه وعمامته وتكوي جسده كيا :
وقد علوت فتود الرحل يسفعي يوم تحيء به الجوزاء مسموم

(1) انظر الظفيري : الماء والمطر في البداية ، مرجع سابق ، ص 25

(2) ساحل العارض : منطقة بنجد ، عقلة البدو : مجموعة آبار ، مدهالي : مسكن

(3) طرفة بن العبد ، ديوانه ، ص 31

(4) عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، ص 420 .

(5) سويد ابن أبي كاهل ، المفضليات ، الجزء الأول ، تحقيق وشرح أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، مطبعة المعارف ، ومكتبتها بمصر ، 1361هـ ، ص 191 .

حام كأن أوار النار شاملة دون الثياب وراس المرء معوم⁽¹⁾
ويرد على هذه الأصوات متناغماً معها ، الشاعر الشعبي "مخلد الزوايدة" في
قصيدة أنا البدوي : -

عشق البوادي في ضميري طبعي ربع لهم بالود قلبي مكيني
أعشق ظلام الليل ما بيه شموعي في خافقي صمت الصحاري دفيني
أطوي سموم القيظ ولا باع بوعي وشمس الحمادة لوحة في جبيني
أعسف سراب لاح وأسبق رجوعي وأمشي على الرمضا ما تكتويني
يعشق الزوايدة البادية ويحبها ، ويجب ليلها المظلم ، ولا يرهب هذا الليل ولا
يحفل أثناء سيره بسموم القيظ ، وهي الرياح الصحراوية الحارة ، ويعتز ويفتخر بأن
الشمس لوحته وجهه ، بل رسمت صورتها على هذا الوجهة . وفي سيره يتحمل حرارة
رمال الصحراء ، ولا يخدعه سراها .

إن بيئة هذه السمات ، وهذه التأثيرات القاسية ، لكفيلة بأن تكيف إنسانها
على شكل صلب قاس جاد ليتمكن من العيش بها . وبالتالي فإن هذه الصورة (المثال)
والتي كان للبادية دور في تشكيلها ، مصدر غني من مصادر اعتزاز البدوي بنفسه
وفخره بها .

ونتيجة لمعرفة الشاعر البدوي بكل عناصر الصحراء ، وبكل شعاعها فإنه لا
يكفي بعدم انخداعه بالسراب ، بل يلحق به ، ويطارده في الجو القاطظ ، غير عابئ
بالحرارة :

أطرد سراب اللال في حامي الصيف وأركب سحاب الليل في هجعة الليل⁽²⁾
ومهما بلغت حرارة الصيف واشتدت ، ومهما رافق هذه الحرارة من مشاكل
أخرى فإن الشاعر قادر على حلها بسيفه ، وقلمه ، بشعره وفكره وقوته :
أنا لها بالشعر في حروت الصيف بين القلم والسيف والطرس والخيل
وهذا البيت يذكرنا بفارس البيداء ، فارس السيف والقلم "المتني" بقوله :
الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم⁽³⁾

(1) معلقة علقمة بن عبدة ، المفضليات ، الجزء الثاني ، ص 203

(2) أناها : أنا لها ، حروت الصيف : أقاله ، الطرس : الترس

(3) المتني ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 332

ويخلط الشاعر الشعبي كرمه ، وعزة نفسه ، وقوته في بوتقة واحدة وهذه البوتقة " مسيلة " أو " الواد ينحدر من جبل " ويجري مأؤه صوب البطحاء في صيف حار : -

أنا المسيلة بعاصيات معاقيد في حر صيف تهر الدر لالي
إن هذه المسيلة والتي يجري مأؤها من الجبل ، في الصيف الحار وكأنه الدر ، هي المسيلة نفسها التي تجري فيها أخلاق العربي وقيمه . لقد أسس الشاعر الشعبي مثله وقيمه على (الجبال العاصية) ، التي يصعب تسلقها ، لكي يفهم المتلقي ، نبل هذه القيم ، وسمو هذه المثل ، والتي تركزت في الأنا البدوية.

وربما تمرت الطبيعة على إنسانها ، وقست عليه ، وبدا البدوي غير متحمل لتبعات هذه القساوة ، حينها تراه يبكي ويشكو ويتبرم ، وكأنه مهزوم مستسلم ، ولعل من أوضح الحالات القاسية التي يواجهها البدوي حالة الجفاف ، وحرمان الأرض من الماء ، وعطشها ، مما يحمل البدوي أعباء اقتصادية باهظة ، تتمثل في تكاليف شراء علف حيوانه ، من جانب ، وقلة إنتاج هذا الحيوان ومرضه من جانب آخر ، ونقرأ للشاعر " فرحان الحويطي " وهو يعبر عن حالة جفاف عانت منها البادية : -

العطش الي سقا نبض الحروف	والسراب الي شرب غدرانها
والجفاف الي زرع بالقلب خوف	يوم داري انكرت جذرانها
أنكرتني وأنكرت ذبك الكفوف	الكفوف الي بنت عمرانها ⁽¹⁾

نستخلص من هذه الأبيات ، مشاعر نفسية سلبية تثقل عاتق البدوي ، وتؤثر فيه نتيجة للجفاف ، ناهيك عما ينجم عن ذلك من خسارته الاقتصادية . ومن هنا نعرف لماذا بدأ الخوف يتسلل إلى القلوب . ولماذا أصبح الخل ينكر خله .. أنه الجذب والقحط والمحل والسنون التي تحيل الصحراء إلى خراب مادي ومعنوي .. تحيلها إلى أطلال دارسة : -

أنا ماضي بلا حاضر أنا ذكرى غدت أطلال
مثل صحرا تراها جف عشر سنين عطش ومحول

(1) الي : الذي ، سقا : مقي

مثل وردة بلا عطور سموم القيظ لها خلخال

تخيل البرق والمهتان قتلها ظامي العطبول

إن سموم القيظ ، التي كانت عاملاً من عوامل قوة (الانا) البدوية وصلابتها ، على نحو ما يرشحه تحمل البدوي لسموم القيظ وافتخاره بقوة تحمله ، كما يقول الشنفرى في قطع الصحراء ساعة الظهيرة ، مفتخراً بصلابته معتزاً بقوة شكيمته وتحمله: ويوم من الشعرى يذوب لوابه أفاعيه من رمضائه تتململ⁽¹⁾

إن هذه السموم هي نفسها أداة تدمير هذه "الأنثى" والقضاء على نتاجها المادي والمعنوي ، وربما كانت رياح الهبوب وهي رياح الخماسين التي تهب على النقب في شهر نيسان ، وتعجل جفاف الكلاً خصوصاً -إذا كانت كمية الأمطار الهاطلة قليلة- ربما كانت هذه الرياح تدميرية أيضاً

كن الحشا من حر ما بي مكهرب

أو به هشيم وصفقته الهبوبي

تشكي عجيز لون غصنها من الخبث مشرب

منحني ويابس نشفته الهبوبي

ففي البيت الأول ، حملت رياح الهبوب الهشيم (كلاً الحيوان اليابس) ، ونثرته في كل جانب . وفي البيت الثاني ، شبه العجوز الخبيثة ، الماكرة بغصن منحن ونشفته الهبوب فأضحى يابساً ميتاً . وإذا كانت هذه الرياح نذير شؤم وبؤس ، فإن بدوي النقب بطرب للهواء الغربي ، وخصوصاً إذا كان شمالياً غربياً ، إذ يحمل هذا الهواء شيئاً من الرطوبة البحرية ، وهذا ما يفهم من قوله :

والحشا ملهوف من هولة مثاني مثل عود اللوز والغربي يميله

إن اقتران هذا الوصف الغزلي بالرياح الغربية ، يرشحها لمعاني الفرح والبهجة لدى البدو . وهذه الرياح هي التي يعبر عنا بالنسيم : -

يا نسيم الليل مهل عالحيب يزعجه صدمات نسكك علخودود

(1) الشنفرى ، لامية العرب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ط 1974 ، ص 44

وتظل الصحراء بخصبها أو جدبها ، بسمومها أو هبوبها أو نسيمها مصدر عشق
لساكنها ، لأنها تمثل امتداداً فسيحاً يتسع لحرته المطلقة في السروح والرواح والتنقل ،
وقد عبر كثير من الشعراء عن عشقهم لباديتهم كما يقول الزوايدة : -
البادية في خافقي حبها دوم أوصف بها بيوت الشعر والبعارين
وله أيضاً : -

حب البوادي في ضميري له وسوم عشق تدفق في عروق الشرايين⁽¹⁾
إن علاقة الحب بين البدوي وبيئته ، أهله لأن يشخصها ، ويتمثلها في صورة خل وفي
.. يحاوره ، ويثبه همومه ومشاكله ويسأله عن الحبيبة : -

أسألك يا فلاة عن صاحب الذوق الي يشوفك كل يوم من التل
ولأن البادية ممتدة واسعة لا متناهية ، فباستطاعتها توصيل شوق الحب ، ولوعته للحبيب
حيث يظل الحبيب ، ومهما بعد عن حبيبه ، متصلاً بـ " الفجاج الوساع " وينتهي إليه
شوق الحبيب من خلالها :

أرجيك يا فلاة توصلي الشوق تحية ممزوجة بعنبر وفل
وشبيه بذلك قول طرفة بن العبد البكري في طيف محبوبته :

جازت البيد إلى ارحلنا آخر الليل بيعفور حذر⁽²⁾
وبالمقابل نجد الصحراء مصدراً للضياع ، والته ، والضلال ، ولتأمل كيف
صور الشاعر العطون ضياعه ، وذلك بتوظيف لفظي " الدروب " و " الطريق " حيث
يرشح من الأولى معاني الضياع في الصحاري الواسعة ، وتشبي الثانية بالضد :
كان ودي والأمان يلقن فينا الدروب ليه تبعد عن دروبي وطريقي تقاطعه
إن الدروب الصحراوية ليست على صورة واحدة ، فمنها الوعر الذي يصعب سلوكه ،
ومنها الدرب السهل :

(1) خاقي : وجداني ، البعارين : الإبل ، وسوم : علامة واضحة (وسم) ، ليه : لماذا ؟
(2) طرفة بن العبد ، ديوانه ، مترجمه وقدم له مهدي ناصر الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1987 ،
ص 39 .

يا مهربي ما هز الرسن غيري وأن سلموك الوعر درب السهل ديدني⁽¹⁾
 ينصح الشاعر فتاته والتي كنى عنها بالفرس الفتية ، أن لا تطأ الدروب الوعرة ،
 بل تتجه للدرب السهل ، وهذا الدرب هو الذي يقودها إليه ، ويجعل " رسنها " في
 قبضته أبداً .

وإن كانت هذه الدروب غير محددة ، فإن هناك دروباً أوضح وأكثر تحديداً
 وذلك بأن تسمى الأمكنة التي تحتازها ، إلا أن مسافاتها تبقى تقديرية تخمينية لا يعرفها
 إلا سالكها كما جاء في قول الشاعر : -

اركب ازريقان من غير مطرود ركة صميدع متنقل العلم واني
 أربع مراحل مدهن بكل مجهود ودهن صميدع جيد الحذر واني
 أول مقامه من منازل الجود والثانية من حرد وادي الجرافي
 والثالثة بالنقيب من شرق الحدود والرابعة يصبح على الحي لاني⁽²⁾
 غموض هذا الدرب يتمثل في : نقطة البداية ، وطول المرحلة ، وأول مقام من
 منازل الجود ، والمقامة الرابعة وهي مكان نزول الحي .

وفيه من المعالم : وادي الجرفي ، وهو واد بالقرب من العقبة ، والنقيب " وهو
 النقب " نستنتج مما تقدم أن هذا الدرب معلوم مجهول في أن واحد ، فهو مجهول للمتلقي
 أو السامع ، معروف لمن سلكه ، أو سكن في منطقته .

أما النوع الثالث من دروب الصحراء التي عبر عنها شعر النقب وصورها ،
 فهي طرق محددة تماماً ، معروفة المعالم ، وربما كانت طرق التجارة ، وسبل تنقل
 المسافرين والرحالة ، وندلل على هذا النوع من الدروب بمسيرة بعير من العريش إلى
 بئر السبع ، ونحاول تتبع سيره وتنقله من مكان إلى آخر : -

" صنو⁽³⁾ آخر فكم بالهرش في أول مشواره
 شرق العريش مرق بشوش قبل تمر السيارة

(1) ديدني : ميري الهويثا ، ازريقان : بعير ، صميدع : ماهر .

(2) المبيض ، سليم عرفلت ، الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة 1993 ، ص 157 .

(3) صنوا : استمعوا حتى أحدثكم ، الهرش : البعير ، مرق بشوش : مر بهدوء ، التوما : منطقة تقع بين رفح والعريش ، الخان : خان يونس ، أرض زومة : أرض طينية موحلة ، خشم الرنة : منطقة تقع بين خان يونس وبئر السبع ، وفي الوقت الحاضر تعتبر خشم الرنة قرية من قرى النقب ، والتي تعاني من عدم اعتراف العدو بوجودها .

شرق التوما أرض زومة رعد والمزن مطاره
 شرق رفح عي طفح خلا الطريق ع يساره
 شرق الخان مرق زي الجان والكل مفقس بداره
 وصل خشم الزنه قبل ما يطلع فـساره⁽¹⁾

إن هذه الأمكنة غنية عن التعريف ، وهي معالم جغرافية معلومة تماماً ، تقع بين
 بئر السبع والعريش داخل الحدود المصرية .

ولم يترك البدوي صحراءه على عماها ، يتوه فيها ، ويضل ، ولا دليل له . بل
 أنارها وأضاءها بالدواليل ، التي اعتمد عليها في تحديد الاتجاه ، وحساب الوقت فقادتهم
 هذه الدواليل "إلى موضع حاجاتهم وهدتهم لمعرفة طرقهم ، وتحديد وقت نتاجهم ،
 ووقت غور مياه الأرض ، ووقت ينع الثمر"⁽²⁾ . ومن هنا وجدنا تطلع البداة نحو
 السماء ، وتعلق أبصارهم بمطالع النجوم ، ففي ذلك معرفة مواعيد مناشطهم الحياتية .
 ولعل أوضح مثال على هذه النجوم سهيل ، والذي ارتبط ظهوره بمطول المطر . كما
 يقول الشاعر :

سقوى لقالوا سرى البرق ما بات الوسم قرب وانتهت حسبة سهيل
 انتظر البداة ظهور النجم سهيل بفارغ الصبر ، حتى إذا لاح لهم اطمأنوا لقرب سقوط
 المطر ، وسكنت فرائصهم لذلك . سهيل كوكب أحمر يمان ، قال ابن أبي ربيعة في
 الثريا التي كان شبيب بها ، وكان تزوج بها سهيل بن عبد الرحمن بن عوف :

(1) المبييض ، سليم عرفات ، الإبل في التراث الشعبي ، مرجع سابق ، ص 152
 (2) د. القيسي ، نوري ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، ط 1 1970 ،
 ص 64 .

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان⁽¹⁾
"وقد قيل في المثل الشعبي أن طلع سهيل لا تأمن من السيل ، أي إذا تمت رؤية
نجم سهيل ، فإن الجو سيتغير ، وسيتم هطول الأمطار الغزيرة ، فظهور النجم
دليل على قدوم المطر ، ويرى أهل البادية هذا النجم في أيلول ، في أواخر
الليل"⁽²⁾ . ونتيجة لظهور النجم وهطول المطر ، ولما للمطر من أهمية في حياة
الصحراء ، أحب البداة سهيلاً ، ونظروا صوب السماء يستطلعونه ، ويجلسون
سموه وشموخه ، حتى أصبح شموخ سهيل في وجدانهم مثلاً يحاكي : -
شامخ شموخ سهيل ما أعلن ركوعي إلا لوجه الحق ربي وديني
ويبالغون في ترحيبهم بالحبيب ، ويمجدون سهيلاً والقمر ميزانين يكيلون بهما مقدار هذا
الترحيب ، فهم يرجون عدد ما ينور سهيل ، وعدد ما ينور القمر ، وهذه إشارة
أخرى لمبلغ تقديرهم لهذين الجرمين السماويين : -
وهلا هلا بك عدد ما ينور سهيل وعداد ما القمر ينور لعتامي
ويخاف البدوي السير في الصحراء بلا دواليل³ أو علامات يهتدي بها . لأن
ذلك يعني ضياعه ، خصوصاً إذا كان هذا السير ليلاً . ومن هنا فإن البدوي ينشد
النجوم ، ويجد في طلبها ، عليها تكون هادياً له .
يا ذيب ضيعني سراب بصحاريك مالي دليل إلا مخاييل ونجوم
ويذكر الشاعر مسافراً تاه فكره ، وضل العلامات ، وبالتالي ضل طريق سيره :
وأنصحك ياللي تاه بالمخاييل اليا تاه فكرك تاه مسرى النجبية⁽³⁾

(1) عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، ص 438 .
(2) د . موسى ، علي حسن ، الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية ، دار الفكر ، دمشق سوريا ، ط 1 1997 ، ص 63
"دواليل : جمع دالول ، ما يهتدى به في الصحراء كالجبل والنجم وغيرهما .
(3) اللي : الذي ، تايه : ضال ، اليا : إذا ، مسرى النجبية : الطريق الذي تسلكه الناقة .

ويوقت البدوي أعماله ، ويضبط أزماتها ومواعيدها تبعاً لبزوغ نجم أو غيابه :
 ذيب وش سويت يا ذيب لما الثريسا راوست للغياب^{*}
 ويشير هذا البيت ، لقصة طريد من قبيلته ، وزوجه ما زالت فيها .. حيث ينتظر هذا
 الطريد غياب النجم ونوم القبيلة ، ويدخل على زوجه ويقضي منها وطره . وجاء في
 الأنواء " وكانوا يتعاقبون إذا سروا بطلوع النجوم وغروها فكلما غرب نجم ركب واحد
 ونزل آخر لذلك قال قائلهم : - وندلج الليل على قياس : أي نجعل مقادير ركوبنا
 ومسيرنا بسقوط النجوم " .⁽¹⁾

ولم يقصر البدوي دالوله على الفضاء ، ليرصد ظهور نجم وأفوله فقط . بل ثبت
 "دالوله" على الأرض أيضاً ، فوظف الجبال دليلاً له وهادياً . مستغلاً ميزة الثبات التي
 تتمتع بها الجبال . يضاف إلى ذلك أن الجبل أهم الشاعر الشعبي معاني القوة والعزة
 والشموخ . وهو في هذا لا يختلف عن الشاعر الجاهلي الذي تحدث عن الجبال في أثناء
 حديثه عن قطع المفاز وقدرته على اختراقها ، وعبرها بناقة تقرب البعيد وتصل ، ما تباعد من
 الجبال ، قال
 امرؤ القيس : -

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري اني امرؤ صرعي عليك حرام
 فجريت خير جزاء ناقة واجد ورجعت سالمة القرا بسلام
 وكأنا بدر وصيل كيفية وكأنا من عاقل أرمام⁽²⁾
 لقد قطع الشاعر بناقته الصحارى حتى وصل كيفية وهي في بلاد باهلة ،
 وعدى بناقته ليصل عاقلاً ، وهو جبل قريب من كيفية ، وبعد وصوله عاقلاً ، يتابع
 سيره ليصل عرمان ، وهو جبل متباعد عنها . إن المعنى الذي نستخلصه من هذه الرحلة
 سواء أكانت حقيقية واقعية أم وهمية وخيالية هو سمات القوة والصلابة ورباطة الجأش
 التي كان يتمتع بها امرؤ القيس . والشاعر الشعبي ليس أقل قوة وجلداً
 من الجاهلي ، إنه يصعد الجبل اليابس الأجرد ، وهذا

* وش سويت : ماذا فعلت ؟ ، راوست للغياب : مالت للغياب .
 (1) ابن قتيبة ، الأنواء في مواسم العرب ، مصدر سابق ، ص 186
 (2) امرؤ القيس ، ديوانه ، مرجع سابق ، ص 136

التعبير يتوازى ويتلاءم وحال القوة التي عليها الشاعر ، وينظر حول الجبل باحثاً عن
مرعى لأغنامه : -

قمت طلعت الجبل اليابس ما يطاه الخضار

حطيت نعلي في رجلي ماشي لرعي دوار⁽¹⁾

ويرى من على قمة الجبل ، منطقة خضراء فيتحه إليها ، ويحط وقومه ضيوفاً
على النشامي أصحاب هذه المنطقة :

نزلت على جبل غدير ولاء مطلق بالأشجار

جينا شلنا عربنا وحطينا ع النشامي زوار

وفي هذا المعنى نجد تناسخ قول الشنفرى ، في فخره بنفسه ، وقوته ، حيث
اعتلى مرقبة منيعة عالية يعجز دوها الصياد الماهر :

ومرقبة عطاء يقصر دوها أخو الضروة الرجل الخفيف المشفف

نمت إلى أعلى ذراها وقد دنا من الليل ملتف الحديقة أسدف⁽²⁾

يتناسخ هذا القول في الشعر الشعبي : -

أنا عدت روس مشر مخات الشواهيق الله من قلب تشقى بشيق

فالشاعر في الحالين ، يفتخر بنفسه ، ويعتز بها ، حيث استطاع أن يصل إلى

قمة الجبل الشاهق ، وصير على الشقاء والتعب في صعوده .

ويذهب الشاعر الشعبي في معاني القوة ، التي يستمدّها من الجبال حداً أبعد

من هذا ، حين يقرن قوة شعره بالخرزعلي⁽³⁾ ويذكر أن هذا الجبل هو نجم الدواليل

للبدوي في سيره ، وللشاعر في شعره : -

أنا رضعت الشعر في شمع النيف من الخرزعلي في رم نجم الدواليل⁽⁴⁾

(1) يطاه : يطؤه ، نعلي : حذائي ، شلنا : حملنا ، حطينا : نزلنا ، النشامي : أصحاب الكرم والواجب مشر مخات الشواهيق : نوات القمم العالية .

(2) يوسف خليف ، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، ص 186

(3) الخزعلي : جبل مشهور في منطقة وادي رم ، والتي دارت حوله قصة ، فلم لورنس العرب 1961 ، لمخرجه ديفيد لين ، هذا ما سمعه الباحث من أهل المنطقة .

(4) رضعت الشعر : استمددت منه الشعر .

ويتحدث الشاعر الشعبي عن الجبل ، في ثأيا حديثه عن المطر والسيول ، فعادة ما يرسم الشاعر صورة جبل شاهق ، يستقبل ماء السماء الغزير ، فتجري السيول من أعاليه لسفوحه ، وتكمل مسيرها عبر السهول والبطاح ، وتحمل هذه " دفاع السيول " فيما تحمل ، الوحوش والحيوانات البرية ، وتقتلع في طريقها الأشجار كما يقول الشاعر :

برق برق يا بو لعكيش وبعد ثلث تيام جانا وعيده
قلع قعور الطلح من مستكنه وفرق بين اثنين الولايف⁽¹⁾
ولم يكن الربط بين الجبل والمطر ، بدعة نسجها الشاعر الشعبي ، بل هو نهج سار فيه على منوال سلفه الجاهلي إذ كان الشاعر الجاهلي يذكر الجبال في أحاديثه عن السيول لان قوة هذه السيول كانت تحط الوحوش من ذرى هذه الجبال وتسقط الشجر من قللها ، قال لبيد :-

وحط وحوش صاحبة من نراها كان وعولها رمك الجمال
اقول و صوبه مني بعيد يحط الشث من قلل الجبال " (2)
ويقول شاعر شعبي معبرا عن غزارة المطر ، وتكوينه السيول والأودية من عالي الجبال للمناطق السهلية المجاورة :-

غيم وجم سحبه رويات ضاف من الطور الخضر للمساهيل
ويشد المطر غزارة ، ويغمر الجبال " النايقات " :-
تغافت نصوبه على الرامان وبهار طم الجبال النايقات وغشاهما⁽³⁾

(1) بولعكيش: اسم شخص ، ثلث تيام : ثلاث أيام ، جانا : أتنا ، جاعنا ، الطلح : المقصود به الشجر قعور : جذور ، مستكنة : مكان نبتها ، الولايف : الأحبة

(2) لبيد بن ربيعة العامري ، ديوانه ، تحقيق د. إحسان عباس ، وزارة الإرشاد والأنباء ، الكويت ١٩٦٢ ، ص ٨٨ .

(3) ضاف : زائد ، الطور : الجبل ، المساهيل : السهول ، يهيض قلبي : يضطرب ، ركز اخیاله : سحبه غزيرة المطر ، تراكب شعبيه : توالى جريان الماء في روافده .

ولم يجد الشاعر الشعبي لاضطراب قلبه ، وجيشان عواطفه من حب الم به ، لم يجد شيئا لذلك الا اندفاع سيل جبل ، وقد التقت جداوله ، واتحدت في مجرى واحد :-

يهيئ قلبي هيضة وادي من عواليه ركز اخياله وتراكب شعبيه

ولبعض الجبال في الصحراء أهمية خاصة ، فنظرا لارتفاعها وشموخها يمكن توظيفها محطات للترقب ، ومن على هذه الجبال ، تنتظر أخبار الأهل والأحبة ، وترصد تحركات العدو ، ويرصد الصيد أيضا .. ويسمى الجبل في هذه الحالة مراقبا . " وقد شغل حديث المراقب جانبا كبيرا من شعر الصغاليك والهذليين لأنهم وجدوا فيه أمكنة آمنة لإنجاز مهماتهم ، ويرقبون منها أعدائهم ، ويترصدون صيدهم ، لان طبيعة حياتهم كانت تضطرهم إلى الحذر الدائم و الترقب الشديد" . وقد رسم "أبو كبير الهذلي" صورة لبعض هذه المراقب :

وعلوت مرتبنا على مرهوبة	حصاء ليس رقيبها في مثل
عطاء معنقة يكون أنيسها	وروق الحمام جميعها لم يؤكل
أخرجت منها سلقه مهزولة	عجفاء يبرق نابها كالمعول ⁽¹⁾

أظهر الشاعر جلده وصبره وقوة شكيته في تسلقه هذا المراقب ، وقد وصف الشاعر المكان بصفات تتناسب وحال الجلد وقوة الشكيمة ، فالمراقب بلا نبت ، أجرد يؤمه الحمام البري ليكون في مأمن على نفسه و فراخه ، وحيوان المراقب يحاول جاهدا أن يصل لهذا الحمام و يصطاده . ولكن سمو المكان وشموخه يقف عائقا حيال ذلك . و يستطيع الشاعر و بفروسيته أن يبلغ المحل ، و يصطاد ذئبة هزيلة تتضور جوعا . ان عنوان هذه المقطوعة الشعرية ليس المراقب ، وليس وصفه أيضا . بقدر ما يمكنه أن يكون "فروسية شاعر" ، والمراقب بهذه الهيئة المخيفة ليس أكثر من عنصر جبار ، استمد منه الشاعر الصفات التي اجتباها لنفسه ، وظهر أمام الملتقى متمتعا بهذه الشجاعة المثالية .

وإذا انتقلنا إلى " مرابع " الشعر الشعبي ، رأينا الشاعر " مصطفى الخشمان " يصعد مراقبه " شيحان " ، ومن على " المراقب " يرسم لوحة رائعة

(1) د. القيسي ، نوري ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مصدر سابق ، ص ٥٥ .

للتلاحم النضالي الشعبي الفلسطيني الأردني . "ينظر" الشاعر قدوم "هبوب الريح" وقلبه
 هيمان بحب كل المناضلين الفلسطينيين "ينظر" قدوم المناضل ، ليقوم أهل الجنوب
 الأردني بتقديم المساعدات المادية والمعنوية له ، دفعا لمسيرة النضال الشعبي الفلسطيني : -
 صبح ومسا واقف على شيحان عيني عليهم والقلب هيمان
 ناظر هبوب الريح مرسالي يوصل سلام أهل الكرك ومعان

ويصعد شاعر آخر مراقبه ، باحثاً عن الكالأ لأغنامه حول هذا المرقاب .
 ويرسم هو الآخر لوحة مأساوية غاية في الجمال ، تمثل اغتصاب الصهاينة للأرض
 وخيراتها ، وطرد السكان وتشريدهم من أراضيهم ، واستحلاب قطعان غريبة من شذاذ
 الآفاق للسكن فيها واستثمارها بدلاً من أهلها وأصحابها الأصليين :-

أشرفت عالمشرف بأرعي بدياره ما لقيت غير الغربان يتناقرن فيه
 وأشرفت عالمشرف قولي خسارة وبادعي على خير وعلي سكن فيه
 نحن أمام لوحة تعبيرية صادقة ، تمثل الاغتراب بأوسع معانيه وأوضحها الشاعر
 فيها غريب عن أرضه وقيمه وإنتاجه ، يعيش بين أغربة سود ، تلهو وتلعب في المربع
 التي عهدا ، حتى تحولت هذه المربع إلى أطلال دعت الشاعر أن يتحسر عليها " قولي
 خسارة " ويقاوم الشاعر الاستيطان الجديد بكل ما أوتي من قوة ، وللأسف لم يجد غير
 " الدعوات " يتوسل بها لتغيير الحال .

* هبوب الريح : لقب منتاضل فلسطيني ، قام ببطولات رائعة أثناء الثورة الفلسطينية ضد الإنجليز عام 1936، وكان
 ينتقل بين فلسطين وجنوب الأردن يحمل السلاح لمقاتلين الوطنيين ، فهبوب الريح عامل ربط نضالي بين فلسطين
 وجنوب الأردن ، شيحان : أعلى جبل في محافظة الكرك ، ناظر ، ينظر : ينتظر ، هيمان ، هائم ، مولع بحبهم ،
 أشرفت عل مشرف : صعدت المرقاب ، بارعي : أريد أن أرعى ، يتناقرن فيه : يتطايرون حوله ، بادعي : يرسل
 دعواته ، خبير : كناية عن الصهيونية ، وخبير حصن كان يسكنه اليهود زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وطردهم
 منه بعد فتحه .

وإذا كان الشاعر الشعبي وظف " المرقاب " ليقوم بهذا الدور الإعلامي في توثيق مراحل نضالية فلسطينية ضد الصهيونية . فقد وظفه أيضا لتفريغ شحنات الضيق والملل والسأم التي تعتريه ، خصوصا في حالات بعد الأحبة ورحيل الأختلة . فهو ينتظرهم من على مراقبه ، فان لم يعودوا ، فلعل أحدا من المسافرين يمدّه بأخبارهم ويطمئنه عنهم ، وفي ذلك نوع من أنواع تفريغ شحنات الكبت والضيق ، ومصدر راحة للشاعر ، يقول الشاعر " مخلد الزوايدة :-

من ضيقتي نطيت روس المراقب واشرفت بالمشراف واصفق بديا
ويتحسر الشاعر ، ويبكي همه وقهره ، لأنه لم يتوصل في انتظاره لنتيجة
تشفيه ، ولم يأت أحد بخبر من الأحبة .. ولكنه لا ييأس .. ويستمر في المراقبة
والانتظار كل يوم ، حتى تعجز عيناه عن النظر ، والحقيقة لا تتغير ، فما زال
الأحبة في نأبهم ، وما زال يعيش في هم وقهر وتعاسة ، يقول محمود فرحان
أبو صوصين :-

محدث جاني ونا مونسن هم وقهر كل يوم راكبن راس مراقب جديد
أبدي المرقاب وأزريت من مد النظر أبعدوا عني وناكنت في حال زهيد

ومن الجدير بالذكر ان المرقاب ليس حكرا على البادية ، وإنما يمكن
ان نجده في مختلف مناطقنا الفلسطينية من مدن وقرى ، يحمل اسم " المنطار " .
والمنطار من الفعل العامي " نطر " بمعنى انتظر وترقب . وهذا الترقب لا
يكون الا على مرتفع من الأرض . ومن هنا كان شيوع تسمية " المنطار
والمشارف " على كثير من المواقع في بلاد الشام . وفي حدود إطلاعي هناك "
منطار بلعا " ، وهو ارض مرتفعة في الجانب الغربي من البلدة ، استخدمه
المناضلون الفلسطينيون في ثورة عام ١٩٣٦ م المجيدة ، نقطة لرصد تحركات
العدو . وقد قامت معركة شرسة بين الثوار والإنجليز عام ١٩٣٦م ، تكبد فيها
الإنجليز خسائر فادحة . وبها تغنى الشاعر :-

يوم وقعة المنطار صار اشني عمره ما صار

وبين بلعا واللية تسـمع للمـوزر ديسـه⁽¹⁾
وهناك منطار غزة إلى الشرق منها وهو مكان مرتفع ، دارت وما زالت تدور
معارك الفلسطينيين مع الصهاينة الغاصبين فيه وهناك " منطار سيلة الظهر " ، وهو أيضاً
مرتفع من الأرض في الجهة الجنوبية للبلدة ، وكان ميداناً لتصادم الثوار مع الانجليز في
الثورة نفسها .

ونتهي هذه الملامح الطبيعية التي وصفها الشعر الشعبي ، بذكر البحر في هذا
الشعر فمن المعلوم أن الشاعر الشعبي في النقب عرف البحر من ارتباط المنطقة بأبـحـر ثلاثة
هي : البحر الأبيض المتوسط ، والبحر الأحمر ، والبحر الميت ولكن هذه المعرفة ، وكما
يشير هذا الشعر ، معرفة بدائية سطحية . وربما مزجت ببعض القصص الشعبية عن عداء
البحر للإنسان . ومن هنا نستطيع أن نلمس كراهية البدو للبحر ، فلا يرتبط ذكره إلا
بذكر أمواجه المتلاطمة ، والتي تحاول افتراس الإنسان وإغراقه . والبحر في ذهن الشاعر
البدوي رمز للضياح ، فهو عالم مجهول تنعدم في أمواجه الأدلة . ولتأمل صورة من صور
البحر في الشعر الشعبي من خلال نصيحة يقدمها شاعر لفتاه كي تتعد عن غدر إنسان
أحبته . ويبالغ الشاعر في وصف غدر هذا الحبيب المزيف ، لدرجة أن هذا الغدر يستطيع
أن يغرق موج البحر :

يا ريم منهو خان لا يمكن إلا يخون شط البحر الموج من غدره غرق
والبحر عالم مجهول بلا دوايل : -

في موج فيه الأدلة جواهريل متخاف من هرج العذل والمرامي
وهو طريق سير السفن الغواريق ، والتي تسوقها الأمواج المتلاطمة ، بعبارة
أخرى أنه مكان مرعب مخيف ، لا يوحى إلا بالغرق والموت : -

يجيك بسفن البحور الغواريق سواقهن زجر الهوامع الغميق
يقول إيليا حاوي في تحليله تشبيه امرؤ القيس الليل بموج البحر في قوله: -

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي⁽²⁾

(1) وفعة المنطار : معركة المنطار ، صار اشي عمره ماصار : كناية عن دراسة المعركة التي يصعب وصفها ،
اللية : منعطف ، ويقصد به مفرد بلعا على خط طولكرم - نابلس ، الموزر : من أنواع السلاح ، ديه : صوت
(2) امرؤ القيس ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 22.

إن البحر الذي يشخص خلاله هذا التشبيه ، ليس البحر الذي نعرفه نحن ، أو بالأحرى أن نظرة الشاعر لا تتشابه ونظرتنا إليه ، بل على العكس إنها نظر بدائية مروعة منصعة أمام لغز الأشياء وهولها . فالبحر بالنسبة للجاهلي يمثل الرهبة .. فيقابل الشاعر البحر ، محيط من الماء ، كذلك الليل هو محيط من الظلام⁽¹⁾ . إنها النظرة الجاهلية نفسها تتناسخ في الشعر الشعبي .

وخلاصة القول

وصف الشاعر الشعبي كل ما شاهده في صحرائه مترامية الأطراف ، وتغني به. فوصف السحاب والمطر ، لما لهما من أثر في حياته ، ووصف البرق والرعد لأنه اعتبرهما من عناصر هذا المطر وأسبابه .

وصف رمال الصحراء الحامية ، في أثناء سيره تحت الشمس . وصف جبالها وأظهر بطولاته في قطع مفاوز الصحراء والوصول لقمم الجبال . وصف النجم ، ضابط مواعيده ، وهاديه في السير . ورفع مثله وقيمه لمستوى هذا النجم ، وهو بهذا يمثل امتداد لوصف أسلافه للبيئة نفسها . " وامتاز وصفه بالوضوح ، فلا نجد فيه تعقيدا أو غموضا ، ولا نجد في خياله إضطرابا أو استيحاء بعيد . وسبب ذلك أن البيئة واضحة مكشوفة ، فهناك الفضاء الرحب الذي يمتد فيه البصر بغير أن تصده عوائق ، وهناك الشمس الساطعة التي لا يحجبها الغيم إلا في بعض المناطق أزمانا قصارا في كل عام"⁽²⁾ . ويأتي الوضوح في الوصف من طبع البدوي في الصراحة ، والإيجاز في القول ، والتعامل مع الأشياء ببساطة . فهو في تعامله مع عناصر الطبيعة لا يعلو عليها بل يخاطبها وكأنه واحد منها ، لا فرق بينه وبينها . بل العكس من ذلك فنجد غالبا ما ينظر لنجومها وكواكبها وجبالها للأعلى فهي فوق مستواه ، ويحاول محاكاتها والتشبه بعلوها وسموها .

"ولهذا كله كان أسلوبه بسيطا عاريا من البهرج اللفظي ، يقصد إلى سبيله مباشرة في غير زينة ولا زخرف . يصف الحاضر المشاهد في غير مغالاة ولا إسراف ، وخياله محدود لا يبلغ درجة التخيل ، يحاكي الطبيعة في دقة ، ويمثل ما إمتلته نفسه في غير مغالاة ولا إغراب"⁽³⁾ .

(1) حلوي ، إيليا ، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة ، مرجع سابق ، ص 152 .
(2) الحوفي ، محمد أحمد ، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص 159 .
(3) نوفل ، سيد ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مرجع سابق ، ص 70

الفصل الثالث

الحيوان في شعر النقب الشعبي

الحيوان في شعر النقب الشعبي

جلست في شق⁽¹⁾ عرب القواعين وهم فخذ من عرب الهزبل قرب بئر السبع ، وتزامنت زيارتي لهم مع عودة حجاج بيت الله الحرام من رحلتهم الميمونة ، بين العصر والمغرب* ، لم يكن في الشق غير الأخ الأكبر للشيخ "خليل" وهو إبراهيم فرهود ، استضافني الرجل ، وتابعت بأمر عيني قهوته من مبتدأها إلى ملفاها⁽²⁾ . بن التقطه من كيس ، حمسه بالمحماس ، وطحنه بالنجر وغلاه على نار النقر⁽³⁾ في وسط الشق ، وناولنيه فنجاناً أثر الآخر ، كنت والمضيف نتجاذب أطراف الحديث ، ولم يكن يقطع حديثنا إلا رجال يدخلون علينا الشق ، يتحدثون بسرعة ، ويشربون قهوتهم ويخرجون ، وقليل منهم من كان يجلس على الخيش⁽⁴⁾ وأن جلس فمقرصاً على استعداد

(1) الشق : خيمة كبيرة ، على بعد قليل من المضارب ، فيها شيخ القبيلة ، وتقضى فيه حوائج القبيلة العامة من استقبال الضيوف ، إلى التشاور في القضايا التي تهم القبيلة ، وهي مكان سمر القبيلة .
* كان ذلك بتاريخ 2000/3/2م .

(2) ملفاها لغاية تجبيزها .

(3) النقر : حفرة في وسط الشق ، يوقد فيها الحطب ، أو الفحم لحمس القهوة وصنعها .

(4) الخيش : الفراش

للنهوض في أية لحظة . وبعد لأي أتضح لي أن هرج⁽¹⁾ الرجال يدول حول قضيتين :

أولاهما : حال الطليان⁽²⁾ ، والحملات⁽³⁾ وأسعارها .

وثانيهما : ترقب وصول الحجيج ، والاستعدادات الجارية للاحتفاء بالمناسبة وللوهلة الأولى يظن السامع أن القضيتين مختلفتين تماماً ، ولكنهما في الحقيقة تدوران حول مركز واحد هو الشياه والطليان والحملات ، فموسم بيع البدوي لتواجه كان على أشده في هذا الوقت بالذات ، إذ حل عيد الأضحى المبارك وكثير من الناس يبحثون عن أضحية لذبحها ، ووصول الحجاج والاحتفال بهذا الوصول بحاجة إلى ذبائح كثيرة تليق بالمحتفى بهم .

وبعد المغيب رجع الشيخ خليل فرهود بحججه ، وتوافد على شقه المهتسون بسلامة العودة ، والمدعوون للعشاء .. وأنزلت القدور ملائمة بلحوم الحملات والطليان وقدمت المناسف⁽⁴⁾ للجميع . والحق أن القوم أكرموني واحترموني ، ولم يكن احتفاؤهم بي أقل من احتفائهم بحجيجهم ، وبدا أهل الشق والمعازيم⁽⁵⁾ من العشائر المختلفة يسردون لي قصص البادية وأشعارها وأدبها ومعانقها ، وفي كل قصة من قصصهم تستطيع أن تلمس ذكراً للحيوان فيها ، وأثر هذا الحيوان في حياتهم ومترلته في وجدانهم الشعبي .

حدثوني عن الخيل وأصالتها ، وركز الشيخ فرهود في قصصه على أن الأصل الأول لهذه الخيول يسمى " الكبيشات " وهي معروفة بالأصالة ، ونقاء السلالة ، واستشهد بالمثل القائل : " يا كميشة كوني كبيشة " ويضرب في حال تلقيح فرس عادية من حصان أصيل لتحسين نسلها وتأصيله .

(1) هرج : كلام

(2) الطليان : مفردا طلي ، الخراف

(3) الحملات : مفردا حملة ، أنثى الضأن

(4) المنسف : أكلة شعبية بدوية ، تتكون من خبز الشراك يعلوه الأرز واللحم ويخلط به اللبن

(5) المعازيم : المدعوون

وحدثوني عن الفارس عمير المظلوم يصل لحقه ويتصر له وهو ممتط حصانه مشهوراً ومن أقوال عمير فيه :

لركب على مشهور مع رايق الفلا وفطط فرخ القطا من مقله⁽¹⁾
حدثوني قصصاً يشوبها الخيال ، لكنهم حاولوا إقناعي بصدقها وواقعيتها، ومنها قصة أبو عودة تاجر الإبل في النقب ، وما جرى له مع عرب الصخور ، كان يكرمهم عند مرورهم به في تجارتهم ويسهل معاملتهم .. تنكر في زي غير زيه واستضافهم دون أن يعرفوه فوجدهم غاية في الكرم ، وعبروا عن ذلك بقولهم له :-

ظيف يا ظيف لا تذهب عشاك لغدي حنا نعشي الظيف ونغدي⁽²⁾
لولحقت النار القودي⁽³⁾

ويكشف الضيف المتنكر عن نفسه ويرد على مضيفه :

أنا قودي ما يعرف قودي أنا بوعودي ما عليكم جحودي
كنت بغزوة بعلق فراديس البقر ————— راس عــــــودي
إنها حياة الصحراء ، لا تنفض جلسة من جلساتها دون ذكر الحيوان مستأنسه، وبريه ، ولا غرابة في ذلك ، فحيوان الصحراء أساس الحياة فيها ، وتستحيل البادية دونه إلى رمال ملتهبة وسكون . فالحيوان أساس الاقتصاد الصحراوي ، وعلى هذا الأساس تبنى الهيكلية الإنتاجية البدوية برمتها . وبالتالي تتحكم القيمة الاقتصادية للحيوان في البناء الاجتماعي القبلي ، وتجنذر فيها ، فالقيمة الاقتصادية تبنى المكانة الاجتماعية في البادية ، وتوزع الأدوار على رجالها .

(1) أراد بذلك أنه أفرع هذه الفراع ، واضطرت لمغادرة أعشاشها عندما أحست بالجواد

(2) ظيف : ضيف ، نغدي : نقدم الغداء ، لغدي : للغد ، حنا : نحن ، القودي : النياق

(3) تظاهر أبو عودة بأنه يخبئ قسماً من طعام العشاء ، لكي يوفره لغداء اليوم التالي ، ويرى ردة فعل القوم.

ولولا الحيوان ، ما انتظر البدوي مطرا ، ولا فتش عن كلاً ، بل لما ارتحل له ، ولانتقى اسم البداوة من الوجود .

وفي تطوافه يلتقي البدوي وجها لوجه مع الذئب يحوم حول الحمى وتهاجمه أفعى .. وتتطاير من حوله الطيور مثل القطا والغربان والبوم وغيرها ..

وفي خلواته - وما أكثرها - مع مواشيه وإبله ، يقطع صمته وتأملاته بمناجاتها ، وبثها همومه ومشاكله .. ويتناسى همومه فيغني لها ، ويحدو ويهجن * ، ويرقصها على أنغام نايه ، فتطرب وترتاح ويزداد إنتاجها . لكل هذه الحثيات ، اهتم البدوي باقتناء الحيوان ، والعناية به ، ومن هنا ظهر الحيوان في ثنايا أدب البادية الشعبي ، نثره وشعره . وفي هذا الجزء من الدراسة ، سأستعرض ما استطعت جمعه من وصف لبعض حيوانات البادية . فمن الحيوانات المستأنسة سألقي الضوء على البعير والفرس والشيء . ومن البرية : الذئب والضبع والأفعى . كذلك سأطرق لوصف البداوة لبعض طيور الصحراء في شعرهم الشعبي .

الإبل في الشعر الشعبي في النقب

الإبل قرينة الصحراء ، ولا يستطيع المرء ان يتخيل بادية بدونها فهي سفنها ، ومصدر عز وجاه لأهلها ، وأبعد من ذلك فهي مصدر اقتصادي عظيم الأهمية لمالكها " وبدون الجمل تصبح حياة البدوي العربي مستحيلة ، ولا يقتصر دور الجمل في البداوة على قيمته الاقتصادية فقط ، بل يمتد هذا

* الهجين : الجمل سريع السير ، والهجين لحن شعبي ، ميزانه الموسيقى حركة الإبل ، تتأثر الإبل بهذا اللحن فتصيبها نشوة .. انظر في ذلك :-

سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، ج ١ ، مصدر سابق ، ص ٧٢ .

التأثير حتى يشمل التنظيم الاجتماعي ، وكذلك المكانات والأدوار عند كثير من البدو" (1).

وقد عبر الشاعر الشعبي " عواد أبو جريان " عن هذه المزايا الاقتصادية - الاجتماعية للإبل ، باعتبارها مصدر غنى " لقانيها " (2) ، وبها تعز القبيلة وتقوى . وبناء عليه فقد نصح قومه بالاعتناء بها وتقديم " مواجيبها " (3) :-

حنا الجبارات ندوس الراي لنعاقي

البل مواجيبها ملزوم نوفيها

البل تجيب الذهب من غال الاسواق

ما كل الرجال يقدرها ويقنيها

لقد ربط الشاعر الشعبي الاسم " حنا الجبارات " * بالفعل " ندوس الراي ولا يعيقنا عائق " ، ومن تفاعل الاسم مع الفعل نتجت مثل " الجبارات " وقيمها تجاه إبلها . فرجال القبيلة يوفون بعهود الإبل ، ويقدرونها ولم يكتف الشاعر برسم صورة معنوية إيجابية لقبيلته ، بل ربط هذه الصورة المعنوية بالقوة الاقتصادية " البل تجيب الذهب من غال الأسواق " ، ومن هذا الربط تولدت صورة البدوي المثالية " الشيخ الخلق ، صاحب الواجب الغني " . ان هذه الصورة بما تتم عنه من سمات أخلاقية ، طموح يسعى له كل من سكن الصحراء .

ان مكانة الإبل الرفيعة في ذهنية البدوي الشعبية ليست جديدة ، ولا مبتكرة ، فالمطالع في التراث الأدبي العربي ، يجد هذه المكانة راسخة في ثناياه ، " فقد وصف

(1) الفوال ، مصطفى صلاح ، تنمية المجتمعات الصحراوية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط ١ ، سنة

١٩٦٨ ، ص ١٠٤ .

(2) لقانيها : مربيها والمعنى بها .

(3) مواجيبها : ما تستحقه من تكريم وعناية .

* الجبارات : إحدى القبائل البدوية في النقب .

الجاهلي ناقتة، وامترج بها وشعر بشعورها ، وأضفى عليها صفات العقلاء.. ناجاها
وأنصت لنجواها ، كقول ربيعة بن مقروم في وصف ناقتة وما قاسته من شدائد في
رحلتها إلى ممدوحة مسعود:

لما تشكت إلى الأين قلت لها لا تستريحين ما لم ألق مسعوداً⁽¹⁾
وقول المثقب العبدى:

إذا قمت أرحلها بليل إذا قمت أرحلها بليل
تقول إذا درأت لها وضيبي أهذا دينه أبداً وديني⁽²⁾
ولم يجد الشاعر الشعبي "محسن أبو عويد" صديقاً خيراً من ناقتة ، ليثها همومه
وأحزانه عند وفاة ابنته، فقد أعلم الشاعر الناقة خبر وفاة غاليتها، و ناجاها مناجاة حزينة،
وتمتنع الناقة عن الأكل حزناً للشاعر ومواساة له:

جئتنا المنايا وشالت غواليها وذوقتنا المر عقب الحلاوي
أنظر جميلي شابك الناب لني هذيك الليلة صرت حاوي⁽³⁾.
وقد سبق الملك الضليل شاعرنا الشعبي لهذا المعنى، "فعندما قرب اجله، ودنت
منه المنية، شاركه إبله المصاب وامتنعت هي الأخرى عن الأكل فلم تذقه:

على قلص تظل مقلدات أزمتهن ما يعرفن عوداً⁽⁴⁾.
إن المعاني التي تشي بها هذه الأبيات، ترينا مدى العلاقة بين البدوي وإبله، ولم
لا تكون هذه العلاقة "وقد عاش ابن البادية في صحراء النقب فالتزم بإبله ولازمها
ملازمة الظل في حلة وترحالها، والتصق بها التصاقاً حتى هيجت
طاقاته الوجدانية، واستنفرت قدراته الإبداعية وهو يتفحص كل

(1) المفضليات، الجزء الثاني، مصدر سابق ، ص14.

(2) المثقب العبدى، المفضليات، الجزء الثاني، مصدر سابق ، ص91.

(3) وضيبي: حزلي، دينه: دأبه، عادته، جئت: أتت، شالت: أخذت، الحلاوي: الطعم الحلو، شابك الناب: لا يأكل حزينا،
لني: لأني، صرت حلوي: من الحواة كناية عن اضطرابه النفسي.

(4) امرء القيس، ديوانه، ص86.

جزء من جزئيات هذا الحيوان العجيب ذي الأسرار الدفينة ، حتى لا يكاد عضو من أعضائه الظاهرة منها والباطنة إلا وحدق به وغنى له" (1).

ولا يخلو وصف " أبو جريان" للإبل من قدسية خاصة. فقد ذكرها الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم في أكثر من موضع "أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت" (2). وهذه دعوة للناس كي يتدبروا في خلق الإبل وجلال هذا الخلق، وهي مراكب البر قرنها الله تعالى بالسفن" وعليها وعلى الفلك تحملون" (3). وكرمها العربي لدورها الوظيفي في البيئة، ولما ترفع مالكتها من منزلة اجتماعية، يقول "أبو جريان":-

البل لها كار وأيضاً خلقها في	موصفة من صفات الرب سبحانه
سبحان خلقها يخلق ولا يمني	مكون الكون بأمره معتلي شأنه
خلا توصيفها فالكب يقربي	خلقها حطها في وسط قورانه
الله ذكر خلقها بحروف يرضني	مكملن خلقها بأمره وصطفانه
أودع مصاريفها برضاه يمشن	من دبرة إلى ايده بالخير مليانه
سفارين اليد قبل السفن يردني	واليوم زادت غلا ودلولها زانة (4).

ركز الشاعر على جلال هذا المخلوق، وكرمه ونبله. فهو معجزة من معجزات الخالق تعالى. وتكرماً لهذا الحيوان فقد ذكره الله تعالى في كتابه العزيز. وان لم يذكر الشاعر صفات حمل بعينه، واكتفى بإظهار كرامة النوع، فقد ذكر في نهاية مقطوعته شرف هذه الإبل:

البل شريفه تشوق كل متمني والله أعطاها الشرف برضاه واحسانه
وهذا الشرف منة من الله سبحانه وتعالى على هذه الإبل "فالجمال من الأحرار لا يترو على أمه ولا على أخسته حتى قيل أن بعض العرب ستر ناقة بثوب ثم

(1) المبيض: سليم عرفات، الغبل في التراث الشعبي الفلسطيني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 1993، ص 6.

(2) الغاشية: 17.

(3) المؤمنون: 22.

(4) البل: الإبل، كار: طبع، عادة، لا يمني: لا يمنن، شأنه: شأنه، خلا: وضع، ترك، توصيفها: أوصافها، فالكب: في الكتب، يقربي: تقرأ، قورانه: قرانه، يرضني: ترضي، صطفانه: اختياره، دلولها: دلالتها.

ارسل عليها ولدها، فلما عرف ذلك عمد الى احليله فأكله ثم حقد على صاحبه حتى قتله⁽¹⁾.

وهذا ما أشار إليه الشاعر الدماي بقوله:-

يا راكب الي مزرقة عاولدها عن الفحل محفلة ما تصيه
فهي تمتع ان تترو عليها ولدها. وبعد أن يقرر "الدماي" هذه الحقيقة، في مشد قصيدته يبدأ برسم صورة جميلة لناقته فيقول: ان سائس إبله، والقائم على خدمتها يعرف عنها من نوع العراب⁽²⁾، وهذا النوع من أكثر أنواع الابل اصالة، جميلة الرحل، ذراعاها مبرومان وهذا سبب مادي لقوتها، ثم يصف الشاعر سرعتها الهائلة، حتى أن باستطاعتها أن تحتصر مسير ثلاثة أيام يوم واحد. وبالرغم من وصولها لهدفها بهذه السرعة، فإنها لا تظهر كلالا ولا مللا، ويتمثل الشاعر هنا قول المتنبي في وصف فرسه:-
وأصرع أي الوحش قفيته به وأنزل عنه مثله حين أركب⁽³⁾
يقول الدماي:-

مصفية يا خال ما جمل عددها من ساس هجن للدماي عريسة
مبرومة الذرعان مقوى جهدها ممشى ثلاث تيام يوم تجيه
ومن روحت متشوف حتى زبدها تزهى على العنيدات في كل هية
ويصف شاعر آخر* مرتحلين على ناقتين، وأول ما يتبادر إلى ذهنه عند رؤيتهما، قدرة الله جل وعلا في خلق هذه الصور البديعة للإبل. ويقرن الناقة بالغزال الخائف كناية عن نشاطها وسرعتها، رأسها صغير، وقوائمها رفيعة. وتخاف وتجفل من ظل أو إشارة، كناية ثانية عن نشاطها وسرعتها، ويعزز هذه الكناية بتشبيه سرعتها بالبرق، لونها أحمر كلون العناب، وتميز

(1) الأشيقي: شهاب الدين، المستطرف في كل فن مستظرف، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة، ط1901، الجزء الأول ص86.

(2) العراب: من أنواع الابل الأصيلة، وهناك أنواع أخرى منها البخت، والفوالج، والبهيونيات، والصرصرانيات، والحوش (الإبل المتوحشة) والنجب. انظر في ذلك:-
الحيوان للجاحظ تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العربي، بيروت ط3، 1969، جزء 3، ص145.

(3) المتنبي: ديوانه، دار صادر، بيروت، ط1، 1958، ص46.
* هذه المقطوعة من، المبيض، سليم عرفات، الإبل في التراث الشعبي، مصدر سابق، ص40.

بسمتها نتيجة حريتها في أكل العشب، وتجوّلها في مراع الكلاً..

يقول الشاعر:-

يا راكبين اثنين على بكار ثنتين غزلان على روس العوالي مريبات
تصويرة الرحمن رب المخاليق روسهن رفيعة والقوائم رفيفات
تجولن من شوح ظل المحاجين بروق ناضت ليالي السعادات⁽¹⁾
مرباعهن في عشب زاهي عجبني نوار نابت في النواهي العليات⁽²⁾
مهربات وشايلات المخبا ومراقهن بين الجبال المحيدات
حمر هويهيات لون العناب ولا انفثر في ظهورهن لذع شامات
عند تأمل ألفاظ هذه الأبيات الشعبية، نجد أنها ذات معان توحى بالعلو
والارتفاع والسمو، فالراكب لا يكون إلا على علو، والغزال على رأس جبل والقوائم
رفيعة مرتفعة، والمحاجين: عصي يحملها الشيوخ وسادة القوم وهم ذوو مترلة رفيعة،
والبرق يلمح على ارتفاع، والنوار نابت في الروابي العليات، وتمر هذه الإبل بين الجبال
العالية، وظهورها -وهو ما ارتفع منها- لا أثر للضعف فيها..
إن الأثر الذي تركه هذه المقطوعة في المتلقي يكمن في الإيجاء:
فمترلة هذه الإبل -ومهما كانت مواصفاتها الخاصة- مترلة عالية رفيعة في
وجدان العربي.. فكل ما فيها سام مرتفع، وفي ذلك دلالة من دلالات العز لها، وبتلقائية
تعبّر هذه الدلالات عن سيادة مالكي الإبل ومالكيها...
وما أن تصل هذه الإبل مضارب البدو، حتى تمد الفرش لأصحابها، وتذبح لهم
الذبائح إكراماً لهم واحتفاء بمقدمهم:
وعلى نجوع الشيخ يلفن مصايح حالاً يمد فراشهن والمخدرات⁽³⁾
ويقول طقوا روسهن نوخوهن وترىحوا يا أهل الركاب المشيحات

(1) مقوي: ما أقوى، ممشي: مسير، نيام: أيام، زبدها: رغبة تخرج من فمها، بكار: نياق، روس العوالي: روس
الجبال، شوح: ظل إشارة، ناخث: ظهرت، تجولن: خفن.
(2) النواهي العليات: الروابي المرتفعة، مراقهن: مرورهن، هويهيات: حمراء بلون العناب، انفثر في ظهورهن لذع
شامات: لم يظهر في ظهورهن علامات تدل على المرض أو الضعف.
(3) نجوع: مضارب البدو، يلفن: ينزلن، المشيحات: إبل مزينة بالوشاح، طقوا: انبحوا لراكبي الإبل الخراف والماعز.

ويتناغم شاعرنا الشعبي بهذا الوصف، مع الشاعر الجاهلي زهير بن أبي سلمى،
الذي جعل من ناقته بقرة قصيرة الأنف، خائفة مضطربة، لوها ضارب للحمرة، ذات
فخذين مرتفعين أشبه بياي قصر منيف:-

"كخنساء سفعاء الملاطم حرة
مسافرة مزوودة ام فرقد
لها فخذان قد أكمل النحض فيهما
كأنهما بابا منيف ممرد

"ولا ينفثر في ظهرها لذع شامات" بل هي:

جمالية لم يبق سيري ورحلتي
على ظهرها من نيهها غير محفد⁽¹⁾
وفي موطن آخر يشير زهير لصغر رأس ناقته، فيشبه صغر رأسها برأس الظليم
(ذكر النعام)، والظليم معروف عند العرب بقلة العقل² يقول زهير:-

كأن الرحل منها فوق صعل
من الظلمان جؤجؤة هواء⁽²⁾
ويقف "الزوايدة" شعره على وصف الإبل، ويوت الشعر فهما البادية التي
تسكن خافقه، وتلهمه قول الشعر. والبادية بهذا المفهوم - بيت من الشعر، وابل حوله -
رمز للعزة والنبل. وتجعل صاحب البيت معززا ومحترماً بين الناس، وتبقى عنواناً للكرم
والأخلاق الحميدة ابد الدهر:-

البادية في خافقي حبها دوم
أوصف بها بيوت الشعر والبعارين
وبيت الشعر راعية معزز ومحشوم
لهل الوفا والطيب يبقى عناوين

(1) زهير بن أبي سلمى، ديوانه، مصدر سابق، ص36.

"انظر في ذلك الأبيهي المستطرف في كل فن مستظرف، مصدر سابق، ص321.

(2) صعل: صغير الرأس، أراد به الظليم، جؤجؤة: الصدر، هواء خال، لا قلب له، أراد ليس للظليم عقل كأنه
مجنون، راعية: صاحبه، لهل: لأهل، محشوم: محترم، موقر.

إن رأي الزوايدة في اعتبار الحمل أحد أسباب البداوة العربية، وأداة من أدوات تأصلها واستمرارها، يتطابق مع آراء كثير من علماء الاجتماع وعلى رأسهم "ابن خلدون" الذي يقول "إن الجمالة أشد الرعاة بداوة وأشرسهم طبعاً وأكثرهم أنفة واحتقاراً لما عداهم من أهل البدو والخواضر، لذلك عشقوا الصحراء، وتوغلوا فيها، وهذا ناتج عن طبيعة الحمل، إذ الإبل أصعب الحيوانات فصلاً ومخاضاً وأحوجها في ذلك إلى الدفاعة، فاضطر البدو إلى إبعاد النجعة⁽¹⁾."

ولم تأت مكانة الإبل في الذهنية الشعبية من فراغ، بل أثبت الحمل أنه الحيوان الملائم لحياة الصحراء، وهو القادر على القيام بك الأعمال التي توكل إليه. فالإبل "إن حملت أثقلت، وإن سارت أبعدت، وإن حلبت أروت، وإن نحرت أشبعت"⁽²⁾. وماذا يريد البدوي أكثر من هذه الإمكانيات التي يقدمها الحمل له. فهو "يحمل أحمالاً تنسوء بالعصبة أولى القوة - بالخليل - فلا تقو على النهوض بها، وتقوى الإبل، وهي التي تمكن البدو من التزول بعيداً في الصحراء لأنها لا تبالى بالمسافات وشح المراعي"⁽³⁾. ويستخدم البدو حليب الناقة شرباً، ويتمتع بلحمه غذاء، فضلاً عن استخدام وبره وجلده... الخ. وقد صور الشعر الشعبي في النقب هذه الاستخدامات التي أهلت البعير ليكون أحد مرتكزات البنية التحتية، وخصوصاً الاقتصادية في الحياة الصحراوية. فهذا هو الشاعر الشعبي "خليل الوحيد" يضرب المثل في ثقل حمل الحمل، ويربط أنينه ومشاكه، بأنين حمل أثقل عليه صاحبه فلم يستطع القيام بحمله، "وبرك" وظل "مبركة":

يا ونتي ونه ثليب الجمالة
بارك وحمله في مطبه مخليه

(1) ابن خلدون: المقدمة، المطبعة الخيرية، القاهرة، مصر، ط. د. ت.، ص 108.

(2) الإشيبي: المستطرف في كل فن مستظرف، مصدر سابق ص 86.

(3) جبر، يحيى، الإبل في الشعر الشعبي، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، الدوحة، قطر، العدد 15، 1989، ص 8.

ويضربون الأمثال ايضاً في صفاء حليب النياق، ولذة طعمها. ولهم في حليها معتقدات صحية ايجابية كثيرة. فحليب النياق يقوي الجسم ويعالج أمراضاً مختلفة. وان شأهم في اعتقادهم هذا، شأن الفلاح الفلسطيني في نظراته الإيجابية لزيت الزيتون المبارك. يقول الشعر " عبد الله أبو سنار" في معرض تشبيهه كلام الحبيبة بهذا الحليب الحلو المذاق:

والخد بارق مستهل السحاب وكلامه وأحلى من حلاب المتلي
ويجمع زهير بن أبي سلمى مهمة الجمل في حمل الأتقال، ومهمة المتالي (النياق) في توفير الحليب في بيت شعري واحد:

فساروا له حتى أنا خو بيا به كرام المطايا والهجان المتالي⁽¹⁾
ولما للبعير من مقدرة جسدية هائلة، وقوة صبر وجلد، فقد أستخدمها صاحبها لقطع الفيافي والصحاري والمفاوز البعيدة مستغلاً "قدرتها على التكيف والتأقلم مع قساوة الصحراء مناخاً، وقلة نباتها وندرة مائها، إضافة إلى كونها تخشى ظلمة الليل ووحشة الصحراء، كما هو الحال عند الخيل والبغال والحمير"⁽²⁾. فهي آلة حرب تحمل المحاربين وأسلحتهم وتقطع بهم "فجوج الفلا" كما يصورها الشاعر الشعبي "فرج أبو ختلة" في معمعان معركة حامية الوطيس لإظهار حق طالبت به عشائر البدو:-

غاروا على البلب مع فجوج الطواريق أحد كسب واحد من الناس عيق
تسمع العطشان الثلاثي التراشيق نبغي نسوي للعشاير طريق

إنهم يتصرفون في معاركهم على ظهور الابل، واذا هزموا لم يجدوا وسيلة للإفلات من شر الهزيمة الا ظهورها، ولهذا يقولون " الغنم غنيمة في الدار المقيمة، وان صارت هزيمة البعران أقرب إجابة"⁽³⁾.

إن استخدام الابل في الحروب ليس بدعة ابتدعها الشعر الشعبي، بل انك واحد ما يماثل ذلك في شعر الجاهلية، " كما ورد في شعر الأعشى

(1) زهير بن أبي سلمى، ديوانه، مصدر سابق، ص 172.

(2) المبيض، سليم عرفات، الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني، مرجع سابق، ص 40.

(3) ما سمعه الباحث من محمود عصاصة مدلاً على دور الجمل في الهزيمة.

وهو بمدح الأسود بن المنذر، ويشير على الدروع التي كانت تحمل أكداً فوق الجمال:
ودروع من نسج داود في الحرب وشوق يحملن فوق الجمال⁽¹⁾
"وكثيراً ما ترد لفظه "فجوج" أو "أفجاج" جمع فج بمعنى الطرق البعيدة والواسعة
للتدليل على مقدرة الحمل في قطعها ، وكناية عن مباهاة البدوي بنفسه والافتخار بما
يقطع هذه المفاوز.⁽²⁾

وهذه المزايا العسكرية والاقتصادية التي يتمتع بها الحمل ، جعلت مالكة في
مركز السيادة والمشيخة والقوة في النظام القبلي ، حيث تطرد قوة الشيخ بعد امتلاكه
لهذه الآلة (الحمل) وبقدر ما يملك الشيخ من الإبل بقدر ما يستطيع أن يسود ،
ويستطع رأيه على القبيلة ، وبقدر ما يستطيع حمايتها ، وبقدر ما يستطيع أن يكون
كريمياً أيضاً .. وهذا ما عبر عنه الشعر الشعبي ، في إظهاره مراكز قوى الشيوخ والقبائل
تبعاً لاملاكها أعداداً معينة من الإبل :-

" أبو معيلق جاب غوج وذلولين وأما الوحيددي سيفه مسا يحمل السن
وأبو عويمر جاب ميه وعشرين يستاهل إلي حجلها برجلها يرن
وأما ابن صياح فرع عن طيب حامى بنات البدو يومن يظعن"⁽³⁾
ومن هنا وجدنا أن امتلاك الإبل في البيئة البدوية ، أمنية يتمناها البدوي ،
وطموحاً يسعى جاهداً للوصول إليه ، وهو ما يحلم به الشاعر إبراهيم جرادة " من جملة
أحلام سردها في قصيدة طويلة : -
والثامنة نياق برعيان كثار وأحلب لضيف الله وأسقيه حليب

(1) القيسي ، نوري ، الطبعة في الشعر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص 98 .

(2) انظر : يحيى جبر ، الإبل في التراث ، كذلك القصيدة الجاهلية تتناخ في الشعر الشعبي .

" أبو معيلق : اسم عشيرة بدوية فلسطينية ، الوحيددي : قبيلة عربية تسكن النقب ، أبو عويمر : اسم أحد أفراد العشائر
البدوية ، ابن صياح : اسم أحد أفراد العشائر البدوية ، جاب : جلب ، لحضر ، غوج : جمل ضخم ، ذلول : إبل السفر
السريرة والأصيلة ، ما يحمل المن : ماض وحاد جدا ، لدرجة لا يحتمل معها السن .

(3) المبيض ، سليم عرفت ، الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني ، مرجع سابق . ص 46 .

إن امتلاك الشاعر لهذا العدد الكبير من النياق ورعاها ، يجعله سيداً كريماً
يستقبل ضيوفه ويسقيهم الحليب .

ويتفق الشاعر الشعبي " علي الدسم " مع " إبراهيم جرادة " في ترتيب أمنية
امتلاك الإبل ، وجعلها ثامن وصاته أيضاً ، " وذلك في قصيدته المعروفة بشيخة القصيد:
ثامن وصاتي به معزة أو هيبة عليك ابسفن البر حرش العراقيب⁽¹⁾
ويسير البدوي بإبله في الصحراء الصامته مسافات ومسافات ، مرتحلاً أو
متاجراً أو محارباً أو باحثاً عن صيد وكلاً . . ولا يقطع صمت السير في الصحراء غير
الغناء . . فالغناء يريح أعصاب الراكب والمركوب . والغناء في سفر الإبل ليس طارئاً
جديداً . . بل هو أصلاً مشتق من سوقها أو " حدوها " ومن هنا أطلق عليه " حداء " ،
وهو أصل الغناء لدى العرب عامة والركبان منهم خاصة وكانوا لذلك يسمونه
الركباني. يقول أبو ذؤيب الهذلي : -

أقسمت لا أنفك أحدو قصيدة تكون وإياها بها مثلاً بعدي⁽²⁾
ومما سمعته من هذا الحداء ، ما عني به سرور النباري : -

يا عيس الليل سلميلي	ع الحب الي مفارقني
أطيح تالي الليل سهران	الاقى نهاره سابقني
لني بحبه دوم حيران	وهو بحبي حارقني

ويذكر صاحب الحيوان " أن الإبل تصر آذانها إذا حدا في آثارها الحادي وتزداد
نشاطاً وتزيد في مشيتها"⁽³⁾ ولا غرابة في ذلك فالحداء يمكن أن يكون عاملاً ترويحياً
منشطاً للإبل والحادي والرفقة والمسافرين .

ومن الفنون الشعبية التي اشتقت من حركة الإبل وسيرها ،
لحن المهجيني ، وهذا اللحن منتشر ومعروف في النقب والجنوب الأردني ، " ويمكن

(1) العزيزي ، روكس ، معلمة التراث الأردني ، منشورات سلطة السياحة ، عمان ، ط 1 ، 1984 ، ج 4 ، ص 368

(2) ديوان الهذليين ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965 ، ص 159 .

(3) الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط 3 ، 1969 ، ج 4 ، ص 193 .

أن يؤدي المهجيني مسافر يقطع الصحراء على ظهر هجين ، وقد يؤدي بمصاحبة العزف على الربابة في مجلس ومنه : -

والبارحة من الحرث حليت وأن الغزير على دربي
قذيلته مدهنة بالزيت يا حبته لو عت قلبي⁽¹⁾

ولم يكن الحداء والمهجيني الفنانين الوحيديين المستبطين من مشي الإبل وسيرها بل " أن العروضيين اتخذوا من جريها الخبب ، اسما لإحدى صور البحر المتدارك ، والذي يتألف من تفعيلات " فعلى " ثمان مرات " (2).

ونتيجة للملازمة البدوي إبله ، وتعلقه بها ، فقد قام بنقلها من دائرة الحيوان إلى دائرة الإنسان ، بل الإنسان الوفي الصديق ، الكريم بطبعه ، فلم يعد البدوي يتصور جملة حيوانا بهيماً ، بل تخيله إنسانا يكلمه ، ويشكوه همومه ويناجيه ، ويغني له ومعه . وأنسنة الجمل هاته نقلت كثيرا من صفاته الحيوانية وألصقتها بالإنسان ، ومن هذه الصفات :-

الواله : " وهي صفة للناقة حين يشتد وجدها على ولدها ، نقلت هذه الصفة للمرأة بالمعنى نفسه ، واشتق من الواله الوله بمعنى الحب العنيف . ومنها الحنين ، وأصله الناقة تحن لولدها إن طربت في أثره ونزعت إليه بصوت وغير صوت فإن مدت حنينها قيل سحرت تسجر سجرا ، ومنه قول الشاعر : -

حنت إلى برق فقلت لها فري بعض الحنين فان سحرك شائقي⁽³⁾
ويقول الجاحظ : " أكرم الإبل أشدها حنيناً " (4)

ومنها لفظة الوطن : " والتي تعني في الأصل مراح الإبل ومأهواها ومن ذلك قول الشاعر : ويأوي إلى أوطانه الجمل الوهم⁽⁵⁾ " ومنها السياق بمعنى المهر " وذلك لأن الرجل يسوق الجمال إلى ديار العروس : مهرا لها " (6) .

" الحرث : الحراثة ، حليت : أنهيت العمل ، قذيلته : غرته ، مقدمة شعره .

(1) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، البيار ، الأردن ، ط 2 ، 1989 ، ج 1 ص 72 .

(2) د . جبر ، يحيى ، الإبل في الشعر الشعبي ، مصدر سابق ، ص 14

(3) ابن سيده ، المخصص ، دار الفكر ، بيروت ، ط . د . ت . ، المجلد الثاني ، السفر السابع ، ص 33 وما بعدها

(4) الجاحظ ، الحيوان ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 11 .

(5) اتفاق المباني واقتراق المعاني ، سليمان بنين النحوي ، تحقيق الدكتور يحيى جبر ، دار عمار ، عمان ، ط 1985 ،

ص 146 .

(6) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، مرجع سابق ، ج 2 ، ص 220 .

وتجري على أفواه الناس كثير من الأمثال المتعلقة بمزايا الجمل مثل صيره ، ونبله ، وقوة تحمله . فترى المرأة " تشبه أختها وزوجها وأباها بالجمل فتقول : " يا جملي " . ويقول الرجل لقريته مواسيا إياها عند فقد زوجها أو أخاها : " أنا جملك حملك " . وعندما يأتي قوم لآخرين ليطلبوا عروسا أو يدفعوا دية فإنهم يقولون : " إحننا إجمال وحملونا " أي نحن جاهزين لأي عبء نحمله⁽¹⁾ .

الخيول في الشعر الشعبي في النقب

اهتم العربي منذ القدم بالخيول ، حتى غدا هذا الحيوان يحتل مكانة سامية في الحياة العربية ، ويحتل حيز احترام كبير في وجدان العربي ، ولما للخيول من أهمية كبيرة في الحياة الصحراوية ، ونظامها القبلي . فقد اشتهر الجاهليون باقتنائها ، والمحافظة على أنسابها ، وعدم الخلط بين سلالاتها . وكانت مصدر اعتزازهم وفخرهم وباهوا بها غيرهم . إذ كانوا يركبونها للصيد والرياضة ، وفي الأسفار البعيدة وكانت مظهراً من مظاهر فروسيتهن .

أن المطالع في تراث الجاهلة الأدبي يلمس بوضوح مدى تعلق العرب بخيولهم ، فلا تعد قصيدة جاهلية من وصف الفرس توصل فارسها لمحجوب ، أو ممدوح ، أو تصف جواداً مطهما يصول ويجول مثيرة النقع في معركة .

وقد بلغ من مظاهر تكريم العرب للخيول " أن الرجل منهم كان يبيت طاوياً ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه وزوجه وولده . وكثيراً ما كانت نساؤهم تلومهم في ذلك ، ويلوم حاجب بن حبيب الأزدي زوجته ، لأنها تحته على بيع فرسه ، فأثمان الخيل مرتفعة ، وهم في حاجة إلى ثمنها ، ويأبى الشاعر . ويحدثها بميزات فرسه ، والحاجة إليها في السلم والحرب : -

(1) مرجحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور للفلسطيني ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 224 .

باتت تلوم علي شادق ليشري فقد حد عصيانها
وقالت اغثنا به أنني أرى الخيل قد ثاب أثمانها
ققلت ألم تعلمي أنه كرم المكبة مبدانها⁽¹⁾

وجاء الإسلام ، وأكد مفاهيم الجاهلية في احترامها الخيل ، وتقديرها لها ، وأقسم بها القرآن الكريم ، وهي تصيح بأصواتها اللاهثة ، فتوري الشرر بخوافرها القادحة ، وتثير النقع ، وتتوسط الجمع في اندفاع وقوة ، قال تعالى " والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً . فالمغيرات صبحاً . فأترن به نقعاً . فوسطن به جمعاً"⁽²⁾ ويتوسم الرسول صلى الله عليه وسلم بها الخير فيقول " الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة"⁽³⁾ . ولم تخيب الخيول العربية فرسانها .. بل انطلقت بهم فاتحة مشارق الأرض ومغارها حاملة رسالة الإنسانية لكل البشر .

وفي النقب ، يظهر الشعر الشعبي هذه العلاقة التراكمية المميزة بين الإنسان والخيل، وفي ثنايا هذا الشعر الشعبي يستطيع الدارس أن يتبين مدى اعتزاز البدوي بفروسه، وتقديره لها ، وتعلقه بها . ومن الجدير ذكره أن هذه المترلة - ومهما بلغت - فإنها تظل أدنى من المترلة التي يحتلها البعير في الوجدان الشعبي العربي ، وهذه ما يفهم من المثل الشعبي البدوي " الخيل مناص الخير والإبل أحسن وأخير"⁽⁴⁾ . ولعل السبب في ذلك يتعلق بدواع اقتصادية بحتة ، حيث أن أثمان الابل تفوق كثيرا أثمان الخيل .

ولمحاولة الإحاطة بأثر الخيل في الشعر الشعبي في النقب ، وصورة الجواد فيه ، أفرع الموضوع في أربعة عناوين هي : -

1. الخيل وسيلة سفر .

(1) المفصليات ، مصدر سابق ، ج 2 ص 168 .

(2) سورة العاديات : 1-5 .

(3) العسقلاني ، علي بن حجر ، فتح الباري وشرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد عبد الباقي ، دار المنار ، ط 1 ، 1999 ، المجلد السادس ، ص 60 .

(4) المبيض ، سليم عرفات ، الإبل في التراث الشعبي ، مرجع سابق ، ص 40

٢. الخيل مركوب الفارس ، ودالة عليه .

٣. الخيل اله حرب .

٤. الخيل عنوان صفاء الأصل ، ونقاء السلالة .

ولا اقصد بهذا التقسيم بأي حال من الأحوال ، استقلال فرع من هذه الفروع عن الآخر ، بل ان هذه الفروع الأربعة متداخلة فيما بينها ، وإنما تم فصلها لأغراض دراسية بحثية .

١ (الخيل وسيلة سفر :-

جرت عادة الشاعر الجاهلي ، ان يمتطي صهوة جواده ليصل ممدوحه ، أو يصل على منته لقوم كرام ، وهذا ما يظهر في ثانيا أدب الجاهلية من وصف الفرس والرحلة . وتتأسخ مهمة الجواد الجاهلي - كما ظهرت في الشعر - ، تتأسخ في شعر النقب الشعبي . فما زال الشاعر الشعبي في النقب يمتطي جواده الكريم ويقدم به على مشايخ القبائل وكرمائها . ولا متطاء الجواد في البادية دلالة على نبل فارسه وكرمه ، وهذا يجعله محل احترام المضيف وتقديره . يقول الشاعر حرب أبو ربيعة :-

يا راكب الي في المشاحي السريعة
تلدعت تطرا عليها الجفال
مثل الغزال الي اشرف بالطليعة
لن رايب القناص في دوّ خال
يا راكبة ان ودك تزيعة
اوصيك لا ترخي عليه الحبال
تلفي على الشيخان زلم سجيعة
زلم تلقاهم بالمجالس تقال^(١)

(١) المشاحي السريعة : الدروب الطويلة ، تلدعت : تعودت ، تطرا : يظهر عليها ، رايب القناص : القناص الباحث ، تلفي : تقدم ، الشيخان : الشيوخ ، زلم سجيعة : رجال كرم ، تلقاهم بالمجالس

يريد الفارس أن يتزل ضيفاً على شيوخ كرام ، "تقال في مجالسهم" ، سديدي الرأي ، أصحاب سؤدد . وهنا تبرز حاجة ملحّة في أن يكون المركوب جواداً أصيلاً ، يتناسب وحال الضيف والمضيف معا . ويعرض الشاعر صورة للجواد السريع الذي يقطع مسافات الصحراء البعيدة للوصول لمبتغاه . أن من صفات هذا الجواد " الجفال " ، وهو رد فعل الجواد الفوري لأية حركة يحس بها ، أو حتى أي خيال يراه . أنه سليم الحواس . ولم يكف الشاعر بهذه الصورة الخيرية التي قد تكون صادقة ، وقد يكون صدقها محل شك ، فأضاف أن جواده مثل غزال " جفل وهرب من قناصه في بيئة خالية" .

ويكمل الرسم قائلاً : إن أردت أن يظل هذا الجواد سائراً بجذ وبلا توقف فما عليك إلا أن تقرب سير لجامه منك ، وإن أردت التوقف فارخ حباله وهذا ما قرره المتنبي في قوله : -

شقت به الظلماء أدنى عنانه فيطغى واريخه مراراً فيلعب⁽¹⁾

أن الألفاظ التي رسمت بها هذه اللوحة ألوان تدل على السرعة ، وتوحي بما فلتأمل المشاحي السريعة (طرق البادية اللامتناهية) ، الجفال ، الغزال ، أشرف ، قناص ، تزيعه (تسيره بسرعة) ، لا ترخي الحبال (بل ابق قابضاً عليها) ، ولهذا وفق الشاعر في اختيار ألفاظه الموحية بسرعة جواده ، وبدا هذا الجواد للمتلقي وكأنه يريد أن يقفز من لوحته التي رسمها الشاعر .

والرحلة نفسها يقطعها الشاعر " خليل الوحيدي " على متن جواد أشقر ، شامخ المتن ، يتابع السير ليل نهار بلا كلل . إن لكز الفارس بالركاب أو بكعبه جنب الجواد ، قفز كأنه فرخ نعام فر من مكمنه ، وليس صعباً على جواد يتمتع بهذه الصفات أن يدي المسافات الصحراوية بعضها من بعض . ويصل الفارس مضيفه الكريم الذي يتشوق كل إنسان لرؤيته ، وحتى العذارى تمنى أن تلمحه : -

يا راكب على الى مداني قفاره أشقر شراري شامخ المتن نايبه

(1) المتنبي ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 466 .

اركب عليه واقديه ليله ونهاره يقطع بك الرضان والدو يطويه
 إن حس لرات الكعب فز غارة فرخ النعام لوح حطم فعاليه
 يلقي على قزم شوق العذاره يعرف شكاي وشكاويه⁽¹⁾
 ويبدو أن اللون الأشقر في الجواد محب لدى الأعراب منذ القدم يقول المتنبي :
 ولو كان يوم وغى قائما للباه سيفي والأشقر⁽²⁾
 وبعد أن قدم لنا الشاعر اوصاف جواده ، ووصل " ملفاه " بدأ بوصف الحبيبة ،
 متخذاً من وصف الجواد أرضية صلبة ينحت عليها تمثالاً جميلاً للحبيبة : -
 يا ونّي ونة حبيب المهارة راعيه بالركابات في الجنب كاويه
 أبو خديد زايد في شقاره والعين سودا وغامق الرمش غاطيه
 أبو نهد وكيف بيض الحباري وبيض الحباري يوم ترقد تغاطيه
 أرى أن الشاعر الشعبي قد وفق في ربط وصف الفرس بوصفه للحبيبة .
 فوصف الحبيبة متكأً في وصفها على الفرس ، بعد أن توقف عند مضيفه وشكا له
 همومه . واستطاع الشاعر أن يربط الوصفين بتوظيفه اللون الأشقر الذي رسم به الفرس
 وخذ الحبيبة . ولك يكن انتقال الشاعر من الفرس إلى الحبيبة مفاجئاً بل مهد لذلك
 بيت جمع الحبيين معا (الفرس والمرأة) ، فهو يئن نتيجة حبه ، كما يئن فرس لكرها
 فارسها في جنبها :

ياونّي ونة حبيب المهارة راعية بالركابات في الجنب كاويه⁽³⁾
 وفي رحلة أخرى للشاعر نفسه ، نراه فيها لا " يلقي " على أحد ، ولا يتوقف
 عند مضيف ، بل يسير مباشرة للحبيبة ويبدأ في وصف محاسنها . وفرسه هذه
 المرة : طويلة القفز تقربه من المحبوب بسرعة ، وبذلك تقرب أوقات الفرح

(1) الي : الذي ، مداني قفاره : مقرب لمسافته ، شامخ المتن نابيه : مرتفع الظهر ، اقيه ليله ونهاره : أسير عليه ليل
 نهار فلا يكل ، الرضان : السهول الواسعة ، الدو يطويه : يغييه الخلاء الواسع بعد أن يقطعه ، لرات : ضربت خفيفة
 ، فز غارة : انطلق مخيراً ن حطم فعاليه : فر من مكمنه (عشه) ، يلقي : ينزل ضيفا ، قزم : شخص كريم ، شيخ

(2) المتنبي ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 354 .

(3) حبيب المهارة : محب للخيل .

والسعادة لأنها تجتمع بالحجوب . ومما يمكنها من السير السريع سيقانها الرفيعة اللامعة والتي تبدو " زي لف السجارة " ، ويقول أن الناس يحسدونه على امتلاكه لهذا الجواد :

يجري بأيدين الفوارق	حصان هزيت ركابه
سيقانه زي الكهرمان	واحد بيلوم أصحابه
صلبه زي لف السقارة	ويقرب للعمر أسبابه ⁽¹⁾

وإذا انتقلنا إلى الشاعر " عبد القادر الهباهبة " ، وجدنا أن تجربته مع الجواد والرحلة ، تتحول من تجربة ذاتية إلى أخرى غيرية ، فلا يمتطي الشاعر جواداً ويقطع به الفيافي ، ويصفه . بل يصف الجواد وقد امتطاه غيره ، ويطلب الشاعر من الفارس أن يبلغ سلامه وتحياته لصديقه " أبو سامر " فهو رجل شهيم ، وحلي الرجال وكرمها : - يار راكب إلى محفله بالدلال فرسا سريع إن ردت يبعد مناجيك قم يا هداك الله وصل مقال ليم شهما أن لفيته يحييك تمثل الفرس في هذه المقطوعة " مراسلا أو بمعنى آخر حاملا للأخبار موصلا لها ، وناقلا للسلام والتحية ، معمقة بذلك أواصر الحب والمودة بين الأصدقاء ن هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فقد كشف الشاعر عن مؤهلات هذه الفرس التي يمكنها القيام بمهمة " المرسال " . إنها فرس مدللة ، سريعة الخطو ، بعد ذلك رسم الشاعر صورة لممدوحه ، فهو شهيم يحبي الرجال ويحترمهم ويكرمهم وهو خير الرجال وأنبليهم . ويظهر هذا الاستخدام الوظيفي للفرس في شعر براك أبو تايه ، فقد حمل الشاعر الفرس والفارس " جواباً " لصديقه الشاعر " محمود البطوش " *

(1) يجري بأيدين الفوارق : طويل الفلز ، الكهرمان : من المعادن اللامعة ، واحد بيلوم أصحابه : يحسده الناس على امتلاك الجواد ، السقارة : السجارة .

* نظم الشاعر براك داغش أبو تايه قصائد عديدة يتحسر فيها على منطقة (الطبيق) ، والتي منع من دخولها بعد تخلي الأردن عنها للملكة العربية السعودية حيث كانت تلك المنطقة مرتعاً لأغنامه وميداناً لعربان التوايه في مواسم الصيد والربيع ، وكان الشاعر محمود البطوش قد أرمِلَ قصيدة للشاعر أبو تايه ، يلومه فيها على تعلقه بقطعة من الصحراء ويدعوه فيها للقُدوم لدير الكرك حيث العشب والماء والزرع ، فردد براك بقصيدة طويلة ، هذه الأبيات مقدمتها .

وطلب من الفارس يقرئ البطوش سلامة ، ويشرح له اوضاعه المؤلمة ويقول أبو تايه:-

ياراكباً من عندنا فوق مطواع أمه أصيلة ودربوها صعيدي
حر إمصفي لا مشي بقرط الباع حلو هزيله مع صحاصيج ريدي
الي عليه من الهواجس ملتاغ معه جوابي يوصله لا سديدي
سلم على محمود واشرح له أوضاع قافه جرح للقلب جرحا مجيدي
استخدم الشاعر في وصف فرسه صيغة المبالغة " مطواع " ، دلالة على العلاقة الحميمة التي تربطه بها ، " فهي لا ترد له طلبا " ، إضافة إلى إنها حرة أصيلة ، سريعة الجري (تقرط: تقضم الفياقي والقفار) ، جميلة المنظر ، هزيلة لسرعتها وكثرة جريها .

(2) الخيل مركوب الفارس : -

وهنا يظهر الشعر الشعبي مكانة الفارس ومترلته ، ولا يتوقف عند أوصاف الفرس الجسدية والمعنوية ، بقدر ما يتخذها منصة يقول الشاعر من عليها " أنا فارس مقدم " . والفروسية في البادية تجسد كل المعاني الأخلاقية والجسدية التي يعتز البدوي بها ويتغنى . فالفروسية تضم تحت لوائها قوة الفارس ، وصلابة جأشه وشكيمته ، كما أنها تعكس نبلة وكرمه وشهامته وسداد رأيه . من هنا كان " أعز مكان في الدنيا سرج سابح " ومن هنا جاء تعلق أبصار البدوي بهذا المكان المثالي ، يقول مخلد الزوايدة : -

أناها بالشعر في حروة الصيف⁽¹⁾ بين القلم والسيف والطرس والخيل
فارس نهار الكون نازي عن الحيف يكر روحه بين صفق المصاقل
يصرخ الشاعر بأعلى صوته " أناها " ويعلن للملأ: أنه فارس مغوار في أشد المواقف والأزمات (حروة الصيف) ، وفي الوقت نفسه فهو فارس فكر ، سديد الرأي ممتلكا ناصية الأخلاق الحميدة .

وخير جليس في الزمان كتب

" من قول المتنبي : أعز مكان في الدنيا سرج سابح
(1) حروة الصيف : إقباله .

يسرد الشاعر كل هذه الصفات الحميدة معلنا فروسيته ، في حين يمر مرا سريعا على ذكر الخيل بدون أي تجسيد وصفي لها ، غير أنها تظل " أعز مكان في الدنيا " وبدونها تنتفي فروسية الشاعر .

ولعمري أن المتنبي كان أعمق معنى من فارسنا الشعبي ، وأكثر توفيقاً عندما جرد من نفسه فارسا في الليل : -

الخيال والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم⁽¹⁾
ففي الليل وحشة ورهبة ومفاجآت أكثر من النهار ذي العنين . وبهذا تتعاضم فروسية المتنبي على فروسية الشاعر الشعبي " فارس النهار " .
ويركب الشيخ " خليل فرهود " جواده " مشهورا " وقت الضحى ، ويكر به مسرعا فتطير أفرار القطا فرعه من أعشائها : -

لركب على مشهور مع رايق الضحى وفطط فرخ القطا من معاليه⁽²⁾
أنه فارس مخوف الجناح ، من اللحظة التي امتطى فيها صهوة جواده . إن هذه المقاطع الشعرية شواهد على استخدام الجواد لأغراض تتعلق بالفروسية باستخدام الجواد يساعد على الظهور بمظهر الغنى والجاه والقدر ، فالضيف يسافر على فرسه الأصيلة موحيا بأنه أهل للاحترام .⁽³⁾

3) الخيل آلة حرب : -

يروى الشاعر " فرج أبو ختلة " مما سمعه ، وحفظه من مآثورات النقب : -
والخيال تنخي الخيل في ساعة الضيق
يوم لزهها وسع الخلال للمضيق
الله على شرشوح ذود مشافيق
شقر ووضح من بياضهن لهيق
وأن عطفن حيراهم عالملاحيق
ما أحسن رطن الخلف من بعد فيق

(1) المتنبي ، ديوانه ، مصدر سابق / ص 322 .

(2) ورد هذا البيت أيضا في كتاب " القضاء بين البدو " ، عارف العارف ، مطبعة بيت المقدس ، ط 1932 ، ص 183 ، ويبدو أنه من مآثورات البادية .

(3) مرجحان ، نمر ، الموسوعة الفلكلورية ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 143

الواه عالكحيلة من طوال المساحيق

قبها ضامر تقول ذيب مويق

الذيل راس معزبات الشقاشيق

والصدر باب ووافي بسالالحيق

ولو سمطوا سموطها والتعاليق

تمرق على جرد الأصايل مويق

شرها حليب مقطفات الزبانيق

وحب الشعير محض لها عليق⁽¹⁾

تحدث هذه اللوحة الشعرية عن "كونة" من "كونات" العرب . معركة شرسه كانت "الخيّل فيها تنخي الخيل" ، أي تقوي بعضها معنويات بعضها الآخر .. في جو حماسي .. وتلحق الخيول عدوها ، ويا حسن حظ من تركه خلفها من الأعداء حيا . وتبدو الخيل في المعركة آلتها الوحيدة الفتاكة ، وهي سبب النصر أو الهزيمة ، ولهذا فإنه لا بد للشاعر الا وأن يسلط الضوء على كل حركة من حركاتها ، وكل صفة من صفاتها .

فهي مشافيق (تجفل لأدنى حركة) ومستعدة لرد أي فعل ، شقراء فيها بياض واضح كناية عن أصالتها ، هزيلة براها الركض ، كأما ذئاب هزيلة ، لا تكل من تسلق الجبال الشاهقة ، وشبه الشاعر ذيلها براس الحية ، وهذا يذكرنا بتشبيه المتنبّي لذيل فرسه بذيل العقرب . والحية والعقرب من ذوات السموم الفتاكة ، ويليق المقام بذكرها في الحروب والمعارك ، يقول المتنبّي : -

"شوائل تشوال العقارب بالقنا لها مرح من تحته وصهيل⁽²⁾

(1) تنخي : تستحث ، ماعة الضيق : وقت المعركة ، لزاها : وضعها في مكان الأزمة ، الله : استخدم لفظة الجلالة للدلالة على التعجب والامتنان ، شرشوح : جواد أصيل ، مشافيق : خائفة مضطربة ، لهيق : لمعان ، حيرانهن : رقابهن ، الملاحيق : العدو الهارب المهزوم ، وطن الخلف : كلام المحاربين التي تركتها الجياد خلفها ، من بعد فيق : من بعد تقدير نتائج المعركة ، الواه : اسم فعل مضارع بمعنى قناه ، الكحيلة : الفرس الأصيلة ، طول المساحيق : الجبال العالية ، قبها : بطنها ، ذيب مويق : ذيب هزيل ، معزبات الشقاشيق : ساكنات الشقاشيق ، كناية عن الأقاعي ، السموط : جمع سماط وهو مفرش يوضع عليه الأكل ، تمرق : تمر ، حليب مقطفات الزبانيق : حليب صاف لذيق .
(2) المتنبّي ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 356 .

وكما أن هذه الجياد سريعة في العدو ، فإنها سريعة في تناول وجباتها أيضاً ، وهذا ما ينم عن كرمها وأصالتها . ودللها أصحابها حتى أصبح الحليب المصفى سقياها ، والشعير المحمص عليها . وقد ورد ذكر لهذه الوجبات في تراثنا العربي القديم ، وذلك في مواطن إعزاز الإبل وإكرامها . يقول عترة مخاطبا زوجته :-

إن الغبوق له وأنت مسوءة فتأوهي ما شئت وتحوي⁽¹⁾
ويقول كعب بن مالك رضي الله عنه :-

" ونزائعاً مثل السراح نماها علف الشعير وجزة المقضاب⁽²⁾

وإذا اتفق شاعر الإسلام " كعب بن مالك " والشاعر الشعبي " أبو ختله " في تشبيه خيولهما بالذئاب السريعة ، فإننا نرى الشاعر " داعس أبو كف " قد اتخذ مسلكاً آخر في التشبيه ، إذ شبه جواده الأصيل في المعركة بالنعامة . وإن اختلف المشبه به فإن المعنى المراد ظل موحياً بالسرعة الفائقة لجواد .
يقول " أبو كف " :-

أشبه نعام بالتواصيف والزين ما كادهن هل الترج والسنود⁽³⁾

وبرر الشاعر تشبيه جواده بالنعامة فيقول إن النعامة لا تعوقها طرق وعرة وتستطيع تسلق أعالي الجبال بخفة وسهولة .

وهذا يذكرنا بنعامة الحارث بن عباد ودورها في حرب البسوس ، حين طلب الحارث من صاحبيه تقريب رسن فرسه (النعامة) منه ، وبقي يصر على تقريب هذا الرسن بشكل متكرر ، معلناً بذلك اشتراكه في تلك الحرب الشعواء :-

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب داحس عن حيال
قربا مربط النعامة مني ليس قولي يراد بل فعالي⁽⁴⁾

(1) الحوفي ، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مرجع سابق ، ص 92

(2) كعب بن مالك ، ديوانه ، تحقيق د . سامي العاني ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ط 1966 ، ص 42.

(3) هل الترج والسنود : صعود المرتفعات والمشى في الطرق الوعرة ، كادهن : عرقلهن

(4) موسوعة الشعر العربي ، قصيدة الحارث بن عباد ، شرح إيليا حلوي ومطاع صفدي ، شركة خياط للكتب ، بيروت ، لبنان ، مجلد 3 ص 133

وتشدنا هذه الخيول المحاربة إلى عز العرب ومجدهم ، إلى أزمان كان العرب فيها سادة . وفي الوقت الذي نقف فيه وجها لوجه أمام أزماتنا الحالية ، ومواطن الضعف والهوان التي نعيشها . وفي هذه المعاني يستحث الشاعر مصطفى الخشمان أمته العربية للنهوض والثورة ، مذكرا إياها بأيام عزها وكرامتها : -

يا سامعين الصوت انتو وين اللي غشونا عسى غشاهم بين
نسبوا العرب أيام عزهم وخیولنا فی الأندلس والصین⁽¹⁾
ويستهض الشاعر البطل صلاح الدين الأيوبي من قهره ، مذكرا بأمجاده وانتصاراته ، ويطلب منه أن يسرج جواده ، ويجهز عتاده عليه ويخلص الأمة مما فيها من هو أن يقول الخشمان : -

وأسرج حصانك يا صلاح الدين زف الفوارس للمعارك زف
وفي التراث الشعبي الفلسطيني ، كثيرا ما سمعنا مثل هذه المعاني ، التي تدور حول " الفرس " والتي وطأت الأرض تحت أقدام الأجداد . وسمعنا الحادي يعني " لندن مرابط خيولنا " ، إشارة لدور الإنجليز القذر في مأساة الشعب الفلسطيني ، وتشريده عن أرضه ، وتمكين الصهيونية منها . وفي هذا الغناء ما يعزز الروح المعنوية في الأمة ، ويخلق لديها الأمل في التخلص من برائن الاستعمار ، والعمل على تحرير بلادها من شياطين الصهيونية .

إن هذه الخيول التي كرمها العربي لعبت دورا مهما في الحروب ، وما زال يظهر دورها في الشعر الشعبي ، فهي تحمي فارسها من الأعداء وتعينه على النصر كما قال عمرو بن كلثوم : -

وتحمينا غداة الروع جرد عرفن لنا نقائد^{*} وافتلينا
وردن دوارعا وخرجن شعنا كأمثال الرصائع قد بلينا⁽²⁾

(1) انتو : انتم ، وين : أين ، غشونا : استعمرنا ، عسى غشاهم بين : يدعو على العدو بالدمار ، ينسوا : نسوا ، لم يتذكروا .

* نقائد : فرس تتخذ من العدو ، افتلينا : اختبرناها واختبرناها ، شعنا : مغبرة .

(2) عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 67

4) الخيل عنوان للأصل ونقاء السلالة : -

وفي كل الأحوال لا يمكن للبدوي إلا أن يمتطي جواداً أصيلاً نقي السلالة .
والجواد بلا أصل لا يستحق من البدوي ثناء ولا غناء ولا وصفا .
فالجواد الأصيل يوصل صاحبه للممدوح الكريم ، ويحمل رسائله لصديقه الحبيب ،
وينتصر به على الأعداء في المعارك .

إن تركيز البدوي على " أصالة حصانه " ، يعتبر انعكاساً لمفاهيم مجتمع القبيلة ،
التي تركز على الآصرة الدموية بن أفرادها ، ونقاء هذه الآصرة ، إضافة لذلك فإن
الحصان الأصيل يوحى بفروسية صاحبه وكرمه . وغني عن القول إن الفروسية والكرم
تمثلان قاعدة أساسية ترتكز عليها الحياة الاجتماعية البدوية . ولهذا نرى البدوي يرث
الخيول النقية من آبائه ، ويحافظ على سلالتها ، ليورثها أبناءه من بعده كما يقول عمرو
ابن كلثوم :

" ورثناهن عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بيننا⁽¹⁾

ولا تقتصر مسيرة التأصيل عند العرب على الخيول ، بل تمتد لتشمل مثل القبيلة
وقيمها ، وصفاء سلالتها . فهم يرثون هذه الأسس الاجتماعية كإرثاً عن كابر ،
وينقلونها للأبناء بكل صدق وأمانة . وقد اشتهر العرب بالمحافظة على أنساب خيولهم -
كما حافظوا على أنسابهم - وحرصوا على عدم الخلط بين سلالاتها ، حتى أضحت
الخيول علماً دالاً على الأصالة ، " ففي المثل الشعبي مثل الفرس الأصيلة كل ما طال
المشوار بتجود ، وذلك بعكس " " القديش " الذي يسرع في أول المشوار ثم يتراخى .
ويقولون عن الرجل الذي تخلى عن طبعه بأنه قديش ، فالقديش معروف بقدرته على
حمل الأثقال وجر الحراث لكنه لا يجاري الفرس الأصيلة في السباق⁽²⁾ ، وينهون عن
التباهي بامتطائه

(1) عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 68

(2) مراحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور ، مرجع سابق ، ج 1 ، ص 230

والاعتزاز به ، فمهما دللته وأكرمته فسيظل " قديشا " ولا يمكنه ان يلحق " بالاصايل " من الخيول .

يقول سلمان الصواحين :-

اوصيك لا تبجح على متن خوار ما يعجبك لئلا تزيد العليق
لقد أمدت الخيل بصفاء سلالتها ونقاها الثقافة الشعبية بالكثير من
المعاني والمفاهيم ، حتى شبهوا المرأة الخلقة الوفية ، ذات الطباع الحسنة ،
العائلة المرموقة بالفرس الأصيلة ، ونصحوا بالزواج منها ، لأنها تورث
خلالها الحميدة لولدها :-

ترى الناس أنواع واسال مجرب بنت الكحيله تتعرف من رسنها
ان المتأمل في هذا الحيوان ، ودوره في حياة البادية يستطيع ان يتخيل
عظمته وهيبته ، تلك العظمة التي استمد منها البدوي الكثير من قيمه ومفاهيمه
الأساسية التي يعتز بها . ومن هنا تولد طموح العربي في امتلاك الجواد
الأصيل أو الفرس الأصيلة لكي يقوم بتكريمه وتدليله والتباهي به . فهذا هو
الشاعر " إبراهيم جراده " يتمنى من جملة ما يتمناه:-

مهرة تلحق الخيل بهجار وبندقية بالكف ترمي بعيد .

الأغنام في الشعر الشعبي في النقب

والأغنام نوعان : ضأن وماعر . ويفضل البدو في النقب - وكما هي
عادة العرب منذ القدم - الضأن على الماعز وذلك لان " صوفه أغلى وأثمن ،
من الشعر ، ولبنه أطيب وأكثر و أدهن ، واحمل للبرد والجمد وللريح
والمطر" (1) .

(1) الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، المجلد الخامس ، ص ٤٥٦ .

وتمثل الأغنام في النقب زاوية اقتصادية مركزية ، يتأسس عليها الإنتاج الاقتصادي برمته . ومن هذه الزاوية الاقتصادية يحاول المستعمر الصهيوني - وبشكل مستمر - الضغط على أهل النقب ، من خلال منعهم دخول مراعيهم ، ومصادرتها وتحديد مناطق تجوالهم بحثاً عن كلاً ، ولا تتورع " عصابة الدورية الخضراء " ، وتحت شعار حماية الطبيعة ومراقبة المناطق المفتوحة من إطلاق النار وأعمال الفتك والقتل في الأغنام التي ترعى في مناطق يحظر على العرب دخولها⁽¹⁾ . والأنكى من ذلك أن أصحاب "الحلال" يستأجرون مراعي أغنامهم من الحكومة الإسرائيلية وتقوم الحكومة بابتزازهم مادياً ومعنوياً لقاء السماح لهم بالاستئجار .

ويصور الشاعر الشعبي " سلطان الصواحين " هذا الوضع المؤلم ، فيرسم صورة راع لغنمه ، بلغ به الحال أن يكون غريباً في وطنه ، فليس له صديق غير " معزاه " ، ويحاول هذا الراعي أن يظل وحيداً - إلا مع غنمه - بعيداً عن أي اتهام يمس " أمن الدولة " من خلال التناول على (مراعيها) :

قبعه على راسه من غزيرات الأمطار

ماله غير معزاه حي وصديق

يمرح بمن ويفرح لغزيرات الأرار

متقياته عن البغيض وصديق

ثم يحاول الشاعر الإفصاح عن سبب هذا الوضع المأساوي ، فلا يستطيع التصريح ، ولكنه يرمز له بالذئب ، فهو الأكثر ملاءمة للفتك بالأغنام : -

وماله عدو غير ذيب الادار يمضى عقاب الليل يزقق زعيق

⁽¹⁾ منظمة إرهابية لبث الذعر بين السكان لإجبارهم على مغادرة المنطقة . وأعلن عن إشهارها رسمياً في تموز عام 1976 ، وبهدف إعلان هو حماية الطبيعة ، وهذه الدورية عبارة عن فرق متحركة ومسلحة تجوب أنحاء النقب بمسارات الجيب العسكرية ، ويضع جنودها على رؤوسهم القبعات الخضراء ، ويقومون بمطاردة البدر وحشرهم في منطقة واحدة لتسهيل مهمة الاستيلاء على الأراضي ، ومصادرة المياه ، وقد اشتهرت هذه الدورية بسمعة سيئة للغاية، وشاعت عنها قصص التعذيب الوحشي والتدمير العشوائي لكافة الممتلكات .

⁽²⁾ الاغا ، نبيل خالد ، مدائن فلسطين ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1993 ص 407

ويعاني الشاعر "مصطفى الخشمان" نتيجة منع الأهل عن مراعيهم وعدم السماح لهم بدخولها ، ويتحسر على "إمريج" الأردنية والتي ضمتها المملكة العربية السعودية لأراضيها باتفاق مع الأردن . ومنعت الصعودية عشائر التياها ، وهم أهل "إمريج" الأصليون من دخولها . ويرسم الشاعر صورة للوطن وكأنه سجن كبير يمنع نزلاءه من مغادرته ، ويشبهه (بحوطة عبيد) : -

نار قلبي كيف امريج تنباع
لا يا خسارة مثل شاة الفريدي
ومن وين لشيأنا نجيب مرباع
هذا الوطن خلوه حوطة عبيدي⁽¹⁾
وإذا كان هذا الشعر الشعبي يظهر معاناة " الغنامة " في تحريم المراعي عليهم
جراء الاتفاقات السياسية ، فإنه يظهر أيضا قسما وافرا من قيمة الكرم التي يعتز بها
البدوي على الدوام ، فما زالت الأغنام تذبح ، وتقدم لحومها إكراما للضيوف ، ودلالة
على كرم " المعزين " ، وهو ما عبر عنه الشاعر " محمد الحمامدة " ، إذ شبه مقدمه
وقومه الفرسان على فرسان آخرين (نشامي) (بلفيه الصقور متدليات المخاليب) ،
وما أن وصل القوم مضيفيهم حتى ذبحت الذبائح وانتشرت رائحة الشواء في الفضاء ،
وظلت لحوم الظأن مصلوبة على الأعواد تنتظر شوائها حتى شبع الجميع من لحمها :-

ع فريق نشامي حنا لفينا
لفية الصقور مدليات المخاليب
خلي الشحم له فحفحة في يدينا
وخلي جزور الضان عندنا مصاليب⁽²⁾
وأرى أن الشاعر قد وفق في توظيف تشبيه مقدمه " بلفيه الصقور مدليات
المخاليب " لأن الصقور من أكثر الطيور اقتراسا للطير وحبا للحمها .
ولا يجد الشاعر " الخشمان " أفضل من " المنسف والثريد " ليكني بهما عن
كرم عشائر التياها : -

إمرعى غنمهم يجلبك حسن مرباع
تلقى المناسف باللحم والثريدي

(1) الغنامة : مالكي الأغنام ، المعزين : صاحب الدار ، مستقبل الضيوف .

(2) ع فريق : على قبيلة ، نشامي : فرسان ، كرماء ، حنا : نحن ، لفينا : نزلنا ضيوفا ، خلي : دع ، فحفحة : رائحة
زكية ، مصاليب : معلقة ،

وتدقق شاعرية " الخشمان " في وصفه الرائع للذيذ ما تتجده الأغنام من سمن وزبد ،
وتحس وأنت تتأمل شعره ، وكأنك تشاركه وجبته الدسمة اللذيذة المكونة من سمن
وزبد، إضافة لخبز الصاج والطابون : -

محلا الخبز بالصاج والطابون والسمن لصفر بالمرحون
والزبدة في المزبد عليها القيد وما بتتوكل إلا على المضمون⁽¹⁾
والمنسف تلك الأكلة الشعبية البدوية ، لا تقوم إلا على متوج الأغنام :
اللحوم، والسمن ، واللبن ، وهي دوال على الكرم " ولعل فيما قاله أحد بدو سيناء ما
يدل على ذلك ، حين قرر أن الزعامة والشيخة ليست بلبس الجوخ وارتداء العباءة بل
في صب القهوة " وجر المناسف أيام الفقر والمحل والجدب :

الشيخة ما هي بالجوخة ولا بكبر العباية يا بنيه
الشيخة صب القهاوي زي العيون المرويه
الشيخة جر المناسف في السنين الرديه⁽¹⁾

وتظل الشياه تذبح ، إعلاء لمزلة الفرد والقبيلة ، ولو لن يجد البدوي غير
" منيحة عياله " فإنه يذبحها تكريماً لضيفه ، ولا يتعلل بفقره ، وهذا ما يقوله الشاعر
خالد الصانع :

أول قراهم طيخة في دلالة مع ثمر غرس يقدم جديدي
من بعدها يذبح " منيحة " عياله لو هو فقير كنه راعي رصيدي

⁽¹⁾ محلا : ما أحلى ، وضئيراً ما استهات الأغنية الشعبية الفلسطينية بهذه اللفظة ، مثل : محلا القعدة على الميه ومحلا
الربيع ومحلا الثورة الشعبية أضمر الجميع ، الصاج : قطعة محدبة رقيقة من الحديد ، يخبز عليها خبز يسمى " الشراك
" ، الطابون : فرن بدائي طيني ، ما زال مستعملاً في بعض القرى والأرياف ، المرو : جلد حيوان صغير يذبح لحفظ
السمن ، والجلد الكبير يسمى " مدنه " (أي وعاء لحفظ السمن البلدي) ، المزبد : جلد حيوان صغير يشبه المرو
ولكنه مخصص لحفظ الزبدة . القيد : لا يجوز أكل الزبدة عند أول الإنتاج ، وينتظر مدة أسبوع أو أكثر ، حتى تتجمع
كمية كبيرة منها ، وتقدم بعد ذلك للضيوف ، والأهل ، وفي ليلة السماح بالأكل منها ، يقام شبه احتفال عائلي ، إذ يطيبون
عشاءهم بالزبدة فالقيد إذن : مدة منع أكل الزبدة . والمضمون : أي بعد فك القيد .
الكماي ، شفيق ، الشعر عند البنو ، مكتبة الإرشاد ، بغداد ، ط د ت ، ص 36

وتذكرنا أبيات القرى هذه ، بلوحة رسمها الخطيئة ومطلعها : -

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرمل ببذاء لم يعرف بها ساكن رسماً⁽¹⁾
وتضمنت هذه اللوحة رجلاً فقيراً استضافه أحدهم . ولم يتعلل الرجل لضيافته
بفقره ، فقد هم بذبح ولده وتقديمه قرباناً لقيمة الكرم " وإن هو لم يذبح فتاه فقد هما " :-
أما فقير شاعرنا فقام بما تطلبه واجب الكرم ، إذ قدم لضيافته القهوة العربية ،
بعدها ذبح له " منوحة عياله " ، وهي الشاة الوحيدة الموجودة في البيت ، والتي تمثل
أمن عياله الغذائي . وبعد القيام " بالواجب " ظهر الفقير أمام ضيفه وكأنه يمتلك قطيعاً
كبيراً من الأغنام .

ويتمنى الشاعر " إبراهيم جرادة " ، أن يحوز مجداً مؤثلاً ، من خلال امتلاكه
لقطيع من الأغنام ، يعتني به رعاة كثيرون ، ويكون بوسعه تقديم لحومها - مؤشراً
الكرم - لضيوفه :

السابعة غنم برعيان كثار وجيب للضيفان لحم الغصيب
وبالرغم من هذه الإمكانيات الهائلة التي تقدمها الأغنام للمالكها وتجعل منهم
سادة كرماء ، إلا أننا نجد المرأة البدوية تفضل راعي الإبل على راعي الأغنام فتقول : -
يا راعي الغنم لا رعاك الله ما ريت راعي البعارين
راعي الغنم يا خفيه وشر عصاة الرعية⁽²⁾
وتدعو عليه بأن لا يرد الماء وأن يصيبه الرجاف والخوف فتقول : -
يا ريت راعي الغنم ما جا مناهلها يجيه عن درها رجاف واجفالي

(1) الخطيئة ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 272 .
" جاء في الموسوعة الفلكلورية ، " المنوحة " هي البقرة ، وذلك لكثرة ما تمنح الإنسان من لبن وجلد ولحم وجهه في
الحرارة " ويمكن أن تكون شاة بشرط قصر نتاجها على العائلة وجاء في شعر جعبياء الأشجعي في عنز كان منحها
رجلاً من بني بيم بن معاوية :
أمولى بني تيم البست مؤدياً مينحتا فيما تؤدي المنائح
(2) سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور ، مرجع سابق ، ج 2 ص 402 .

وترد البدوية سبب ذلك إلى أن الأغنام تقصر عمر الإنسان بينما تطيلها الإبل ، وهذا ما ذكره " علي الدسم " في " شيخة القصيد " : -

راعي الغنم يشيب من قبل شبية والبل معزة تبعد الهم والشيب⁽¹⁾
أما الدكور " يحيى جبر " ، فيعزو سبب كراهية الأعرابية راعي الغنم ، وتفضيلها راعي الإبل عليه ، لأسباب اقتصادية بحتة فيقول " وما نرى ذلك إلا لأن أثمان الإبل أغلى ، وهذا يفسر دعوتهم بالشر على من يكرهون بقولهم : " عساك ما تحلب إلا وأنت قاعد ، أي لا يكون حلالك إبلا تحلبها واقفا ، بل غنما تحلبها وأنت قاعد أو مقرص " .⁽²⁾

ولأهمية الدور الذي تلعبه الأغنام في حياة البادية اقتصاديا واجتماعيا ، ونتيجة لاعتراف الإنسان بهذا الدور ، فقد استعير كثير من الألفاظ الدالة على الأغنام لتكون علما على الإنسان . (فقد كني عن الزوجة بالنعجة ، وهذا ما يفهم من قوله تعالى " ان أخي هذا له تسع وتسعون نعجة " ، ولم يقل أن أخي له تسع وتسعون عذرا لأن الناس يقولون كيف النعجة ؟ يريدون الزوجة . وسموها كبشة وكبيشة اشتقاقا من الكبش (ذكر الضأن) ، قال أبو قرودة : -

كبشة إذا حاولت أن تبين تسبق الدمع مني استباقا
وقامت تريق غداة الفراق كشخا لطيفا وفخذا وساقا
وقالوا في مدح الرجل وتفضيله " إنما فلان كبش من الكباش " وإذا هجوه قالوا هو " تيس من التيوس " وإذا أرادوا الغاية في الغباوة قالوا " ما هو إلا تيس في سفينة " .⁽³⁾

الحيوان البري في شعر النقب الشعبي

كما حفل الشعر الشعبي في النقب بذكر الحيوانات المستأنسة ، فأبرز دورها في حياة البادية ، وتعنى بها ، فإنه لم يتجاهل الحيوان البري . ولم يتجاهله الصحراء موئل هائل لهذه الحيوانات ، ففيها الذئب والضبع ،

(1) العزيمي ، روكس ، معلمة التراث ، مرجع سابق ، ج 4 ، ص 368 .
(2) د. جبر ، يحيى ، الإبل في الشعر الشعبي ، مرجع سابق ، ص 10 .
(3) الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، المجلد الخامس ، ص 456 ، وما بعدها .

والأعشى ، والعقرب وغيرها . ومن الطيور : الغراب والبوم والصقر والنعامة وغيرها .

غير اني لا أكون مجانباً للحقيقة ان قلت ان استرسال الشاعر في ذكر حيوانه الأليف ، كان أكثر وأغزر من ذكر للحيوان البري . وهذا راجع الى تباين علاقته مع النوعين ، فحيوان يراه كل وقته ويعتني به ، ليس كآخر يراه صدفة ودون ميعاد .

سأستعرض ما تطرق إليه الشعر الشعبي في النقب من هذه الحيوانات .

(١) الذئب :-

الذئب من الحيوانات المعروفة تاريخياً في البوادي العربية ودلينا على ذلك ظهوره في كثير من تجارب السلف الشعرية .. يصفه صاحب المستطرف فيقول " الذئب حيوان معروف وكنيته أبو جعده وأبو جاعد وأبو نمامة ، لونه رمادي ، وهو من الحيوان الذي ينام بإحدى عينيه ويحرس بالأخرى حتى تمل ، فيغمضها ويفتح الأخرى ، كما قال بعض واصفيه :-

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع^(١) "

ويضيف "ابن عبد ربه" وصفاً آخر للذئب ، يتعلق بعدائته وحبه للدم فيقول " ووصفوه بمحبة الدم ، ويبلغ بطبعه ان يرى ذئباً مثله قد دمي فيثب عليه فيمزقه ، قال الشاعر :-

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم^(٢) "

ويظهر هذا الحيوان في شعر النقب الشعبي بصور مختلفة ، وأشكال متعددة ، وهذه الصور والأشكال تتناغم مع صورته التي ظهر فيها في تراثنا الأدبي التقليدي . فهو الذئب الرمادي الجارح ، عاشق الدم ، يحاربه البدوي في صحرائه لأنه يعتدي على غنمه ، وهذا ما عبر عنه الشاعر الدمان في

(١) الأبيهي ، المستطرف في كل فن مستطرف ، مصدر سابق ، ص ١٠٠ .

(٢) ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد عريان ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة ، ط ١ سنة

معرض حديثه عن عدائه المستحكم مع هذا الحيوان ، مظهرا ان محاربه هذا الحيوان والتصدي له من شيم الفارس وعاداته :-

وجاوبت ذيب يزعج الصوت بالثل عن العدى ضرب الطواري مشيمي والذيب لص أغنام وسارقها ، وبالتالي فهو عدو صاحبها ، يقول الصواحين :-
وماله عدو غير ذيب الا دار يمضي عقاب الليل يزعق زعيق فالراعي مرتاح البال مطمئن ، ولا يكدر صفو راحته الا عدوه الذئب ، يزعق ليلا ، ويهاجم أغنامه بغتة . ويوظف الشاعر "الخشمان" الذئب ليكني به عن الرجل المستغل ، ويقول مخاطبا صديقه هلالا :

الغله بوخذها طويل العمر واكبارنا قالوا بسيط الامر
والذيب ما خلا غنم يا هلال واحنا النشامي عالطفر والفقر⁽¹⁾

تحتوي هذه اللوحة صراعا طبقييا واضحا بين اربع فئات من الشعب :-
الأولى : فئة " طويل العمر " ، ممثلة للنظام الاقتصادي الاجتماعي القائم .
الثانية : " اكبارنا " ، ممثلة لفئة طبقية مهادنة للنظام ، متطفلة عليه .
الثالثة : " الذيب " ، ممثلة لفئة بزجوازية محتكرة ، همها استغلال الناس وجمع راس المال في يديها ، وبكل الوسائل المتاحة ، سواء أكانت هذه الوسائل مشروعة ام غير مشروعة .
الرابعة : " إحنا النشامي " : ممثلة للفئة المسحوقة الكادحة المستغلة وهي عوام الشعب ، تعتاش على الفتات ، وما تبقى لها الطبقات الثلاث الأولى من معاش .

ان الذئب في هذا الصراع يمثل أداة قمع الشعب اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ، مستمدا قوته من النظام القائم ، ومن فئة " كبارنا " ، فهو الذي يأكل ناتج الشعب ويبقيه طاويا ، والى ذلك يشير كثير من الأمثال الشعبية مثل " احرت وادرس لبطرس " ، ومن هذه الأمثال ما يميل للتوفيق بين مصالح الطبقة المستغلة (الذيب) والمستغلة (النشامي) مثل " لا يموت الذيب ولا تفنى الغنم " .

(1) الغلة : الناتج عموما ، ويطلق على ما ينتج من ارض أو حيوان ، بوخذها : يأخذها ، خلا : ترك احنا : نحن ، الطفر : الفقر .

ولا يقتصر الذئب في الشعر الشعبي على هذه الصورة ، حيث يظهر فيها عدوا للإنسان ، وسارقاً لأملكه ، ومستغلاً لقوته ومنتجاته ، ومحتكراً لها. بل يظهر هذا الأدب صوراً أخرى للذئب ، وربما كانت نقيضة لكل ما أسلفنا. فالذئب هو الشيخ الفارس ، الذي يستحق كل احترام وتقدير ، وتوسع له الأمكنة ، عندما يحل ضيفاً على قوم ، يقول "مخلد الزوايدة" مرحباً بالشيخ ابن مكتوم :-

أسعد ساعات العمر عند المعازيب ظيف مثل شرواك ما هو ردياً
شيخ ولد شيخ وذيب ولد ذيب من ساس ربع يشهد لهم كل حيا^(١)
وهذا الذيب (الشيخ الفارس) ، يتجمع حوله رجال أشاوس (سباع) يلبون كل طلباته كما يقول الخشمان :

وسلم على براك من حوله سباع ذيب الخلا والفيافي البعدي

ونلاحظ في هذا البيت ، ظهور السبع مسانداً للذيب في فروسيته وشجاعته. وذلك على نقيض ظهور الضبع^{*} مثال " النتن " والدناءة وسوء الخلق ، وهو ما عبر عنه " الخشمان " في منافحته عن وطنه بقوله ان الوطن ليس " رمة " يتحلقها الضباع ، بل ان رجالاً أشداء مستعدون للتضحية من أجله: -

ما هي طريحة عندها لمة ضباع هذي وراها رجال مثل الحديدي
ويعزز الشاعر " محمد الحمامدة " صورة الذئب الجميلة ، مكتباً به عن شيخ الشيوخ ، أو ما يسمونه " شيخ مشايخ " منطقة أو قبائل . ويتميز هذا

(١) المعازيب : المضيفين ، شرواك : يستخدم المتكلم هذا اللفظ ، وهو يحدث المخاطب عن شخص كريم ، حسن الخلق فيقول : " فلان شروى من عندي " أو شرواك ، بمعنى إن الرجل المذكور يشبه المخاطب في نبلة وكرمه وطيب خلقه .

* يظهر في هذا الشعر ، الغزال والمها أيضاً ، والغزلان ذات علاقة وثيقة بالبدو ، وقد سبق وأن درسنا ظهور الغزلان في شعر النقب في موضوع الغزل البدوي . الضبع : جاء في المستطرف " الضبع حيوان معروف ومن كناه أم عامر ومن طبعه حب لحم الأدمي ، حتى يقال انه ينش القبور ، وإذا مر بإنسان نائم حفر تحت رأسه ووثب عليه وبقر بطنه وشرب دمه " .
تتظر في ذلك المستطرف ، مصدر سابق ، جزء ١ ص ١٠٣ .

الشيخ بكل صفات السؤدد من كرم وفروسية ، وسداد في الرأي ، ويطلق عليه " الحمامة " مصطلح " ذيب القرابا " ، يقول الشاعر متألماً وحزيناً على ما وصل إليه حاله من ضعف وهوان : -

ومن عقب مانا ذيب القرابا واشد فوق الحيل ما شدها جذيع
امشي على رجلي وعظمي شظايا واقوم واقعد في البلاد الجراجيع⁽¹⁾
وينقل " الدماني " عواء الذئب المزعج ، الذي ينذر بالخوف ، والعداء ، ينقله من هذه المعاني الى معنى آخر حين يربط بين صوت الذئب وصوت " نجر " الممدوح ، وهو يدق بنه .. انه صوت يطرب السامع ، ينم عن الفرح والكرم ، وبهذه النقلة النوعية للصفة يتحول الذئب من حلقة العداء للإنسان الى دائرة مصالحته .

ضبيح نجره يوم جهز وقدها لجيج ذيب ملتقع في طنبيه⁽²⁾
ويذهب الشاعر " تيسير الذبابات " بهذه العلاقة التصالحية شأوا بعيدا ، حيث اتخذ الذئب صديقا مخلصا وفيا .. يحاوره ، ويبثه همومه وآلامه ، متكئا في ذلك على وحدة الحال بينه وبين الذئب ، فكلاهما غريب في أرضه وبين قومه ، يقول الشاعر :-

يا ذيب يالّي من المراقيب أراعيك	حالي كما حالك تصاريف وهموم
يا ذيب ضيعني سراب بصحاريك	مالي دليل الا مخايل ونجوم
يا ذيب داوي لي جروحي و أداويك	حتى نكمل درب اليوم مبهم
يا ذيب في صدفة انا اليوم ألاقبك	وأنا أعرف إنك من غثا القوم مظلوم
يا ذيب وقت الهم لا يجي فيك	وقت تقدم فيه على عقابها رخوم
يا ذيب خلّك دوم راحل خلّيك	رسم الشقا في دربنا صار مرسوم
يا ذيب سارت خطوتي مع خطاويك	خلنا نترافق بالمسيرة على الدوم
يا ذيب انا مناشدك يا ذيب وأرجيك	ودّي جوابك وان بقي عندك علوم
يا ذيب مرقّي الحر يرقّي به الديك	وشلون عقب العز هالحر مظلوم

⁽¹⁾ من عقب : من بعد ، ذيب القرابا : شيخ مشايخ ، البلاد الجراجيع : البلاد المقفرة

⁽²⁾ النجر : وعاء نحاسي أو خشبي يطحن فيه حب البن ، طنبيه : مكانه ، لجيج ذيب : عواؤه .

يا ذيب لو تطلب حياتي ترى افديك لانك وفي أوفى من حارس القوم
يا ذيب هون ودي اليوم اخاويك وأرحل عن سنين بها القلب موهوم

تمثل هذه اللوحة ، صورة مكثفة للشقاء والمعاناة ، وتعتبر ثمرة بالغة المقدرة في التعبير الجميل عن الجوع الاجتماعي وحالة الاغتراب التي يعاني منها الشاعر ، والتي بلغت أوجها في توصل الشاعر الذئب كي يتخذ رفيقا له في دروب حياته الشاقة :-

" يا ذيب أنا مناشدك يا ذيب وارجيك "

وفي وصف الشاعر للذئب بأنه أكثر وفاء من أكرم بني الإنسان :-

" لانك وفي أوفى من حارس القوم "

وقد سرد الشاعر أسس الصداقة التي يجب ان تقوم بينه وبين ذئبه . فكلاهما مظلوم ، ومنقوص في حق مجتمعه . وكلاهما مهموم ، وهما يسيران مسيرة واحدة في درب الشقاء . وتم هذا السرد من خلال نداء الشاعر المتكرر لذئبه " يا ذيب " ، وقد أوحى هذا التكرار بمعاني الاستغاثة وطلب الخلاص ، واستجداء صداقة الذئب ورفقته ، وفي النهاية استعد الشاعر للتضحية بحياته من اجل أخيه الذئب ، لان في ذلك خلاص كل منهما من حلقة الهموم التي يدوران فيها ، وخلاصهما من حال الغربة التي يعانيناها .

ولم يكن " الذبابات " اول من تضور الجوع الاجتماعي ، وعانى من حالة الاغتراب ، والحق الذئب بأهله ، بل سبقه في ذلك شعراء كثيرون ، كان " الشنفرى " على رأسهم ، وهو المنفي من قبيلته نفيا اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا وفي ذلك يقول : -

" ولي دونكم أهلون سيد* عملس وأرقط زهلول وعرفاء" جبال⁽¹⁾
 وفي موطن آخر من لاميته المشهورة " بلامية العرب " يتوحد الشنفرى مع الذئب ،
 ويتصرف تصرفاته ، فيقتنع بزهد الطعام ويغدو طاويا جائعا يسابق الريح :-
 " وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزل تهاده التائف أطحل
 غدا طاويا يعارض الريح هافيا يخوت بأذنا الشهاب ويعسل"⁽²⁾
 ويصالح الفرزدق الذئب العدو ، ويحيله إلى صديق ، ويقمصه شخصية إنسانية،
 ويشكوها همومه ، ويحاورها ، ويشاركه الغذاء ..

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت بناري موهنا فأتاني
 فلما دنا قلت : أدن دونك إنني وإياك في زادي لمشتركان
 فبت أقد الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان⁽³⁾
 ولعل هذه العلاقة التصالحية بين الذئب والإنسان سبب في اتخاذ الإنسان أسماء
 له من الذئب . فهو يسمى ابنه الذكر ذيبا ، والأنثى ذيبة على صيغة المفرد ، وقد يسمى
 الذكر ذيبان على صيغة التثنية ، وقد يسميه " ذياب " على صيغة الجمع . وهناك قبيلة
 بدوية تدعى " الذيابات " على صيغة جمع الجمع .

* السيد : الذئب ، العملس : القوي على السير السريع ، الأرقط : النمر ، فيه سواد يشوبه نقط بيض ، زهلول : أملس ،
 جبال : علامة على الضيع ، عرفاء : كثرة شعر الرقبة ، أزل : الذئب ، التائف : جمع توفة وهي الفلاة ، أطحل :
 لون بين الخبرة والبياض ، الطاوي : الجائع ، عارض الريح : استقبلها ، يخوت : ينقض من قولهم خاتت العقاب ،
 يعسل : يمر مرارياً .

(1) الشنفرى ، لامية العرب ، نشيد الصحراء ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1974 ، ص 43
 (2) المرجع السابق نفسه .

(3) الفرزدق ، ديوانه ، شرح وتقديم على فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط . د . ت ، ص 628 .

الأفعى : -

ترمز الحية في الشعر الشعبي لمعاني العداوة والكراهية والشر والأذى. وذلك انعكاس لصورتها في الذهنية الشعبية ، ففي التراث " دخل إبليس الجنة في فم الحية وهي ذات أربع كالناقة ، بعد ان عرض نفسه على كثير من الحيوان فلم يدخله الا الحية ، فلما دخلت به الجنة ، خرج من بطنها إبليس " (1)، وتمت غواية ادم ، مما أدى الى خروجه من الجنة وهبوطه الى الأرض ، وإضافة لدهائها فالحية معروفة بقوة الجسد ومرونته ففي كتاب "الحيوان" ليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحية ، الا والحية أقوى منه أضعافاً (2) .

ولا يختلف مفهوم الحية عند الخلف عنه عند السلف في التراث الشعبي ، فهي خادعة ماهرة ، تدفع بسمها للقضاء على حياة الإنسان ، وقد عبر الشاعر مخلد الزوايدة عن هذا المفهوم ، وهو يسدي نصيحة لبنت من بنات البادية ، كي تبعد عن شخص ماهر ، مخادع ، كالأفعى يتظاهر بحبها ويقول الزوايدة :-

لا يغرك انه دوم في هرجه عذوب سم الأفاعي من وريده اندفق
ما هو صديق اليوم وما هو بمحبوب ولا يغرك انه ون ومن جوفه شفق (3)
وتغرس الحية أنيابها في جسد الإنسان ، وتفرغ سمومها فيه ، وتختلط السموم بدمائه ، وهذا سبب كاف لقتله ، كذلك هي المصائب التي حلت بالشاعر الشعبي " فرحان العمامرة " :-

والمصايب عن غضبتها كشرت واغرست أنيابها حتى الوريد
ولعل من اشد سموم الأفعى فتكا بالإنسان في الذهنية الشعبية هو سم " الصقطني " كما ورد في شعر "فالح السويركي" :-

هذا جزا الى يتبع هواك يشرب من السم الصقطني وماطاب

(1) د. ابو يحيى ، احمد ، الحية في التراث العربي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٩٧ ، ص ٢٢ .

(2) الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، المجلد الرابع ، ص ١١١ .

(3) دوم : دائما ، هرجه : كلامه ، اندفق : خرج ، ون : إن ، الي : الذي ، ما طاب : لم يشف ، خليه : دعه .

ويضرب المثل في شدة هذا السم وقوة فتكه ، فتقول العام "خليه سم صقطري " ، وذلك في حث بعضهم بعضا لشرب شيء مستكره كالدواء مثلا .. وهذا السم قاتل للإنسان ، وهو ما قاله الشاعر " ان شارب ما طاب " . وعند محاولتي تأصيل لفظه " صقطري " لفت نظري نسبتها الى الجزيرة اليمنية " سوقطرة " ، والتي تتميز بمناخ موسمي ، وربما تضخمت الأفاعي فيها ، وأفرزت سموما شديدة نسبت للجزيرة ، ووصل العرب الجزيرة خلال تجارتهم ونشرهم للإسلام ، فعلفت في أذهانهم أسماء هذه السموم . ولكن بعد وقت وجدتي أميل في تأصيل هذه اللفظة الى رأي آخر ، وجدته في قول " عنتر بن شداد " يصف ثعبانا اسود ، وقد عض احد أصدقائه :-

" أترجو حياة يابن بشر بن مسهر
وقد علقت رجلاك في ناب اسودا
اصم قطاري اذا عض عضه
تزايل عنه جلده فتبددا (1)
والأصم : لا يسمع وهذا وصف للذكر من الحيات غالبا ، والقطاري اسود ضخم يقطر سمه لكثرتة " (2). وربما تناقلت العامة هذا الوصف للثعبان (اصم قطاري) ، ودرج على ألسنتها وكثر استخدامه ، فحذفت بعض أحرفه نتيجة لذلك ، وعدلت أخرى حتى أصبحت " سم صقطري " .
وهناك نوع آخر من الزواحف غير الأفعى ، اشتهر بسمومه الا وهو العقرب ، ويقول الدمامي مخاطبا صديقه خليلا :-
مشكاي وقفوا في طريقي لي حرب
وانا اشهد أنهم يا خليل اثروا بي
بقيادة الي كنها سم عقرب
وما بقى بقولها الا النيوبي
شكا الشاعر لصديقه عجوزا ، وقفت في طريق حبه ، وشبه هذه العجوز بالعقرب تنفت سمها في جسمه .

الطيور في شعر النقب الشعبي

(1) عنتر ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص ٢٧ .

(2) الحوفي ، احمد محمد ، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مصدر سابق ، ص ١٥٣ .

ظهر في شعر النقب أنواع مختلفة من الطيور مثل الغراب ، والبوم ، والصقر ، وغيرها ، وتختلف علاقة العربي بهذه الطيور ، تبعاً لأنواعها المختلفة أولاً ، وتبعاً لاعتقاداته الشعبية في تأثير هذه الطيور على حياته ثانياً . ومن هنا نجد البدوي يكرم بعضها ، ويتشائم من بعضها الآخر ويتطير . ومن هذه الطيور :

أ (الغراب

تشاءم البدو من هذا الطير ، لأنه نذير فرقة أو موت ، وتصوروه أقبح الطيور شكلاً والمتأمل في وصف " الجاحظ " له يستطيع ان يتخيل مدى كراهية البدوي للغراب ، " فهو طائر اسود محترق ، قبيح الشمائل ، رديء المشية ، ليس من بهائم الطير المحموده ولا من سباعها الشريفة ، وهو طائر يتطير منه ، أكل جيف .. وتسميه العرب ابن دأية لأنه إن وجد قرحة في ظهر البعير سقط عليها ونقرها واكلها حتى يبلغ الدايات (فقر الكاهل والظهر) " ^(١). لكل هذا فقد أكثر العرب من تشاؤمهم بنعيه وشحيبه ، " قال عنتره : ان الغراب الأبقع (الذي فيه بقع كالبلق في الدابة) قد انذره ببين اصحابه :

ظعن الذين فراقهم اتوقع وجرى بينهم الغراب الابقع ^(٢)

وتوجس النابغة ان يفارق أحبابه لما سمع نعيب الغراب :-

زعم البوارح ان رحلتنا غدا وبذاك تتعاب الغراب الأسود ^(٣)

ولا يختلف موقف الخلف عن السلف في نظرته للغراب ، فما زال الغراب طائراً يتطير به ، وينعب على البيوت بعد رحيل أهلها عنها ، ويتقمم على بقايا مخلفات أهلها الضاعنين . وها هو الشاعر الشعبي " عبد القادر الهباهبة " يقف على الأطلال ، ويناجي ديار أهله المهجورة ، ويتذكر عادات

(١) الجاحظ ، الحيوان ، مصدر سابق ، المجلد الثالث ، ص ٤١٢ وما بعدها .

(٢) عنتره ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص ١٠٣ .

(٣) الاصفهاني ، الاغانى ، مصدر سابق ، ج ١١ ، ص ٨ .

الأهل ، وكرمهم ، حيث كانت مضارهم قرب الطرق ، ليستدل الضيوف عليها ، وكانت يوتهم محروقة (كناية عن النيران التي يشعلها لصنع موائد الضيوف) ، واليوم هجرت هذه البيوت ، فهو يكيها ، ويرثي حالها ، وقد حل اليوم محل الأهل:

قمت أتذكر في الزمان العتيق وخبري في أهلنا في مشاريق صيحان
 عادات أهلنا يسكنون الطريق وفي يوتهم ياما شبع كل جيعان
 تلقى منازلهم علون الحريق من كثر ما حطوا على النار عيدان
 مريت أنا ع دارهم في طريق لقيت ساكنها مع اليوم غربان

لقد حول اليوم والغراب ، حالة العمران التي نعم بها الأهل ، إلى حالة خراب يسودها الحزن والبؤس ، وتستحق هذه الحالة رثاء الشاعر ودموعه ، وبعبارة عن الشؤم والتطير ، فقد شبه الشاعر الشعبي رموش حبيبته بسواد ريش الغراب كما يقول الصواحين : -

والكحل بالعين داعجته والرمش يا ريش غربان⁽¹⁾

وقد سبق " عترة العبسي " شاعرنا الشعبي في التبيه بسواد ريش الغراب ، عندما شبه سواد لون النياق ، بسواد ريش الغراب : -

فيها اثنتان وأربعون حلوبة سودا لخافية الغراب الأسحم⁽²⁾

* لا تختلف النظرة الشعبية المتشائمة لليوم عن نظرتها للغراب ، فالיום كالغراب نذير شؤم وفرقة وموت .

(1) الزمان العتيق : الزمن الماضي ، مشاريق صيحان : منطقة في بادية الأردن الجنوبية ، علون : على لون ، حطوا : وضعوا ، ع دارهم : على دارهم ، ولي : والذي ، بدو : متفرق .

(2) شرح المعلقة العشر وأخبار شعرائها ، جمع وتصحيح أحمد الشنقيطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ص 112

ب) الصقر

اعتبر البدو هذا الطير رمز العزة والفروسية والقوة ، والسمو ، وكثيرا ما استخدموه في طردهم وصيدهم ، ويقول الحارث بن حلزة : -
 صقر يصيد بظفره وجناحه فاذا أصاب حمامة لم تدرج⁽¹⁾
 ولما كان الصقر يجمع كل هذه الصفات الحميدة ، صار أهلا لأن يتشبه به
 الفرسان وسادة القوم ، وصار من البدهي ذكره في معرض المدح ، وفي أغراض
 الفخر والاعتزاز بالنفس ، وهذا ما يشير إليه الشاعر الشعبي " داعس أبو
 كف " :-

صقر تعلّى على الصقور الشياهين وليّ يعضه صار ريشه بدود
 ويوظف الشاعر " فرحان العمامرة " الصقر تعريفه بنفسه ، وبهومه ،
 معتزا بالانتماء لقبيلة " الحويطات " ، مذكرا بقوتها ، وعلو منزلتها ، يقول
 الشاعر مخاطبا فتاه : -

أنا الحويطي وكل يرجع لكاره أعرفك يا بنت كنتك تجهلين
 والحر يفهم من كلام الإشارة البوم ما يرقى لصرح الشياهين
 ونفهم هنا من كلام الشاعر أن بنتا تلاحقه وهو لا يحبها .. فهو الحويطي رفيع
 المترلة ، وهي قطعا من قبيلة أقل مترلة وأدنى .

(1) المفضليات ، مصدر سابق ، الجزء الثاني ، ص 56 .

الفصل الرابع

الشعر الاجتماعي في النقب

الشعر الاجتماعي في النقب

الموضوع هنا شائق شائك ، فالبحث في الغرض الاجتماعي للشعر الشعبي في النقب يتطلب من الدارس تأملات كثيرة في دوائر تبدو مختلفة في الظاهر متباعدة ، ولكنها ترتبط بمجموعها بوتد واحد هو البيئة الاجتماعية .

ولا يمكن للدارس بأي حال من الأحوال النظر للبيئة الاجتماعية كدائرة كبيرة مجردة ، أو بوتقة تنظم الأفراد في داخلها فحسب . بل إن هذه البيئة شجرة كبيرة ، جذورها ممتدة تبحث عن غذائها في مجمل نشاطات الإنسان الاقتصادية ، والسياسية والثقافية ، ومعالجة الإنسان لمواقف الحياة المختلفة . وساقها الصلبة هي النظام ، والضبط الاجتماعي وثمارها نواتج تمثل القيم والمفاهيم ، ونواتج علاقات الإنتاج .

إن البيئة الصحراوية التي سكنها البدوي منذ القدم ، حتمت عليه ضرورات كثيرة ، مثل أسلوب الإنتاج الاقتصادي ، والنظم الاجتماعية القيمة ، والطرق النفسية في التفكير ، ومعالجة المواقف . وهذا بالتالي ولد ثقافة بدوية ، ربما استغرها ابن الريف وابن المدينة ، ولكنها في الواقع تنسجم تماما مع نمط الحياة الصحراوي " فالبدوي بسكناه الصحاري المقفرة المحفوفة بالأخطار والمشاق ، وبזה الدور والأسوار وتفضيله لبيوت الشعر عليها ، وطبيعة الصحراء القاسية ولد فيه مزايا وخصالا ، امتاز بها عن الحضر سكان المدن ، مثل الشجاعة والعصية والكرم والوفاء والصدق والأنفة والنحدة⁽¹⁾ " إن البيئة تتطلب هذه القيم وترفض نقيضها ، فالصحراء الموحشة المجهولة تتطلب جرأة وشجاعة لقطع مهماتها ومفاوزها ، كما تتطلب صدق الرفاق والمسافرين فيها ووفائهم ، كي يتعاملوا مع المسافات الشاسعة بأقصر الطرق وأسلمها وأكثرها أمنا وهنا تظهر سجية الكرم ، زهرة يانعة يشتمها المسافر ، ويلثمها ابن السبل ، والضييف المقطوع عن أهله .

ولا بد لهذه السجية أن تركز على أسس ثقافية ومادية . وتستجلى الأسس الثقافية في إعلاء شأن الكرم والتغني به ، وتمجيد عظماء البادية

(1) الكمال ، شفيق ، الشعر عند البدو ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ط 1964 ، ص 49 .

وكرمائها الذين تحدثت عنهم كتب التراث ، أمثال : حاتم الطائي ، وسيدي داحس والغبراء اللذين خلدهما زهير في معلقته : -

يمينا لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم⁽¹⁾

أما الأسس المادية ، فتنبع من النمط الاقتصادي الذي يتجهجه البدوي ، متمثلاً في اقتناء الأغنام والإبل وتربيتها ، فمادة هذه القيمة الاجتماعية متحققة وهي : اللحوم ، والزبد واللبن ... الخ ، وما على البدوي إلا بناء هذه القيمة من نواتج نمطه الاقتصادي الرعوي .

ولا تكاد مفاهيم العصبية القبلية ، ومفاهيم التضامن والنصرة بين الأفراد تنفصل عن هذه البيئة ، ولقد اضطرتهم مشاق حياتهم البيئية إلى هذه العصبية وهي التضامن المطلق بين أفراد القبيلة ، إذ ان توغلهم في المهام المقيمة ، وعداء بعضهم لبعض حيناً ، وتصلحهم على امتلاك الكلاً والماء والنفوذ حيناً آخر ، جعل حياتهم قلقاً غير مستقرة ، فكأن البدوي في حرب مستمرة وعلى استعداد دائم للقتال . "وهنا تظهر قيم الفروسية والبطولة ومعاييرها ، كما تظهر أهمية العصبية القبلية وضرورتها باعتبارها واحدة من استراتيجيات البدوي في الدفاع عن نفسه . ويتفرع عن العصبية القبلية ، قيم التضامن و نصرة البدوي للآخر ، ونصرة الطنيب وحمائته ، ومن القيم البطولية هذه المتوارثة ، تولد الاعتزاز بالنفس ، والافتخار بالأصول والأنساب — وكان البدو يعجبون بالصفات التي تكفل النجاح في حياة شاقة يكابدونها في السهوب ، والولاء لصلة الدم بين الجماعة له شأن كبير ، ويقتضي فيما يقتضيه مبادرة البدوي لنجدة قريبه ونصرته على أي غريب في أية مناسبة ، وتقتري بهذه الصفة قوة البأس أو الحماسة التي تدل على الشجاعة ، والصبر على المكروه ، والإصرار على الثأر وحماية الضعيف وتحدي القوي .⁽²⁾

(1) زهير بن أبي سلمى ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص 105 .

(2) وات موتكومري ، البدو ، لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط 1 ، 1981 ، ص 136 .

إن أسباب العيش في البادية تقصر عادة عن كفاية السكان ، وهذا كاف لاقتصار البدوي على ضروري الحياة واجتناب الكماليات ، ولعل الفاقة وتواصل الكد خلقا نزعة قوية للتملك ، واغتصاب وسائل العيش ، مما يتلاءم وغزو البدو بعضهم بعضا ، وانتظامهم في جماعات وعشائر ، ويبدو أكثر ملاءمة لثقافة البدو المادية التي تدور على التنقل طلبا للأمن الغذائي ، وهذا بدوره حدد الشكل السكاني للبدو ، وجعل من الخيمة وحدة سكنية لهم . ولا شك في أن الخيمة تمتلك مزايا كثيرة تجعلها ملائمة لحياة البدوي ، فعلاوة على أنها تقيه الحر والقر ، فهي سهلة الحل والتركيب ، ويسهل نقلها من مكان لآخر ، وذلك ما تتطلبه حياة البدوي ، واحتياجاته الاقتصادية . ويقول " مونكومري وات " واصفا ملاءمة الخيمة للطقس صيفا وشتاء " الخيمة مصنوعة من شعر الماعز ذات نسيج فضفاض ، تنتفخ عندما تبتل ، فتمنع المطر من اختراق جدرانها وتوفر الدفء بسبب إغلاق جانبيها ومؤخرتها ، وفي الصيف توفر لمن يقيم فيها حمى من الظل المرغوب ، وتفتح من الجوانب كي يتخللها النسيم ⁽¹⁾ ولما كان البيت " معمودا " يقصده الزوار والضيوف ، فقد قسم البدوي خيمته بستار إلى قسم للأسرة تشغله النساء والأولاد ، وهو ما عرف في التراث باسم الخباء ، وآخر للضيوف يستقبل فيه أصدقاءه من الرجال .

ويخطئ من يعتقد أن هذه المناشط الحياتية ، والظواهر القيمية الثقافية - سواء المعنوي منها أو المادي - تسير بكل فوضوي ، بل أنها - بشكل أو بآخر - مقننة ، وتتمشى مع النظام القبلي ، الذي يفرض قوانينه العشائرية الصارمة بفض المنازعات والإشكاليات ، ورسم طرق التعامل في المواقف الاجتماعية المختلفة .

وهنا تبرز أهمية المشيخة باعتبارها سلطة بدوية لا غنى عنها ، ويظهر دور الشيخ التنفيذي وعلاقته مع أتباعه من عشيرته ، وعلاقته مع العشائر الأخرى . إن هذه السلطة الاجتماعية السياسية التي يتبناها ابن الصحرَاء . تلامح ظروفه ومعاشه ، وتنفي في الوقت نفسه ، أي سلطات

(1) وات ، مونكومري ، البدر ، مرجع سابق ، ص 16
" معمودا : أي يقصده الضيوف والزوار .

خارجية أخرى كسلطة اللولة مثلا . وفي حدود هذا التصور برزت قوانين البدو في حل إشكالاتهم وفض منازعاتهم ، بشكل دستوري شفوي تراكمي * ، فأخذ من القياس جانبا ، ومن الاجتهاد جانبا آخر ، وحاول قدر الإمكان التناغم مع روح قوانين الإسلام ، الذي يدين به معظم البدو ، واعتمد أيضا قانون نسبية الجريمة للوصول الى حل سلمي بين العشائر المتنازعة " فالموقف الذي يترتب على حادث القتل مثلا يختلف في المجتمع باختلاف الجماعة الثأرية التي ينتمي إليها القاتل والمقتول ، وعند تلخيص الحلول ، نجد ان الرغبة في عودة السلام ومدى الحاجة إليه بين الجماعات المتنازعة هي التي تحدد نوع التسوية ، ومدى الإسراع في إتمامها ، وعادة ما تعرض القاتل لأنواع من التابو التي لا تنتهي الا بقطع الذراع الأثيمة ليخرج الدم ، ويخلص الإثم من التابو المفروض عليه " (1) .

ان هذه المفاهيم الاجتماعية ، التي يرتضيها المجتمع البدوي لنفسه ، ويتقبلها بشكل عفوي تلقائي ، ربما بدت غريبة وغير مقبولة لمجتمع الريف والمدينة ، والعكس صحيح أيضا ، فمعايير المدينة والقرية تبدو غريبة في موازين البدو الاجتماعية .

ان البيئة تفرز حتمياتها الاجتماعية التي يرتضيها هذا ، ويرفضها ذاك تبعا لانتمائه ، ونتيجة لهذه المفاهيم المختلفة ، وجدنا تعلق البدوي ببدائنه ، واعتزازه ببقاء أصله " وأصبح عيبا قبيحا عنده ان يتزوج بحضرية ، أو يزوج ابنته لحضري ، والمرأة البدوية تكاد تكون اشد تعلقا ببدائنها من الرجل ، فاذا طلبت إحداهن للزواج من الحضري فهي تقول : " صكاك باب ما اريدنه " * ، ولا يفكر البدوي أيضا في الزواج من حضرية كما قال شاعرهم :-

كل يدور رغبته في زواجه والبدو ما للحضر يوم يبيغون

* لا تعتبر صفة الشفوية للدستور عيبا ، فكثير من دساتير الدول شفوي ، ومن هذه الدول بريطانيا .

(1) د. محبوب ، محمد عبدة ، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط

١ ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣٩ .

* أي انه يغلق الباب دونه إذا نام ، وهذا دليل الجبن والخوف ، أو يخلقه دون الاضياف ، وهذا

منتهى البخل الذي يتنافى ومفهوم الكرم عند البدو .

والبدوية تفضل ابن بيئتها فتقول :-

ومن البدو جلف يربي نعاجه ولا سماقي من الورس مدهون^(١) .

وما أشبه هذا بقول ميسون بنت بحدل الكلبيّة زوج معاوية بن أبي سفيان :-

لبيت تخفق الأرياح فيه أحب الي من قصر منيف

ولبس عباءة وتقر عيني أحب الي من لبس الشفوف

وخرق من بني عمي سخيّف أحب الي من عالج عنيّف^(٢)

ان تمسكها بالبداءة وتعلقها بها ، جعلها ترفض الحياة المدنية الحضريّة - بكل مزاياها وكمالياتها - جملة وتفصيلا ، وان كان هذا رأي زوج الخليفة البدوية الرافضة له بالرغم مما كان عليه من جاه وسلطان وحضارة ، فانه أيضا رأي البدو عشاق الصحراء بشكل عام .

وسنتناول في هذا الفصل من الدراسة ، بعضا من الظواهر الاجتماعية في النقب من خلال شعره الشعبي الذي أفرزته الحياة ، فجاء ضابطا لإيقاعها ومتناغما معه ، فالشعر يصور المظاهر الحياتية من جانب ، ومن جانب آخر ينير طريق البدوي في اتخاذ قراراته في مواقفه المختلفة ، من خلال استلهامه وتذوقه وتمثله ، وسنرى في ثنايا هذا الشعر عادات اجتماعية بدوية مثل : الكرم ، والصدق ، والنجدة ، والتضامن القبلي ، والوفاء... الخ . وسنلاحظ - من خلاله أيضا - تصرف البدوي ، وشكل سلوكه وكيفية اتخاذه للقرار عند انتقاء هذه الصفات والسجايا المتوقعة دائما في البيئة .

وسنرى أيضا بعضا من شرائع ابن الصحراء وقوانينه ، صيغت بوحي من البيئة فجاءت ملائمة لها ، وتتجلى هذه الشرائع في الجريمة البدوية والجزاء ، وفي الأخذ بالتأثر ومعاملة الطنّيب* . ونرى أيضا محاولة البدوي

(١) الكمالي ، شفيق ، الشعر عند البدو ، مصدر سابق ، ص ٥٧ .

(٢) معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ،

١٩٩٠ ، ٢٤٦ .

* الطنّيب : هو حبل طويل تشد به سرادق البيت ، وجمعه اطناب هذا في الأصل المعنوي للفظه . أما في عرف البدو فهو الرجل الخائف أو المظلوم الذي ينصب بيته بجانب بيت واحد من المشاهير ، ويرفع عقاله عن رأسه ويضعه في رقبة الرجل الذي يستجير به ويقول له "أنا طنّيب عليك يا فلان" .

صياغة دستور للمثل العليا والقيم من خلال وصاياه ، تلك الوصايا التي ترسم صورة مثالية لإنسانية البدوي .

ولا أكون بجانب الحقيقة إذا قلت أن كل الشوائب والعادات ، وجميع أشكال السلوك ومجموع الثقافة ، تلتقي تحت خيمة النظام القبلي ، وتنطلق منها ، فهذه العناصر هي معطيات النظام ومخرجاته في آن واحد . فالنظام القبلي البدوي هو المركز المحرك لنشاط البدو الاجتماعي ، وليس من المستغرب أن نرى البدوي يتغنى بالقبيلة العظمى (البداوة) ويمجد نظامها ، ويعتز بالانتماء لهذا النظام . وهذا ما يصوره الشاعر (مخلد الزوايدة) : -

عشق البوادي في ضميري طبعي	ربع لهم بالود قلبي مكسبي ¹
اعترافا باليد ولا اعتاد طوعي	المفخرة بالبدو أكبر يقيني
أنا بدوي والبدو ذولا ربوعي	أرفع بهم يسراي وأرفع عيني
أعيش عيشة حر وأحلام توعي	والطائر إلى طار ما يستويني
شامخ شموخ سهيل ما أعلن ركوعي	إلا لوجه الحق ربي وديني
عندي كرامة نفس عندي وضوعي	وأفهم أمور الوقت زيني وشيني
عيشة ونس أعيش عامي سبوعي	في مجلس بالطيب فرشته ثميني
في وسط ربع للمكارم جموعي	ربع فنوا بالطيب عمر السنيني
أطرب على مهباش صوته دلوعي	وأكرم ملك يحياه فنجال صيني

يمثل المبتدأ في جملة " أنا بدوي " الاسم . ضمير البدوي وعقله ووجدانه وشخصيته وواقعه الاجتماعي ، وتمتد هذه (الانا) لتندغم في الجماعة ، وتمثل البناء القبلي في (البدو ذولا ربوعي) ، عندما تحقق البناء ، واستقرار النظام وأصبح الشاعر القبيلة ، وأصبحت القبيلة الشاعر ، وهذا يذكر بقول دريد بن الصمة : -

وهل أنا الا من غزية أن غوت غويت وأن ترشد غزية أرشد⁽²⁾

¹ ولا اعتاد طوعي : طائعا ، مختارا ، ذولا : هؤلاء ، ربوعي : قومي وربعي ، أحلام توعي : ما اخترته من أحلام ، ما يستويني : لا يشبهني في الحرية .
⁽²⁾ الأصفهاني ، الأغاني ، مصدر سابق ، ج 10 ، ص 8 .

ان لاندماج الشاعر والتحامه بقبيلته أسبابا ومبررات مقنعة ، فهم ربع المكارم ،
يتحلقون حولها ، ويتفياون ظلها ويقضون سني عمرهم في فعلها :

في وسط ربع للمكارم جموعي ربع فنوا بالطيب عمر السنين
وانتمائه لهذا النظام ، يعزز لديه كرامة النفس والشموخ ويهذب أخلاقه
(عندي وضوعي) ويصف عيشته في ظل النظام القبلي ، بأنها عيشة أنس وفرح ، ويمر
الوقت فيها سريعا لأنه مشبع بالسعادة والهناء . ونلمس في نهاية اللوحة عنوانا للقضاء
العشائري السائد بين البدو ، حين يتنكر الشاعر لأي سلطة غير السلطة العشائرية ،
تأمل في قوله : " وأكبر ملك يحاحه فنجال صيني " ، وهذا القضاء المعترف به صحراويا ،
كفيل - ولكل سهولة - محل أكبر مشكلة معقدة شائكة ، ولعل ما عبر عنه الزوايدة
شعريا ، يقوله البدو وبشكل ثري " كلها فنجان إقهوة " ، كناية عن سهولة حل أية
مشكلة بالقضاء العشائري ، ويتخلل أي إصلاح عشائري شرب القهوة العربية .

وفي لوحة فنية أخرى يعبر الزوايدة عن حبه للبادية ، وكأنه بهذا الحب يتحدى
من يرى في البادية موثلا للجهل ، ومكانا لبيوت من الشعر حولها الإبل . إن الأمور التي
يستخفها الآخرون هي عناصر فخر الشاعر واعتزازه ببيئته وبدأوته : -

البادية فسي خافقي جها دوم أوصف بها بيوت الشعر والبعارين
حب البوادي في ضميري له وسوم عشق تدفق في عروق الشرايين
وبيت الشعر راعيه معزز ومحشوم هل الوفا والطيب يبقى عناوين⁽¹⁾
إن هذا الحب الذي طبع في الوجدان ، وتغلغل في الشرايين ، له ما يبرره ،
فالبادية جالبة للرز ، والحشمة ، والوفاء ، والطيب ، بل هي عنوان كبير لكل الفضائل
فلم لا يحبها الشاعر ؟ ! .

وإذا افتخر الشاعر بالقبيلة الكبرى " البدوة " وتغنى بها ، فقد بين للمتلقي
أسباب انتمائه لها ، فإننا نجده في موطن آخر يحدد هذا الانتماء

(1) خافقي : ضميري ووجداني ، أوصف : أصف ، إقهوة : قهوة ، البعارين : الإبل ، وسوم : جمع وسم ، علامت .

ويقصره على عشيرته فقط ، فهو يعتز بالانتماء " للزوايدة " ، يقول الزوايدة معرفا باسمه ، وعنوانه ، وسمات قومه :-

الاسم مخلد (ابوجزي) بين قوسين زوايدة هم لابتى والسمية
والدار وادي رم وهي قرّة العين نبع الشهامة والكرم والحمية ⁽¹⁾
لم يذكر الشاعر اسم قبيلته الا ليربطها بمصادر الفخر ، ومنابع العز ، وكأنه يقدم لنفسه أولا ، وللمتلقي ثانيا مبررات اعتزازه بهذه القبيلة ، ولابد لهذه المبررات من ان تكون مستمدة من خصال العرب الحميدة ، وشيمهم العريقة مثل : الشهامة ، والكرم ، والحمية . وهي سمات عامة تصلح لكل بيئة الا أنها بالبادية الصق .

ويغفر الشاعر " عواد أبو جريبان " بمزايا قبيلته ، وخصال قومه ، فهم أهل الرأي وسداده ، يقومون بواجبات الإبل من خدمة لها ورعاية ، وهنا يلمح الشاعر الى امتلاك قبيلته للإبل ، مصدر العز ، والغنى ، والجاه ، يقول أبو جريبان :-

حنا الجبارات ندوس الراي لنعاقي البلب مواجيبها ملزوم نوفيها
يقرر الشاعر حقيقة قبلية بقوله " حنا الجبارات " وتشبي هذه الحقيقة بمظاهر البأس ومعاني القوة ، فعلاوة على امتلاك قبيلة " الجبارات " سداد الرأي معنويا ، فهي تمتلك أيضا مصدر قوة ماديا (الإبل) ، واجتماع القوتين : المادية والمعنوية ، تكفل للقبيلة ان تتصدى للرأي الآخر المضاد ، لان رأيها مضمون السداد والصحة ، وما خلا ذلك باطل لا سداد فيه .

وإذا قرر "عاشق رم" * انه البدوي ، فها هو " محروم الشوق " يتتاغم معه ، ويقرر " انه الحويطي " ، ويتغنى بأمجاد قبيلته " الحويطات " ، في معرض رده على فتاه اقل منه منزله قبلية ، فالحويطات نسور وصقور تحلق

⁽¹⁾ بين قوسين : أي وضع اسمه بين قوسين ، السمية : الاسم ، وادي رم : منطقة البتراء ، قرّة العين : كناية عن الطمأنينة ، لابتى : اللابة هي الحرة ، وهي الأرض المستوية المغطاة بحجارة سوداء بركانية وكان العرب يجتمعون بها إذا هاجمتهم العدو فهي إذا بمعنى الحمى ولما كانت القبيلة حصنا منيعا للفرد يحتمى به سميت القبيلة (لابة) .

*عاشق رم :- لقب الشاعر مخلد الزوايدة ، محروم الشوق :- لقب الشاعر فرحان العمامرة .

بأمجده في عنان السماء ، أما قبيلة الغنم - عنى رأي الشاعر - فهم يوم
تتعق بالخراب ، ولا تقوى على مجارة طيور السماء ، يقول العمامرة :-
انا الحويطي وكل يرجع لكاره اعرفك يا بنت كنسك جهلتين
والحر يفهم من كلام الاشارة اليوم ما يرقى لصرح الشياهين
ويلاحظ في هذا الغرض الشعري (الفخر بالقبيلة) ، توظيف الشاعر ضميري
الرفع المنفصل : أنا ، ونحن (حنا) ، وهذا التوظيف يوحي بتقرير حقيقة لا
تقبل النقاش ، أو الجدل ، وذلك ان المعنى تأتى من جملة اسمية ، مبتدؤها
ضمير رفع منفصل ، فهي لذلك أكد للمعنى ، واثبت ، وأكثر استقراراً من اي
شكل آخر من أشكال الجملة العربية .

ويمكننا ان نستنبط : ان ضمير المفرد (انا) ، يعبر عن معاني ضمير
الجمع (نحن) نفسها ، فانا في هذا الشعر هي (انا القبيلة) ، حيث الفرد
مندغم فيها ، وندمج معها فهو عينة منها ، وممثل لها . و(نحن) : تمثل
التكامل العددي لأفراد القبيلة ، بما يحمله الأفراد من مثل وقيم وسجايا .
واللافت للنظر أيضا ، ان الشاعر لم يكتف بإبراز منزلة قبيلته
وإعلائها ، بل فاضل بينها وبين أخرى ، فإظهر قبيلته اعز مكانا ، واقوم قبلا ،
وذلك بتوظيفه مراتب سمو الطيور المختلفة وعلو منزلتها ومفاضلة الشاعر بين
منزلة طير وآخر (اليوم والشياهين) وقد نجد المعنى نفسه ، بتوظيف
الشاعر طير واحد ، وتفضيل هذا الطير وتمييزه عن أبناء جنسه كما يقول
الشاعر " داعس ابوكف " في معرض فخره :

صقر تعالى على الصقور الشياهين والى يعضه صار ريشه بدود⁽¹⁾
وهنا لا يغمض الشاعر منزله الآخر ، بل يرفعها لمرتبة سمو (الصقور
الشياهين) ، ولكن صقره اعز مكانا ، وأعلى مرتبة ، وأقوى ، فهو قادر على
عض الشياهين وتبديد ريشها .

ولعل توظيف الشعر الشعبي للصقور والنسور أمر شائع في غرضي
الفخر والمدح لما لهذا الطائر من ميزات القوة والقدرة على الطيران لارتفاع
شاهق .

⁽¹⁾ تعالى : علا ، وارتفع ، الي : الذي ، بدود : مبددا ، متفرقا .

ويتطرق الشاعر الدماي للمعاني نفسها ، في مدح صديقه أبي مساعد فيصور
القوم وقد حلوا ضيوفا على نسر حر مهيب : -

تلقى أبو مساعد ثم تعطي وقدها يا عين حر كل باشق يهيه
ولم تتأت قوة القبيلة من فراغ ، ولم تكن لتلصق لها سمة القوة جزافا ، بل لا بد
للقبيلة إلا أن نخوض المعارك الشرسة ، وتنتصر بها ، وتغتصب صفة الهيبة والقوة
اغتنابا. ويقول الدماي مادحا صديقه الشاعر " خليل اللوافية " : -

خليل سالم أعرف أنه معرب من قوم تعب ضدها بالحروبي
عدوهم من كاس المر يشرب وصديقهم يشرب قراح عذوبي
وهذا المعنى نجده جليا في قول عمرو بن كلثوم : -

ونشرب إن وردنا الماء صفوا ويشرب غيرنا كدرا وطينا⁽¹⁾

وتجلى في هذا الشعر معاني العصبية القبلية ، وذلك بما استخدمه الشاعر من
ألفاظ يرشح منها معنى العصبية مثل " قوم ، صديقهم ، عدوهم " كما بين الشاعر نوعا
من التحالفات القبلية من خلال نتائج المعركة ، التي خاضتها قبيلة الممدوح ، فعندها
يشرب المر ، ويذوق الموت الزعاف ، وحليفها يشرب القراح ، ويتذوق حلاوة النصر .
وإذا أخذت هذه المعارك صفة العموم ، ولم يحدد الشعراء مكانها و زمانها ، فإن
الشاعر " براك أبو تايه " يعتز بقبيلته ، ودورها في الثورة العربية الكبرى ، محددة الزمان
والمكان ، فالتياها وعلى رأسهم " عودة أبو تايه " ، استقبلوا الأمير فيصل بن الحسين ،
وساعدوه في الثورة على الأتراك ، وطردتهم من جنوب الأردن ، يقول براك : -

وهل الجنوب استقبلوهم بالإقبال واستقبلوا فيصل وحيوا إقباله
استقبله بالوجه ماضيين الأفعال " عودة أبو تايه " وصفة أرجاله
على النظا والخيل حلوات الأشكال والي عليهن ما يهابوا نظاله .

(1) الزوزني ، أبو عبد الله الحسين ، شرح المعلقات المبع ، مكتبة العارف ، بيروت ، ط 4 ، 1980 ، ص 165

إنهم فرسان على خيولهم ، يقاتلون الترك ، وفي مقدمتهم بطل القبيلة " عودة أبة تايه " وفي أكثر الاوقات شدة وعسرا وهولا ، وفي مع معان الحرب ، يبايع التياها " الأمير فيصل " :-

ثم بايعوا فيصل في وقت الأهوال من أجل الثورة كل وده كئاله⁽¹⁾ ويشاركون في طرد الترك من مدينة العقبة :-

أو سقط بديهم فور الحرب بالحال مدينة العقبة تم احتلاله ويسجل التاريخ أمجاد التياها " و " الحويطات " عموما في تلك المرحلة :-

يشهد لهم تاريخهم بين الأجيال سجل أو صور للحويطي أفعاله وكثيرا ما تغنت عشائر الحويطات بأفعالها ، ودورها في معارك الثورة العربية الكبرى ، فهذه شاعرهم " دخيل الله المرازقة " ، يذكر بتلك الأفعال ، كحلقة من حلقات فضائل العشيرة وعزها وسيادتها :-

هذا أخو صيته شيخ ربع مسمين " حويطات " كار الطيب بليا جمالة من الثورة الكبرى على العهد ماضين وافي عهدنا كافلينه كفاله⁽²⁾

المدح

لا يختلف المدح كثيرا عن الفخر ، إلا باختلاف دوافع الاعتزاز بالقبيلة والانتماء لها ، ودوافع إبراز شمائل الممدوح ومزايه ، ومثله العليا ، وبهذا

(1) وده : الكل يود ، كئاله : قتاله . في دور التياها في الثورة العربية الكبرى أنظر : مذكرات الملك عبد الله بن الحسين، نشر أمين أبو الشعر ، عمان الأردن ، ط 4، 1965 . ص 157 وما بعدها .
 * وهل : أهل ، بالوجه : أي وجهها لوجه ، ماضيين : من المضاء ، النظا : جمع نضو وهي الإبل ، عليهن : عليها نظاله : نضاله ، وقدها : نار مشتعلة ، إكراما للضيوف عين حر : كناية عن نصر قوي ، تلقى : تحل ضيفا .
 (2) أخو صيته : صاحب صيت حسن ، وسمعة طيبة ، ربع : قوم ، قبيلة ، مسميين : معروف عنهم ، كار : طبع بليا : لبي .

المعنى يصبح الفخر مدحا عاما للقبيلة ، ويصبح المدح أكثر تخصيصا وتحديدا ، لارتباطه بفرد من أفراد القبيلة.

ومن البدهي ان نلاحظ في هذا الغرض ، إلصاق الشاعر الصفات الحميدة بممدوحه وما أكثر هذه الصفات ! ، وما أحوج البيئة البدوية لها !.

ولعل أول ما يتبادر الى الذهن عند ذكر خلال البادية الحميدة ، وعاداتها الأصيلة سجية الكرم . فالكرم ملازم للبدواة لا ينفك عنها ، " ان الكرم وحسن الضيافة من أهم المظاهر الاجتماعية والصفات الأخلاقية ، التي ترتبط أصولها بعصور الجاهلية ، وما تلاها من العصور ، فالعربي لا يكتنز المال في سبيل الإثراء ، أو ليقال عنه انه غني موسر لكنه يجمعه أولا لإطعام أولاده ، وثانيا ليكسب به ذكرا حميدا ، وصيتا حسنا ، يقول حاتم الطائي :

أماوي ان المال غاد ورائح ويبقى من المال الأحاديث والذكر " (1)
ان إكرام الضيف خلة موروثه في البادية ، ولا شك أنها منسجمة مع بيئتها ، حيث الفقر ، ونقص الحاجات ، والاقتصار على الضروريات ، ولهذا نجد الكرم يظهر واضحا جليا ، ويشكل معلما من معالم الفضائل في أوقاف الكرب والشدة يقول الدماني :-

ربيح ضيفه يومن الوقت يكرم ومظهر نويه لا وقع بالنشوبي (2)
ان الكرم محمود في كل الأوقات في الشدة والرخاء . الا ان الكرم في الشدة أوضح صورة ، وأعمق أثرا منه في الرخاء . ففي الشدة يكون الكرم فرجا للناس ، ويحل جزءا من الضيق الاقتصادي الذي يعانون ، فيترك أثرا عميقا في النفوس ، وتجسد صورته بشكل جميل ، وتقسط المجال واسعا أمام الشعراء للتغني به ، ويتحدث بحكاياته العوام ، وتخلد قصصه على مر العصور .

(1) شرح ديوان حاتم الطائي ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، شرحه ابراهيم الجزي ، ط ١ ، ١٩٦٨ ، ص ٥١ .

(2) ربيع ضيفة : الرابح هو الضيف ، يومن : يوم ، نوية : نية ، لا وقع بالنشوبي : إذا وقعت معركة فانه مستعد لها .

ونادرا ما ظهر الكرم في الشعر البدوي منفردا ، بل يتداعى مع هذه السجية كثير من سجايا العرب الحميدة مثل الصدق والوفاء والنجدة والفروسية وغيرها .. فالكرم في نظر الشاعر الشعبي طاقة إنسانية مولدة سجايا حميدة أخرى في الممدوح . وبعد ان ينال الممدوح هذه المؤهلات الاجتماعية ، المختلفة أثرا ، المتحدة ثقافة ، ترتفع منزلته ، ليصبح عينا من أعيان البدو ، يشار إليه بالبنان ، وشيخا من شيوخهم ، يحمل على كاهله مسؤولية حماية النظام القبلي وتدعيمه . لتأمل كيف ربط الشاعر " الزوايدة " كرم الممدوح بصفاته الأخرى :-

أمدح جنابك ولا بغيت المطالب	والمدح يهيا فعول كف سخيا
يعيش ابن مكتوم ريف المتاعيب	رمز الشهامة والكرم والحميا
فارس رقي للمجد ورام المصاعيب	وشاعر ينظم القاف وحرفه نديا
من راس نبع فيه عذب المشاريب	صافي مثل هزاج زلاله شهيا
شيخ ولد شيخ ، وذيب ولد ذيب	من ساس ربع يشهد لهم كل حيا
شام وجنوب الارض شرق وتغريب	صيتك تعلا فوق هام الثريا ⁽¹⁾

يمدح الشاعر ، الشيخ الإماراتي ابن مكتوم ، ويبين لنا في مستهل مدحه ان التكسب ليس غايته ، وإنما صفة الشيخ المتمثلة في كرمه هي الباعث على مدحه . وربط الشاعر كرم الممدوح بغيره من السجايا مثل : الشهامة ، والحمية ، والفروسية . فالممدوح رمز للشهامة والكرم والحمية . علاوة على انه فارس رقي للمجد ورام الصعاب .

ومن هذه الصفات مجتمعة - وعلى رأسها الكرم - علا الممدوح في مراتب الجاه وأضحت سمعته الحسنة تملأ الفضاء شرقا وغربا :

شام وجنوب الارض شرق وتغريب صيتك تعلا فوق هام الثريا

⁽¹⁾ بغيت : طلبت ، يهيا : يتهيا ، فعول : أفعال ، كف سخيا : كف كريمه ، ريف المتاعيب : حلال مشاكل ، الحميا : الحمية ، المصاعيب : الصعاب ، القاف : القصيد ، الشعر ، هزاج : الماء العذب ، شام : شمال ، صيتك : سمعتك ، تعلا : علا وارتفع ، هام الثريا : النجم في السماء .

والكرم ليس صفة معنوية مجردة . بل لها ممارسات دالة عليها ، يقول " الصخور " على لسان شاعرهم ردا على اختبار أبي عودة* لهم : -
 ضيف يا ضيف لا تذهب عشاك لغدي
 حنا نعشي الضيف ولو لحقت بنار القودي⁽¹⁾
 ويرد أبو عودة : -

أنا قودي ما يعرف قودي
 أنا بوعودي ما عليكم جحودي
 كنت في غزة :
 بعلق فراديس البقر براس عودي

توضح هذه الأبيات ، صورة حسية لمظاهر الكرم البدوي ، والتي تتلخص في تعليق اللحوم ، وصلبها على عود أمام الشق ، لشيها احتفاء بالضيف ، وإيدانا وأعلاما للآخرين لمشاركة الضيف في الوليمة التي تقام على شرفه . وهنا نلاحظ استعداد " الصخور " للتضحية بكل رأساهم المادي (القودي = النياق) ، مقابل أن يظلموا كرماء أمام الآخرين . ويظهر في الصورة أيضا ، أبو عودة خارج شقه ، يعلق لحوم البقر على العود ويصلبها عليه ، ومن الواضح من ظلال الصورة ، أن أبا عودة " بقرار وليس أبالا " ، فهو يقدم لضيفه لحم البقر الذي يملكه ، وكأنه يقول " الجود من الموجود " . وتقدم كل هذه اللحوم قربانا لمشروع الكرم ، ودعمه وتعزيزه . ويعرض الشاعر الشعبي " محمد الحمادة " صورة أخرى لصلب لحوم الخراف ، وما رافق ذلك من شوائها ، وتجلى كل ذلك من خلال رائحة الدهن والشحم (فحفحة الشحم) وانتشاره في الفضاء يقول الشاعر : -

ع فريق النشامي حنا لفينا لفية الصقور مدليات المخاليب
 خلي الشحم له فحفحة في يدينا وخلي جزور الضان عندنا مصاليب

* قصة أبي عودة والصخور حدثها للباحث فايز أبو القيعان / النقب
 (1) عشاك : عشائك ، لغدي : الغداء ، القودي : النياق ، فراديس البقر : الكثير من البقر ، راس عودي : على عمود أمام الشق .

وكما خلط الشاعر الدهن باللحم ، فانطلق من الخليط رائحة شواء ذكية ، كذلك فقد خلط سمة الكرم بملامح أخرى توحى بالفروسية والشجاعة . (النشامة ، الصقور ، المخاليب) وهذا جريا على العادة ، حيث ندر ما يظهر فعل الكرم منفردا لوحده . ومن ناحية أخرى فان هذا الفعل يظهر بشكل أوضح ، وأعمق ، من خلال هذه البوتقة البدوية .

وفي موطن آخر ، يذكر الشاعر الحمامة وسيلة الشواء ، وهي " حجر الرتم " * ، يوقد على الحجر ، حتى يحمر ويوضع اللحم على هذا الحجر المحمر ويشوى :-

وحجر الرتم نرضم عليه الشوايا والربع في ظل العريشة مكاويح ويرتبط الشواء (مظهر الكرم) في هذا البيت بالمكان (العريشة) ، وهو ما يحتاج الى ظلاله في قيظ الصحراء ، وحرارتها الملتبهة . ويرتبط المكان بوسيلة صحراوية متوفرة (حجر الرتم) ، وبالتالي فان الشاعر أظهر - عن قصد أو بدونه- هذا الفعل الاجتماعي (الكرم) ، وقد تفاعل في بيئته الملائمة (الصحراء) . وقد وفق الشاعر في إظهار الحالة النفسية للتجمع (الربع) ، فهم مرتاحون ، طربون ، منتشون ، مستلقون أرضا في ظل عريشة. لقد حقق الكرم في البيت الشعري أكثر من غرض ، فهو ليس إكراما لضيف فحسب ، بل تعمق المفهوم ، ليصل أبعاد اجتماعية ، ونفسية اكبر ، مرتبطا بالمكان الملائم لتعزيته ، وتطويره .

ويذكر "عارف العارف" ، صورة صلب الذبائح المقدمة للضيف ، على الأعمدة فيقول " على المضيف ان يعلق ذبيحته على عامود ينصبه أمام البيت ليراه الراؤون من بعد ، كي يحضروا ، ويشتروا مع الضيف في الطعام الذي يقدم له في الشق " (1) .

* الرتم : من الحمض ، يحتطب ، وناره جيدة ، وينطلق من اشتعالها رائحة زكية وهو الرمث بالقلب المكاني وإبدال الناء ثاء ، أما حجر الرتم ، فهي الحجارة التي يأتي بها سيل الوادي ، حيث ينبت الرتم ، وهي حجارة ملساء ، متينة ، بسبب السيل الذي يعريها ويقويها ، وبحمي هذا الحجر بحطب الرتم المشتعل ، وعندما يحمي لدرجة معينة ، يوضع عليه اللحم لشيء .

(1) العارف ، عارف ، القضاء بين البدو ، سلسلة من هم البدو ، مطبعة بيت المقدس ، الجزء الثاني ١٩٣٣ ، ص ١٩١ .

إضافة لوليمة الشواء ، فإن الشعر البدوي في النقب ، يحفل بشكل آخر من أشكال الوجبات البدوية الشعبية ، وهذا الشكل مملح مادي آخر من ملامح كرم البادية ويعتبر بحق " شيخة الوجبات " ويطلق عليها " المنسف " .

يعتبر المنسف البدوي إفرازا طبيعيا اقتصاديا لبيئته ، وترتبط إثارة الاجتماعية بمظاهر الكرم ، يقول " الخشمان " :-

إيمرعي غنهم يجلبك حسن مرياع تلقى المناسف باللحم والثريدي
لقد عبر الشاعر عن كل كرم أهل " الطبيق " * ، بطبخ المناسف ، التي اكتنفها اللحم والثريد ، وتقديما للضيوف . ولم ينس الشاعر ان يربط مملح الكرم هذا بسبب اقتصادي إنتاجي ، وهو الغنم .

ان امتلاك الغنم وسيلة إنتاجية ، هيا للقوم أسباب صناعة المناسف ، لان الأغنام ترفد البداة بعناصر الصناعة مثل : اللحم ، واللبن ، والسمن ، ويشير الخشمان الى جزء من هذه العناصر في قوله :-

محلا الخبز ع الصاج والطابون والسمن لصفر بالمر و مخزون
والزبدة في المزبد عليها القيد وما بتتوكل الا على المضمون
من هنا نلاحظ ان " المنسف " الأكلة الشعبية البدوية ، ابن لبيئته . فعناصره - سوى الأرز - من المشتقات الإنتاجية البدوية ، والمتوفرة في البيئة ، علاوة على ذلك ، فان لتقديم المناسف أثارا اجتماعية كبيرة ، فهي تظهر صور الكرم ، و تظهر التماسك الاجتماعي ممثلا في تحلق الجماعات حول المناسف ، وتناولها بصورة فطرية جماعية .

ويستعير الشاعر الشعبي " فرج أبو ختلة " عنصرين لازمين لصنع المنسف ، هما : السمن واللحم ، ويوظفهما لبيان كرم الممدوح في إطعام قومه ، وابن السبيل :-

وجوزية يدفق بها السمن تدفيق من شان هشال الخلا والفريق
يا حلو ذبح مهزعات المعاليق بربعه الي بالضيف ما يضيق⁽¹⁾

* الطبيق : مطقة أردنية ، جنوبية ، باعتها المملكة الأردنية للمملكة العربية السعودية .

ويرسم الشاعر بالألفاظ (يدفق ، تدفيق ، ذبح مهزعات المعاليق) تلقائية في أحداث الفعل ، وكان السجية ملازمة لإنسانها لا تفارقه ، ثم بين بعد ذلك الأثر الاجتماعي لهذا الكرم ، والذي تبدى في إطعام الجار ذي القربى ، وابن السبيل .

وإذا تغنى الشعراء بالكرم ، قيمة من قيم البادية ، وإحدى فضائل أصحابها ، فإنه يعتبر أيضا سمة أساسية من سمات شيوخها ، مقترنا بصفات أخرى ، ولكنه يبقى علما على الشيخ ، وراية له ، فإذا كان مطلوبا من ابن البادية ان يتشح الكرم ، فما أخرى شيخه ان يكون سابقه . وهنا تبرز هذه الصفة أساسا لا غنى للبناء القبلي عنه . وإذا علمنا ان الضيف الغريب لا يفكر ان يحل الا في شق الشيخ ، استطعنا تصور ان الشيخ - ان لم يكن مفطورا على الكرم - فإنه مجبور عليه . يقول الشاعر خالد الصانع في ذكر شيخ قبيلته:

تلفوا على بو طقيقة يا عد مذكور وكم حيالهن يرمي شحمهن⁽¹⁾
لقد خلد الشعر الشعبي الشيخ " أبو طقيقة " - احد شيوخ الترابين - على لسان الشاعر وعلى السنة الناس عامة ، فهو معروف مذكور ، ومعدود من أعيان البدو ، ولا يمكنه ان يكون كذلك ، الا اذا اتصف بالحميد من الصفات ، وعلى رأسها ما ذكره الشاعر من كرم الممدوح ، وذبحه الذبائح للضيوف ، ونشتم من البيت رائحة الشحم المشوي الزكية ، وكان الشاعر لأم بين ذبوع أمر الشيخ وكرمه بين الناس ، وانتشار الرائحة من الشحم في الفضاء أثناء الشواء.

ويحقق الشاعر " خليل اللوافية " المعنى نفسه في مدحه الشاعر الدمانى، فأول ما تبادر لذهن " اللوافية " في مدحه ، الإعلاء من مرتبة صديقه

(1) جوزيه : وعاء يطبخ به ، تدفيق : كناية عن الكثرة ، من شان : لأجل ، هشاك الخلا : ابن السبيل ، عابر السبيل ، الفريق : العشيرة ، مهزعات المعاليق : ذوات المعاليق الجيدة ، والمعلق ما كان من أحشاء الحيوان .

(2) تلفوا : تحلوا ضيوفا ، عد مذكور : عين من أعيان البدو ، كم : كم الخبرية للتكثير ، حيالن : حيال ، شياه لم يتم عشارها ، يرمي شحمهن : كناية عن ذبح الشياه ، ناخذ : ناخذ .

"الدماني"، وجعله في مصاف الشيوخ، عندها أصبح بيت الممدوح مجمعا للضيفان من كل حذب وصوب :-

بيته إجمع بين كل مضرب ما يجيه غير ضيفان من كل صوبي
وبتلقائية واضحة، ينصح الشاعر الشعبي "حرب أبو ربيعة" صديقه
الفارس، ان يحل (يلقي) ضيفا على الشيوخ المتصفين بالوقار، أصحاب
الكلمة المسموعة والصيت اللامع. وبعد هذا الوصف المعنوي الداخلي للشيوخ،
يتجه الشاعر لرسم صورة خارجية لهم، فهم يتزرون ثيابا جميله تليق
بمكانتهم، يقول الشاعر :-

يا راكبه ان ودك تزيعه اوصيك لا ترخي عليه الحبال
تلفي على الشخان زلم سجيحه زلم تلقاهم بالمجالس يقال
الشيخ لانه جاك تسمعه تريعه تلقاه يمشي في هدوم رفال (1)

ونلاحظ هنا ان الشاعر انتهج نوعا من المدح المركب - ان صح
التعبير - فهو يمدح صديقه، ويجعل منه فارسا خيالا، لا يليق نزوله الا على
شيوخ من شاكلته. كما يمدح المضيفين، بكلامهم الرائع، ووقارهم، وعلو
مكانتهم، وحسن مظهرهم.

ويتجلى في الشعر الشعبي في النقب مظهر آخر من مظاهر الشیخة
يتعلق بالكرم بسبب، وهو الإكثار من استخدام القهوة العربية. والقهوة من
مستلزمات الضيافة عند العرب، وبالتالي فهي تصب في ميزان الشیخة البدوية،
وتتناسب ومكانة الشيخ، وعلو منزلته، طردا مع كميات القهوة التي
يستخدمها (2). وكثيرا ما وصف الشيخ بان "ناره ما بتتطفئ"، كناية عن
اشتعال النار الدائم، لتجهيز القهوة العربية، والحفاظ عليها ساخنة. يقول
الشاعر "داعس أبو كف" :-

(1) الجمع : الذي جمع، مضرب : مكان سكن البدو، يجيه : يأتيه، تزيعه : تجعله يمشي سريعا،
إن ودك : إن أردت، الشخان : الشيوخ، زلم : سجيعة : رجال وقورون، تلقاهم بالمجالس
يقال : كناية عن الوقار، هدوم رفال : ثياب جميلة، لانه : إن، جاك : أتاك، تريعه : توقره
(2) سنتناول موضوع القهوة في الشعر الشعبي في موطن مستقل، الهزيل والتيها : قبائل تسكن
النقب الفلسطيني، الي : الذي، جوا السرايا : داخلها، السرايا هي بيت الحكومة (في لهجة العامة
)، جاله : أتاه، مبسوط : مسرور، وين : أين، بتمون : كلمته مقدرة ويحترمها الجميع

وأما الهزبل عندهم شيخ مختار كل التياها تاخذ الرأي منه
 عنده أكياس البن يمين ويسار ما هو من الي البخل يشح عنه
 جوا السرايا كلمته بألف دينار لن جاله المظلوم مبسوط منه

لقد كثف الشاعر كثيرا من الصفات التي تمجد صاحبها في أبياته ، فأضحت هذه الأبيات وثيقة عامة (لا تخص شيخ الهزبل فحسب) ، بل تتعداه لتعلن عن مؤهلات الشخص الذي يطمح في تبوء منزلة الشيخة في قبيلته .. وأول هذه المؤهلات : أن يكون اختياره باتفاق عموم أفراد القبيلة ، وهذا النهج الديمقراطي هو الأقدر على اختيار الأصلح للزعامة ، وأدعى لتعزيز قوة الشيخ ومكانته بين رجال قبيلته. علاوة على ذلك فإن سداد رأيه يجعله صالحا للمشورة ، قادرا على حل المشاكل، يقول الخشمان : -

وين الي كانت كلمته يتمون وبيت الكرم ما تنطفي له نار
 وثانيها : -

حيازة البن وتعاطيه ، وتقديمه للضيوف ، ولأفراد القبيلة على الدوام وهذا مظهر من مظاهر الكرم . ويعزز الشاعر هذا المعنى باستخدامه النقيض " البخل والشح " في عجز البيت الثاني : " ما هو اللي البخل يشح منه " .
 وثالثها : -

يتلخص في علاقة القانون العشائري والنظام الجزائي البدوي ، بسلطة الدولة . يقول أبو كف : إن سلطة القانون العشائري ، متمثلة في شيخ الهزبل ، قوية جدا ، مقارنة بسلطة الدولة ، إضافة لذلك فإن الدولة تعتبر هذا الشيخ مسن الأعيان ذوي الكلمة المسموعة : " جوا السرايا كلمته بألف دينار " .

الشدة محك الرجال وامتحان الفارس ، وبعد نجاح الشيخ الفارس في الامتحان يتعاضم نفوذه ، وتزداد قوة استقطابه لرجال القبيلة ، ويتسارع الأفراد ليكونوا جنودا تحت رايته ، يأثمرون بأمره ، ويتتهون بنهيه . ولا شك في أن هذه النتائج الإيجابية التي حصل عليها الشيخ من مواقفه الأخلاقية تجاه القبيلة تعزز أواصر العلاقة القبلية ، وتشد أصر البناء القبلي . ولهذا فليس غريبا أن يقول الشاعر " خليل اللوافية " للشيخ : " نحن معك " ، قلنا وقالنا ، روحا ومالا ..

إن كان تبغي كونه خلنا نخرب أو نرتمي في وسط نار الهبوبي
حنا معك ما هو كلام مورب برواحنا والمال وسط الصقوي
نمشي ترى وياك عتراب الأدرب وندوس حنا كل عاذل كذوبي⁽¹⁾

إن التأمل في ظهور " ضمير الجمع " ، سواء أكان متصلا أم منفصلا - في هذه المقطوعة ، يستطيع أن يتصور مدى التلاحم القبلي ، ومدى قوة الشيخ في تأثيره على أفراد قبيلته (خلنا ، حنا ، أرواحنا ، ندوس.... الخ) . ويبدو نفوذ الشيخ في هذه المقطوعة واضحا قويا ، يتشكل من حاجة يوحى بها الشيخ ، أو طلب يطلبه ، حتى يقوم جميع الأفراد بتلبية الطلب ، (ان كان تبغي خلنا) ، وان القبيلة وشيوخها تتعامل بالفعل (أوامر الشيخ) ورد الفعل الإيجابي (الاستجابة للأوامر) ، وذلك مهما كلف القبيلة من الأموال والأرواح .

ولا يعتقدن أحد أن الصفات الحميدة مقصورة على شيوخ القبائل دون أفرادها، ولكن في عنق الحسنة يستحسن العقد ، هذا أولا أما ثانيا ، فإن تركيز الشعراء على مدح شيوخهم والافتخار بهم عادة منسوخة منذ القدم وهي من هذا المنظور يمكن أن تكون جريا على عادة القدماء من الشعراء . وثالثا ،

(1) تبغي : تطلب ، تريد ، كونه : معركة أو غزوة ، خلنا : دعنا ، نحزب : نجتمع كالحزب ، حنا : نحن ، كلام مورب : كلام نفاق ، وسط الصقوني : وسط المعارك ، وياك : وياك ، معك ، عتراب : على التراب ، ندوس : نسحق .

ان تركيز الخصال الحميدة ، والأخلاق الفاضلة في شخص الشيخ يعتبر تلخيصا لمفاهيم القبيلة الاجتماعية عامة ، فهذه المفاهيم جزء من الدستور القبلي الاجتماعي الشفوي ، وما ينطبق على الشيخ ينطبق من باب أولى على الأفراد . فالفرد في القبيلة صورة مصغرة ممثلة للشيخ في كل ممارساته الاجتماعية . يقول الشاعر سلامة أبو ربيع الحويطي :-

ما يستر الرجال ملبوس ثوبه الدين وأفعال الشهامة له ثياب

لقد نسج الشاعر من الدين ، وأفعال الشهامة ثيابا للبدوي ، ملازمة له في حله وترحاله سائرة له ومجملته لجسده . وأفعال الشهامة التي يتزورها البدوي ، خليط من عادات راسخة أصيلة ، متعارف عليها في البداية ، ومن ممارسات البدوي ، أو نواتج تفاعله مع المواقف الآنية التي تواجهه أو يمر بها . من هنا يمكن القول ان أفعال الشهامة كثيرة غير محدودة إذ هي الحياة نفسها . وتدور هذه الأفعال حول الكرم والنخوة ، ومساعدة الضعيف ، وإجارة الطنيب ، وحماية المرأة وحقوقها ... الخ .

ويظهر الشاعر " عبد القادر الهباهبة " بعضا من هذه العادات والممارسات في شعره وذلك في أثناء وقوفه على اطلال قبيلته المرتحلة ، ومناجاتها . وقد جاء ذكر بعض هذه الخلال الحميدة على لسان الشاعر ، وبعضها الآخر على لسان الطلل ، بعد ان جسده الشاعر شخصية لها سماتها الإنسانية ، يقول " الهباهبة " :-

قمت أتذكر في الزمان العتيق	وخبري فاهلنا في مشاريق صيحان
عادات اهلنا يسكنون الطريق	وفي بيوتهم يا ما شبع كل جيعان
تلقي منازلهم علون الحريق	من كثر ما حطوا على النار عيدان
حي الرجال اليكرمون الرفيق	والي يعاديهم بعد دوم خسران
مررت انا عادراهم في طريق	لقيت ساكنها مع اليوم غربان

يا دار كنت مجمعا للفريق وفي ساحتك ياما قلط كل حوشان

ومرحوم يلي بالمحافل تليق
 يلي يشهد لهم عدوي وصديقي
 ردت علي الدار قوم استقيقي
 بالجوود والمعروف تبقى وثيقي
 وماني بحال الي مهرجه ضيقي
 ان صادفك حياك كانه صديقي
 راعي النقيلي وان قعد ما يليق
 وراعي الحق ما ينوجد له صديقي
 وراعي الحق مذموم لو كان سلطان⁽¹⁾

من ثنايا هذا الجو الرثائي للدار ، وصاحبها ، يطل علينا كثير من الشيم العربية الأصيلة ، والعادات الماجدة ، والتي نسبها الشاعر لقومه ، وبدا محققا في التغني بها ، مظهرا ما لقومه من أمجاد . والمتأمل فيما ذكره الشاعر من قيم اجتماعية ومعايير ، يجد فيها صفة العمومية ، وان كان قد نسبها لقوم بعينهم ، فهي تلائم كل زمان ومكان ، ولكنها وبدون شك تبدو أكثر ملائمة للحياة البدوية الصحراوية منها لبيئة أخرى . أنها إفراز حقيقي لنمط البيئة البدوية القبلية ، وانعكاس صادق للعلاقات الإنتاجية القبلية .

حدد الشاعر مكان سكنى قومه ، وجعل المكان علما على الكرم وعنوانا له . فبنى الشاعر مساكنهم قرب الطرق ، ليسهل على المارة ان يحلوا ضيوفا عليها ، وربما تأتي هذا المعنى من معاني شعراء السلف ، كقول طرفة بن العبد :-

"ولست بحلال التلاع مخافة
 ولكن متى يسترفد القوم ارفد " ⁽²⁾
 ويتتبع الشاعر آثار كرم قومه ، ويبينها لإثبات جملته الخبرية :-

⁽¹⁾ صبحان : منطقة في البادية الأردنية الجنوبية ، علون : على لون ، مثل ، حطوا : وضعوا ، اليكرمون : الذين يكرمون ، عادارهم : على دارهم ، قلط : دخل ، حوشان : غريب عن القبيلة ، استقيقي : انهض ، غشيم : جاهل ، أحمق ، خليه : اتركه دعه ، حيف : ظلم ، راعي النقيلي : تمام ، ينقل الكلام ، بخنته : عرفته جيدا بعد ان جربته والفعل مستخدم لهذه الدلالة في باعون إلى الشمال الغربي من جرش وفي العبرية (بخين) بمعنى خبير ، وين : أين .

⁽²⁾ الزوزني ، ابو عبد الله الحسين ، شرح المعلقات السبع ، " طرفة بن العبد " ، مكتبة العارف ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٨٠ ، ص ٨٣ .

عادات اهلنا يسكنون الطريق وفي بيوتهم ياما شبع كل جيعان
ويستخدم الشاعر لذلك اللون الملائم لصورة الكرم . فيجد في لون الدخان
الأسود العالق بالبيوت علامة على مدى استخدام النار لصنع طعام الضيوف
على نحو ما نجده في قولهم فلان كثير الرماد . وما يزيد في تأصيل هذه العادة
الإيجابية (الكرم) في البيئة ، أنها بنت شرعية للفروسية ، ومتولدة عنها
(ولي يعاديه بعد دوم خسران) . ثم ينتقل الشاعر من حافة الطلل الى مركزه
(الى شق الشيخ) ، الذي كان مجمعا لأبناء القبيلة ، وهنا يتناغم "الهباهبة" مع
الشاعر "الخشمان" في وقوفه على طلله :-

كانت في بيت الشيخ لمتهم الفرحة واحده والحزن من كاس
يمثل شق الشيخ في هذا الشعر ، صورة مصغرة ، أو نواة النظام القبلي الكبير ،
ففي الشق يجتمع رجال القبيلة ، يتسامرون ، ويتدارسون قضاياهم ، ويتخذون
القرار الموحد حيال هذه القضايا . وفي حين يلتقي الشاعر مع مجمع الفريق (
الدار) ، الا انه لا يمكنه التقاء شيخ المجمع المتوفى ، فيترحم عليه الشاعر ،
ويركز شمائله في قدرته على القضاء ، واستطاعته حل المشاكل العشائرية .

يلي يشهد له عدوي وصديقي بين العشائر كان قاضي وفهمان
فالكل يشهد للشيخ ، بجدارته في القضاء ، وسداد الرأي في حل المشاكل ، بعد
ذلك يوحى الشاعر للمتلقي باحتمال موت عادات القبيلة وانسثارها بموت
صاحبها الأول (الشيخ) ولكن توظيف (أنسنة الدار) وردّها على الشاعر
نفي هذا الاحتمال :-

ردت على الدار قوم استفيقي كأنك بحكم الله يا غشيم جهلان

ويثبت المكان (الدار) ، استمرارية هذه العادات الأصيلة من الماضي للحاضر ، بل يمضي بها - من خلال نصائحه التي قدمها للشاعر - في طريق المستقبل . واكتفى المكان بترحمه على القاضي الفهمان ، موحيا بان الحياة بعده لن تتوقف ، وكذلك أفعال الشهامة المرتبطة بالمكان لا تتوقف أيضا . ودعا المكان الشاعر كي يتمسك بعادات جليلة وصفات حميدة مثل : الجود ، والمعروف ، وتجنب الطمع . كما دعاه الى نبذ أخرى مثل :- ضيق الأفق والسعي في النميمة ، والنفاق ، والحمق ...

ويمدح الشاعر الدماني صديقه أبا محارب ، ونقرا من خلال هذا المدح صفات الفارس الكريم :-

أبو محارب لا مشى للشيء جابه قدم بالضيقات طويلة يمينه
لا نوى عالصعب جسر ولا يهابه والدلائل واضحة مهية دفينه
" فأبو محارب " فارس ، ودلائل فروسيته واضحة للعيان : فهو ان نوى على فعل شيء حققه ، وان أراد شيئا فعله ، وان طلب شيئا ناله ، وخلاصة القول ان أبا محارب لا يعجزه شيء . ولا يتطلع " أبو محارب " تطلعات عامة الناس ، فهو يروم الصعاب ، ولا يهابها ، وهذا يتطلب قوة وإقداما ، وكذلك الممدوح فهو جسور قوي لا يخاف . وأبو محارب كريم :

وأكثر ما يكون كرمه وقت الشدة والضيق . وحين يكون الكرم والجود ضرورة من الضروريات ، نجد أبا محارب يبادر بكرمه لفك ضيق الناس ، والتفريج عنهم في محنهم .

ولم يخبر الشاعر المتلقي بكرم أبي محارب وفروسيته بشكل تقريرى ، بل حاول إقناع المتلقي بذلك ، فوضع ممدوحه في اختبارين ملائمين للفروسية والكرم . أحدهما في الصعاب ، والثاني في وقت الضيق ، ونجح الممدوح فيهما .

وفي السياق نفسه ، وفي القصيدة نفسها ، يتطرق الشاعر لصديق آخر ،
ويصوره وسيما ، جميل الشعر مسرحه ، وتلتقي هذه الصورة الجسدية الجميلة
مع أفعال الشهامة التي يقوم بها الممدوح :

وبو عاكف شوق ممشوط الذوابه له مواقف طيبه حنا خابرينه
والدماني في تصوير ممدوحه يتمثل قول " الحويطي " :-

ما يستر الرجال ملبوس ثوبه الدين وأفعال الشهامة له ثياب
فوسامة الممدوح وحدها غير كافية ، وبدت الصورة بالوسامة لوحدها ناقصة
، فأكملها الشاعر " له مواقف طيبه " .. وبذلك أتى الشاعر على تقرير كل
صفات الممدوح ، وأحاط بها جسدا وروحا ، شكلا خارجيا وجوهرا ، مادة
ومعنى ..

وان بدت هذه الصفات الشخصية ذاتية ، يستغلها الشعراء ويوظفونها
في سبيل إنجاح مشاريع مدحهم ، الا أنها - في الوقت نفسه - تأخذ الطابع
العام ، فمنها تتشكل قيم البادية ومعاييرها الاجتماعية .

وإذا مجد الشعر الشعبي أخلاق البادية (الأخلاق المثالية) ، وعاداتها ،
وخلد ممارسات البدوي ومواقفه الطيبة من خلال أفعال الشهامة ، فانه أدان
المثالب واستنكر (أخلاق العيب) ، ونفر من الممارسات السلبية ، وهذا
ما نقرأه في شعر " تيسير الذيابات " :-

ناس على ناس تحالي	والغدر به زاد مقياسه
في وجهك صويحبك غالي	وبظهرك الناب غراسه
لا احتاجك بك بالحالي	حلو الحكي بك بسياسة
ولنه قضى منك دجالي	الكذب بك تفرع اجراسه ⁽¹⁾

لقد أدان الشاعر ، واستنكر الاحتيال وعمليات " النصب " التي تجري
بين الناس ، كما استهجن صفات الكذب ، والغدر ، والانتهازية . علاوة
على ذلك فانه أدان ممارسات بعضهم ، ووصفها " بالنفعية " وان غاية

(1) صويحبك : صاحبك ، لا احتاجك : لو احتاجك ، بك : يأتيك ، ولنه : وإذا ، عزي : لفتة
تمني ، يزين : يجل ، تخاريف : من الخرافة (خزعلات) ، جهالي : جهل ، يفز : يقفز ،
ينهض مسرعا ، طوالي : توا ، فورا ، بالحال ، لا وجع : لو تالم الي : الذي .

ممارستهم تيرر وسيلتها (لا احتاجك بك بالحالي حلو الحكي بك بالسياسة)
 ان في إظهار الأمور السلبية ، وفي أدانتها لتثيت للأخلاق الحميدة ،
 والممارسات الايجابية ، فمن البدهي ان السلب عادة يذكر بالإيجاب . فعندما "
 يتقزز " الشاعر من مجتمع نمت فيه ظواهر الخداع ، والنفاق ، والكذب والزيف
 فانه بشكل آخر يدعو لمجتمع " النقيض " ، مجتمع خال من مظاهر السلب .
 ولا أدل على ذلك من ان الشاعر نفسه ، وفي القصيدة نفسها غير الصورة
 السلبية للمجتمع الى أخرى ايجابية عن طريق ذكره للضد :-

وعزّي على وقت يحلالي	والصاحب يزين مجلسه
ما به تخاريف و جهالي	يبعد عن الكذب وانجاسه
الصاحب يفز طوالي	لصاحبه لا وجع راسه
يعطيه من زايد المالي	فقر الليالي مع داسه
وما يسمع لقول دجالي	الي له الكذب دستاسه

بمقارنة بسيطة بين مقطعي القصيدة ، نستنتج منها السلب والإيجاب
 وكان الضد يظهر حسنه الضد ، فالمتأمل في المقطعين يرى :
 الوقت الحالي بهمهم وتعاسته وبؤسه . يقابله الوقت الذي يحلو للشاعر .
 الصاحب الغدار الانتهاز الكذاب . يقابله الصاحب الذي يساعد صاحبه ويتألم
 لألمه . وبالخلاصة هناك مجتمعان :

مجتمع الخزعلات ، والجهل ، مجتمع النفاق والكذب .
 ومجتمع الصدق ، والوفاء ، والتضامن ، مجتمع الفضائل .
 ان قصيدة " الذبابات " معرض للصفات ، حميدها وخبيثها ، فهنا
 صفات البدوي الأصل ، الذي يعتز به ويتغنى بأفعاله ، وهناك ما يجب على
 البدوي الابتعاد عنه وتجنبه .

ويدور الشاعر "فايز العطيوي" حول المعاني نفسها ، في بيان صفات الأندال من الرجال ، وهو بدوره يذكر بهذه الصفات ، مستنكرا لها وداعيات الناس لتجنبها ، ونبذها ومحاربتها : -

النذل لو هو واحد من عيالك	ما ينفعك بساعة الضيق لا جاك
اليا اغتنى جنب ودور بدالك	ولا صار محتاجك يجيك ويطرجاك
لا صار محتاجك يجيك ويحني لك	وليا قضى المطلوب جنب وخلاك
لا صار له حق يسوق حلالك	ولو تطلبه حقلك من الظلم عاداك
وليا جلس في وسط مجلس قبالك	من النذالة يمدحك لين علاك
ولا غبت عن مجلس وجابه بمالك	من النذالة يقدحك لين وطاك
الواطي يبقى واطي لو زهالك	ولو ترفعه يرجع على مستوى حذاك
يا قلب لا تتبعه ماله ومالك	ان ما بلي نفسه مع الناس يبلاك
يرد طيبك بالردية جزالك	وليا جزيته خير بالشر يجزاك ⁽¹⁾

معرض آخر من معارض صفات الأندال ، يعرضها الشاعر بشكل تقريري مباشر ، وبهذا الأسلوب خاطب الشاعر المجتمع بأكمله ، وكأنه يصوغ دستوراً من صفات السلب في المجتمع ، ملخصه أن النذل من الرجال وإن كان قريبك :
فإنه لا ينفعك " في ساعة الضيق " ، وما أكثر ساعات الضيق في البادية حيث المحل والجدب ، والقتل ، والثأر ، وموت الحلال ، وهنا تظهر أهمية المساعدة وقت الضيق وضرورتها .

إنه منفعي ، انتهازي ، تقوده مصلحته ، ولا يرى غيرها . وإن أصبح غنيا تركك ، وإن احتاجك أتاك ورجاك لقضاء حاجته .

(1) عيالك : أقاربك ، لا جاك : لو جاءك ، اليا : إذا ، جنب : ابتعد ، لين علاك : حتى يعطيك ، الواطي : السافل من الناس ، زها : بدا جميلا ، حذاك : حذاءك ، بلي نفسه : ورط نفسه في مشكلة ، طيبك : صملك الخير له ، الردية : الشر ، جزالك : جزاء لك .

- لا يراعي فيك إلا ولا ذمة ، ان صار له حق عليك ، ساق غنمك وحلالك قضاء لحقه أو دينه ، وان كان العكس وطلبت حقك منه ، فانك عدو له خصيم .
- منافق، متملق ، يمدحك في حضورك ، ويستغيبك ويطعنك في غيابك .
- يجرك في مشاكله مع الناس .
- انه مثل البغال " تناوله العليق فيناولك الجوز " * ، كذلك النذل تصنع له خيرا فيكافئك " بالردية " وبالممارسة السلبية المعيبة .

ولا شك ان هذه الصفات السلبية ، لا تخص فردا بعينه ، بقدر ما تخص ظواهر اجتماعية عامة . يملكها الحضري والريفي كما يملكها البدوي ، ولكن تأثير هذه الظواهر السلبية في البادية اكبر منه في الريف والمدينة ، وذلك نتيجة ضابط النظام القبلي الأكثر تماسكا في البادية . ومن هنا ركز الشاعر في إبراز هذه الصفات على مفردات الطبيعة البدوية ، حيث المجالس البدوية ، وما يدور فيها من حديث ، يعلي مرتبة الفرد ، أو ينقصها ، وحيث " النذل " يسوق " حلال " المحتاج وماشيته ، ان لم يستطع الوفاء بدينه . ويذكرنا هذا الحال ، بتصرفات رجال الإقطاع في الريف الفلسطيني في أربعينيات القرن الماضي وخمسينياته ، إذ كانوا يستغلون فقر الناس وحاجتهم ، فيحتالون عليهم برهن أراضيهم ، مقابل مساعدتهم ، وهذا بالتالي كان يجر لاستحواذ الإقطاعي على ارض المدين.

ويعيب الشاعر " عقل أبو عمرة " ، ادهم ويدعى " سحيمان " . متهما إياه بالبخل ، ومبرزا بخله في مظهرين :

الأول : تخبئة دلة القهوة ، وخبزها في صندوق مغلق ، كناية عن عدم استخدام القهوة ، التي تعتبر مظهرا من مظاهر الكرم .

* الجوز ، الزوج ، والمقصود هنا رفسة برجليه ، وهذا مثل شعبي يستخدم في دلالة من يفعل خيرا يلق شرا .

والثاني : طرد الضيوف ، وعدم القيام بواجب ضيافتهم ، وترك الآخرين للقيام بهذا الواجب ، حتى غدت بيوت " سحيمان " تمججو "الجوعان " ، وتذمر من الضيف ، وفي ذاك عيب ما بعده عيب . وربط الشاعر البخل بالعيب ، والعيب نقطة منحدره من نقاط التدني الخلقي ، وقد بالغ الشاعر في الصورة ليصل هذه النقطة . فقد ذكر أن البيوت تمججو الضيوف وتذمر منهم : -

العيب والعيب يا سحيمان العيب تسكر على الدلة

ضيفك تعقه على الاخوان ربيت لك عندهم شلة

بيوتنا تمججو الجوعان لن جا هوارب من القلة⁽¹⁾

بيوتنا تمججو الجوعان . وهنا يمكن تأويل المعنى على احتمالين : -

- هل قصد الشاعر البيوت الشعرية والقصيد ، وحاول تأصيل عادة الكرم منذ

القدم ، فهي مرسخة في شعر القدماء وقصائدهم ، كما هي في شعر المحدثين .

- أم أن قصد الشاعر كان منصبا على البيوت الشعرية ، وهي مكان النظام

البدوي القبلي ، ومنه تنطلق أسس علاقاته الاجتماعية ، ومظاهر العلاقات من كرم وغيره .

(1) تسكر : تغلق ، تعقه : ترميه ، شلة : عدد كبير ، لن جا هوارب من القلة : إذا جاء هاربا من الجوع وقلة الأكل .

النصائح الشعرية البدوية (الوصايا)

تعتبر النصائح أو الوصايا الشعرية البدوية ، امتدادا لما سبق أن ذكرناه من تمجيد لقيم البادية وعاداتها الحميدة ، ونبذ القيم السلبية واستكثارها .. فهي تراوح في معانيها بين مدح وهجاء . ومن هنا كانت هذه النصائح تدور حول " افعل " " ولا تفعل " ، وفي كلا الحالتين ، فهي تضع منهاجا للحياة الاجتماعية عند البدو ، ومن خلال رسمها لكيفية التعامل الأخلاقي وكيفية التصرف في مواجهه المواقف الحياتية المختلفة ، وعادة ما تصدر هذه النصائح عن شيوخ مجربين ، عرف عنهم سداد الرأي . وقد توجه النصائح للناس بشكل عام مثل قول الصواحين :-

أوصيك لا تبجح على متن خوَار ما يعجبك لنك تزيد العليق
أو قد تكون موجهه لشخص بعينه ، ولكن بحكم شعبيتها ، وشعبيتها تأخذ صفة العموم ، مثل وصايا الشيخ بشير الزواهره لابنه نمر :
بالعرب يا نمر سويتلك صيت بين المشايخ كرسى ابوك تثنى
أوصيك بختم ابوك والاسم و الصيت واضرب بحد السيف من دونها (1)
ويلخص الباحث " العبادي " دوافع الوصية في :-

١. حب الشخص للآخر : كان يوصي الحبيب محبوبه ، اي يفعل كذا وكذا ، لكي ينال رضاه أو مبتغاه ، وعادة ما يوصي الوالد ولده .
٢. الرغبة في الانتقام : اذا عجز الموصي - خصوصا صاحب الحق - عن اخذ حقه لمرض الم به ، أو سجن ، أو لإصابته بعاقة ، فانه يوصي ذويه - في مثل هذه الحالات - بأخذ ثأره .
٣. تلعب الوصية دورا مهما في القضاء العشائري ، فعادة يوصي شيخ مجرب المتهم أو صاحب الحق ، مذكرا بأمر تجاهلته المحكمة ، مما قد يؤدي الى تغيير مجرى الحكم .

(1) متن خوَار : ظهر جواد غير أصيل ، سويتلك : صنعت لك ، صيت : سمعة حسنة ، تثنى : يتمایل طربا ، واعترازا ، اضرب : اضرب ، من دونها : من دونها .

٤. وكثيرا ما ظهرت الوصايا والنصائح في الحكم البدوية " (١).

وتكاد قصائد النصائح والوصايا تأخذ شكلا واحدا ، فغالبا ما تبدأ بذكر الله ، والصلاة على نبيه صلى الله عليه وسلم ، بعدها يعرض الشاعر ما بحوزته من نصائح ، يختتمها بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم والسلام عليه . إما أشكال الوصايا التي أوردها " العبادي " ، فهي أقرب لان تكون مضمونا لها ، حيث قسمها الى شكلين :-

١- " الوصايا الواقعية : وتتضمن التمسك بالأخلاق ، والمثاليات

، والسلوك الحسن ، وتقوى الله ، ونبذ الانحراف مثل :

اول وصاتي بالفروض الدينية صوم وصلاه بوقتها بالمواعيب

درب الزنا والعابية والقريبة ترى هذولين من كبار العذاريب

٢- الوصايا الخيالية : مثل قص الشعر حدادا على الميت :-

قصن الشعر يا صابناته ليش قصين الشعر ع طعامين العيش

قصن الشعر يا صابناته عاد قصين الشعر ع طعامين الزاد (٢)

وعند استعراض شعر النصائح البدوية* ، والتأمل فيما تضمنته من مفاهيم ، نجدها تحاول تكريس هذه المفاهيم في النظام الاجتماعي القبلي ، لتكون دستوراً لهذا النظام .

يقول الشاعر " مجحم أبو غليون " في نصائحه :-

يا الله يا معبود تغفر زلتي يا غافر الزلات يا عظيم

يا سامعين القيل عندي نصيحة نصيحة يوصي بها كل فهم

احفظ صلاتك واجتهد في اركانها الروح زائلة والزمان مقيم

بر الوالدين حج وعمرة خلك على حاجتهم هميم

(١) العبادي ، احمد عويدي ، الوصايا ، الفنون الشعبية ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، الأردن ، العدد الثالث ، ١٩٧٤ ، ص ٧٢ .

(٢) العبادي الفنون الشعبية ، مصدر سابق ، ص ٧٣ .

* انظر " شعر النصائح في ملحق الدراسة .

ترى حقوق الجار وصّى بها النبي
ترى عزيز الجار يرفع مقامه
والظيف شد بيه طناب بيتك
وصلاة ربي عدما لاح بارق
على شفيع الخلق مني تحية
لا بد راحل وانت عنه مقيم
ومكرم من ربه تكريم
من هان ظيفه صار ذميم
وعداد ما يذري النسيم
عليه أصلي وأثني التسليم⁽¹⁾

ونحن من سامعي " قيل " الشاعر ، ونسمع نصائحه التي بدأها بذكر
الله سبحانه وتعالى ، متوسلا إليه ان يغفر ذنوبه ، وخطاياها . ثم نادى سامعيه ،
وقرر لهم : ان نصائحه غالية ، وتستحق سماعها واستيعابها وتمثلها .
خصوصا أنها صادرة عن رجل فهم أحوال الدنيا ، بحكم تجاربه فيها ،
ومقارعتة لها .

ثم بدا الشاعر بتعداد نصائحه ، واختار أولاهما لتكون اخروية ، وذلك
ليلائم بينها وبين ما جاء في مشد قصيده من ذكر الله سبحانه وتعالى . فبدأ
نصيحة مفادها " المحافظة على الصلاة ، والمحافظة على أوقاتها ، وأركانها ،
ولتأكيد أهمية هذه النصيحة ، فان الشاعر ذكر المتلقي أو السامع بالآخرة ، فهو
فان ، ولا يبقى الا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . ويستلهم الشاعر المعاني
القرآنية في نصيحته الثانية المتعلقة ببر الوالدين وتلبية حقوقهم : -

وأماك وأبوك اجتهد في حقهم
بر الوالدين حج وعمرة
ربوك وانت عندهم حشيم
خلقك على حاجتهم هميم
وهذا مستلهم من الآية الكريمة " وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا " ⁽²⁾.
ولتأكيد الشاعر على حقوق الوالدين ، والاجتهاد في برهما ، ساوى في البيت
الثاني بين اجر بار والديه واجر الحاج أو المعتمر .

⁽¹⁾ صانئاته : المعتنيات به ، طعمامين العيش : أرباب الأسر الذين يطعمون خبز القمح ، القيل :
المقالة والقوم ، اركونها : أركانها ، زيلة : فانية ، خاك : ظلك ، هميم : نشيط ، الظيف :
الضييف ، شد بيه : اشد به ، طناب : اطناب ، حبال البيت ، هان : أهان ، بارق : شروق
الشمس ، عداد : إعداد ، يذري النسيم : يهب النسيم
⁽²⁾ الإسراء : ٢٤ .

وانتقل بعد ذلك لإعلان حقوق الجار على جاره ، فمكرم الجار كريم وهنا يستلهم الشاعر معنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه " ⁽¹⁾ ومن حقوق الجيرة و واجباتها ، الى حقوق الضيوف ، و واجبات المضيف ، حيث يحض الشاعر على إكرام المضيف ، لأن منزلة المضيف ومكانته ، تتناسب ومدى تكريمه لضيفه :

والظيف شد به طناب بيتك من هان ظيفه صار ذميم
وعندما استوفى الشاعر نصائحه ، اختتمها بالصلاة على النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

ولم يأت الشاعر بهذه النصائح بشكل تقريرى ، بل حاول أن يقنع سامعه بصحتها وأهميتها ، فظهرت النصيحة في صدر البيت ، تلاها الإثبات في عجزه : -

احفظ صلاتك واجتهد في أركونها الروح زايله والزمان مقيم
أملك وأبوك اجتهد في حقهم ربوك وأنت عندهم حشيم
الظيف شد به طناب بيتك من هان ظيفه صار ذميم
جاء عجز الأبيات هنا ، اقرب إلى المثل أو القول البدهي الذي لامراء فيه ، كل ذلك ليبيان صدق هذه النصائح ، وصحتها ، وضرورة تطبيقها .
ومن الوصايا التي بدت خاصة ، كونها موجهة من والد لولده ، وصايا الشاعر ببيان الفارس ⁽²⁾ لولده رائد .

بدأ الشاعر - وكما هي عادة الشعراء في هذا الغرض - بالتسمية ، وذكر الله وثنى بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم : -

سميت باسم الله أول كلامي رب كريم يحى العظام بكفنها
صليت ع المختار راعي الشفاعة يشفع بنا يوم ثقل وزها

(1) الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني منشورات لجنة إحياء السنة حديث رقم : 1780 ، ص 474 .
(2) هذه النصائح مسجلة على شريط ، إنتاج شركة ماتيكو لتوزيع الكاسيتات الموسيقية ، رام الله ، المنطقة الصناعية .

ثم بين الشاعر أهمية نصائحه ، وضرورتها في تهذيب المسالك وتقويم
الممارسة :-

كتبتها للي احل رموزها مضمون فيها كلمات غالي ثمنها
وما دليل الشاعر على ذلك ؟!

صدورها عن رجل (صب الفكر ، علام بأحوال الدهر) ، وهنا
يوظف الشاعر صيغة المبالغة (صب ، علام) لتعزيز دليله . وهذا العلم ناتج
من مقارنة اللبالي وصعوبات الأيام :-

صب الفكر ، علام بأحوال الدهر الي خبز جور اللبالي وعجنها
ولا شك ان في " خبز جور اللبالي وعجنها " ، صورة جميلة معبرة .. عن
تفاعل الإنسان مع الحياة ، وتكيفه معها ، وما رافق ذلك من تحديات ،
وصعوبات ، ومشاكل واجهته . نتيجة لهذا التفاعل الحياتي ، اكتسب مصدر
هذه النصائح تجاربه وخبراته .

وبعد ذلك بين الشاعر عنوان المرسل إليه ، ونصائحه موجهة الى ابنه،
الذي وظيفه الشاعر فنياً ، كي يكون المتلقي الأول للنصائح ، ويتحول بعد
تلقيها ليكون إذاعة لنشرها وتعميمها بين الناس :

لنور عيني رائد خطيت الجمل عسنة ياخذ بها ولا ركنها
بعد ذلك يوالي عرض نصائحه بترتيب عددي :

فأول نصائحه : تتضمن تقوى الله :

اول وصاتي اتق الله وحده بايع التقوى شبه عابد وثنها

والثانية : تتضمن إتباع سنة النبي صلى الله عليه وسلم :

ثاني وصاتي اتبع سنة نبينا واحذر أمور الشرع لا تحيد عنها

والثالثة : تتضمن طاعة الوالدين :

وثالث وصاتي طاعة الوالدين طاعة أبا وام اشربت من لبنها

والرابعة : تتضمن تزيين النفس بالحلم :

ورابع وصاتي زين النفس بالحلم بالحلم تسمو طول منتي بزمناها

والخامسة : تتضمن حقوق الجار ، والمحافظة على الجيرة :

وخامس وصاتي جار الرضا تحفظ حقوقه وابتعد عن جار العداوة كمنها

والسادسة : تتضمن الكرم عامة :

وسادس وصاتي شرع ابواب بيتك وخلك بشوش الوجه للي لفنها

والسابعة : حماية الدار :

وسابع وصاتي صون دارك يا ولد والدار تعمر بنفس من سكنها

والثامنة : إكرام الضيف ، (وذكر القهوة مظهرا من مظاهر الكرم) :

ثامن وصاتي عز ظيفك يا فتى لطبختك عدل هيلا وبنها

والتاسعة : تتضمن الترحيب بالناس ، قاصدي بيتك :

تاسع وصاتي هلي بالقاصدين زيد الرحب ع حسب ما يعهدنها

والعاشرة : تتضمن الحفاظ على الأمانة :

عاشر وصاتي لتصون الأمانة محمود بين الناس الي يصنها

ويتوقف العد بعد الوصية العاشرة ، ولكن لا يتوقف الشاعر عن طرح وصاياه

بدون عد إذن ان العدد بعد " العشرة " في هذه الوصايا الشعرية الشعبية يشكل

تعقيدا لفظيا ، لا يتلاءم وبساطة طرح الوصايا . وإذا اتبع الشاعر الفصحى في

التعداد ، كان يقول مثلا " ثالث عشر " ويتبع العدد النصيحة ، ظهر ذلك

وكأنه مرسوم رسمي ، وعندها تفقد النصيحة شعريتها وشعبيتها .

وعادة ما يلتف شعراء النصائح إلى العدد ، بعد ذكر النصيحة

العاشرة ، بلفظة " ووصيك " اي اوصيك ، وتتبع اللفظة النصيحة مباشرة كقول

بيان الفارس بعد الوصية العاشرة : -

ووصيك سرك لا تشيعه ع الملا كم نفس جاها ذلها من رطنها

ونلاحظ هنا ، ان التعداد يختلف في حال الأمانى عنه في موقف النصائح . ففي أمانى الشاعر ، وتوسلاته لله بان يعطيه خيرا ، ويبسر له حياته، نجده يحدد أمانيه بعشرة ويبدأ بتعدادها مثل قول الشاعر إبراهيم جرادة:-

العشرة الى بهن العمر ينزاد
يا الله فيهن تكتب نصيبي
ويبدأ العد :

الأوله : بيت وسيع الاطناب يتواعدنه كابات السببي
الى ان ينهي بالعاشرة ، وهي الطلب من الله تعالى أن يبسر له طريق الحج :
والعاشرة يارب الكون لبيتك زوار وأزور بيت الله واشاهد حبيبي
وعند العدد العاشر ، أو الأمانة العاشرة ، ينهي الشاعر أحلامه ، وذلك على عكس صاحب الوصايا .

ان هذه النصائح ، وبما تضمنته من معان أخلاقية ، تعتبر دستوراً لعالم بدوي مثالي وهي بهذا لا تخرج عن إطار المجتمع الذي افترضها ، بل تبدو انعكاساً لمجمل تفاعلاته .

وقد ترد النصائح في ثنایا قصائد متنوعة الغرض ، وليس بالضرورة ان ترد في قصائد مستقلة مثل قول الشاعر يحيى الرقاد :

بنت الردى لوزعت بالعين ما يرفع الراس طاريها
ونا رمانى عليها الزين قطة ليالي وخليها
ويتناغم الشاعران في معانيهما مع الشاعر بيان الفارس في قوله :-
دور على الي منسبين جدودها لو يذكروها في تهامة بيمنها
ترى النساء انواع واسأل مجرب بنت الكحيلة تتعرف من رسنها (1)
وقول الشاعر محارب ذيب في المعنى نفسه :-

بنت البخيل لا توخذها بمالك لو أنها شبه شمس في ظحاها
بيجي منها صقيع الذقن مخول يا خلق الله ياما اودى طناها

(1) بنت الردى : النذل ، غير الكريم ، زعت : جملة ، طاريها : شمعتها ، ونا : ولنا ، قطة : جملة ، وخليها : وتركها ، توخذها : تأخذها ، ظحاها : ضحاها ، بيجي : يجيء ، صقيع النقن : قليل الحياء.

الرثاء في الشعر الشعبي في النقب

يظهر الرثاء في الشعر الشعبي في النقب ، تعبيرا عن الفقدان الابدي المطلق . ولهذا فهو يعكس مشاعر الحزن واللوعة ، مع البكاء والدموع . وفي الرثاء الشعبي - وكما في الرسمي - يذكر الشاعر مناقب الميت الممدوح ويعظمها ، وكأنه يخلد ذكر الميت على مر الزمان . ونلاحظ في المراثي الشعبية نزعة صوفية واضحة ، متمثلة في إيمان الشاعر بقضاء الله وقدره ، وحتمية الموت على رقاب العباد . وتعزز هذه المسحة بتوسلات الشاعر الى الله ، ورجائه إليه ، كي يرحم ميتة ، ويتجاوز عن خطاياها . لنأمل ما عبر عنه الشاعر " محسن أبو عويد " من لوعة على فراق ابنته :-

طلبتك يا رب يا وسيع المطالب	ترفع عنا جميع البلاوي
حببتنا المنايا وشالت غوانيها	وذوقتنا المرعقب الحلاوي
يا نارهم تشعب القلب تشعب	وتحرق الكبد وايا الكلاوي
شيعت بنتي وع الموت صابر	وجتني بنتي بنار تكاوي
انظر جميلي شابك الناب	لني هذيك الليلة صرت حاوي
جوني اثنين رجال صناديد	والكل منهم عنها بالدمع داوي
هذي الليالي عابيات عابنا	مثل القاضي الي بحقه تلاوي
لا بد نموت ونزور المنايا	وياكل منا الدود وكل الشهاوي ⁽¹⁾

يستهل الشاعر مرثيته بالتوسل الى الله كي يرفع عنه المصائب ، انه يسأل الله اللطف في قضائه . ولا شك ان مشهد القصيدة يلائم الغرض الرثائي ، ويوحى به ويقدم له .

(1) وسيع : واسع ، جتتا : أتيتنا ، شالت : اخذت ، غوالينا : أغلى ما نملك ، عقب : بعد ، وايا : و، ع : على ، جميلي : جملي ، شابك الناب : حزين ، لا يأكل ، لنسي : لأنني ، هذيك : تلك ، جوني : أتوني ، عابيات عابنا : نقف ضدنا ، الشهاوي : المقصود هنا حشرات الأرض ، الي بحقه تلاوي : القاضي ممسكا المتهم خوف هروبه.

ثم ينتقل الشاعر لعرض مصيبتة على المتلقي ، ويحاول ما وسعه
الجهد تصوير فداحة الخطب الذي ألم به، من خلال سرده لأحزانه ، ولوعته
في فراق عزيزته. ولعل في سرد الشاعر لأحزانه، ما يخفف عنه بعضها ،
فكأنه يقاسم حزنه الآخرين ، وفي ذلك عزاء له .

ان هول الفاجعة جعلت الشاعر يرى الموت وقد حل في كل
موجودات الطبيعة حوله فبعينيه الحزینتین يرى :

جمله حزينا لا يأكل ، والرجلین الفارسیں داعمین ، واللیل حتی اللیل تقمص
الموت ، فهو ينقض على الناس فاتكاً ويمسك بهم ، كما يمسك القاضي متهما
مجرماً ..

نعم لقد حلت مظاهر الموت في الحيوان ، والإنسان ، ومظاهر الطبيعة
(الليل) فكان الشاعر لا يشتم من البيئة غير رائحة الموت .

وبعد ان يصل الشاعر لهذه الحكمة التي لا حل لها ، يرى من الواجب
عليه ان يرجع الى حكم الله وقدره ، وان يؤمن بحتمية الموت لكل إنسان (لا
بد نموت) ، فيختتم قصيدته بحكمة مأثورة مستمدة من الآية القرآنية " انا لله
وانا اليه راجعون " (١) . يقول الشاعر :-

لا بد نموت ونزور المنايا وياكل منا الدود وكل الشهاوي
لا شك ان هذه البكائية ، صادرة عن موقف جنازتي مهيب ، إطارها
الأحزان وألوانها الدموع ، وخطوطها تلك الصور الكثيرة التي عبر فيها
الشاعر عن عواطفه الحزينة . مثل : نار الأحزان المشتعلة في جسده ،
وصورة الجمل الحزين ، والفارسين الصنديدين الداعمين وصورة مجسدة لليل
ممثلة للموت .

ان المتأمل في هذه الصور - والتي عبر فيها الشاعر عن عواطفه -
يلاحظ توفر عناصرها في البيئة البدوية ، وما كان على الشاعر سوى تجميعها
وترتيبها في نسق شعري شعبي .

(١) البقرة : ١٥٦ .

وإذا انتقلنا للشاعر " عبد القادر الهباهبة " في رثائه لوالده ، نراه بعدد مناقبه ، من خلال منزلته المميزة ، فهو قاضي للعشائر ، ويتميز بسداد الرأي بعد ذكر مناقب المرثي ، تبدأ دموع الشاعر بالمطول معبرة عن الحزن والحسرة للفراق الأبدي بين ولد وولده : -

يا دار كنت مجمعا للفريق وفي ساحتك ياما قلط كل حوشان
ومرحوم يلي بالمحافل تليق بين الجماعة لون شمعه بديوان
يلي يشهد لهم عدوي وصديقي بين العشائر كان قاضي وفهمان
عفراقكم يا بوي وإيس الريقي وغفراقكم جوا الحشا صار نيران
ومن بعدكم في الوسيعة بتضيقي وأبكى عليكم وأنظم الشعر قيغان
تنفق هذه المقطوعة مع سابقتها في الغرض ، فهي ترثي موت عزيز وفراقه . وما أحاط ذلك من لوعة وحزن وألم وبكاء . كما أنها تنفق معها في صورة النار ، التي شبت في الأحشاء نتيجة للموت ، وفي حلول الموت في كل مكان ، بعد أن ضاقت على الشاعر الأرض بما رحبت ، ولكن المعاني التي أرادها الشاعر " الهباهبة " لتعبر عن موت والده ، كانت أعمق من تلك التي عبر بها " أبو عويد " عن فقد ابنته ، فقد امتدت معاني " الهباهبة " من موت فرد عادي في مجتمع ما ، إلى موت عامل اجتماعي له كل الأثر في البناء القبلي . فبيت الوالد كان رمز العصبة القبلية (مجمعا للفريق) ، وكان منارة للكرم أيضا (في ساحتك ياما قلط كل حوشان) ، ويمتد المعنى خارجا من إطار قبيلة المرثي لينتشر بين العشائر المختلفة (فالبيت كان قاضيا لتلك العشائر)

إذن فإن الفاجعة هنا أكبر ، من مجرد موت إنسان عادي ليس له أي تأثير اجتماعي .. إن الموت هنا خطر يدهم البناء القبلي بأسره ، بكل ما يمثل البناء من عادات وقيم ومعايير ، إن شعور الشاعر بهذه المأساة يفسر لنا سر جفاف ريق الشاعر (عفراقكم يا بوي وإيس الريق) * علاة على بكائه المستمر على هذا الفراق .

* روي هذه القصة ، والشعر المتعلق بها نافر أبو القيعان .

والى رثاء شيخ آخر من شيوخ القبائل ، والرثاء هذه المرة ، أخ للشيخ ، وتدور قصة الرثاء⁽¹⁾ حول حصول مشاكل بين احد الشيوخ وأخيه ، ويرتحل الشيخ الى بغداد تجنباً للمشاكل ، تاركاً لأخيه كل ما يملك . ويستقر الشيخ في بغداد ، وينجب ثلاثة أولاد ، وبعد مدة من الزمن ، يحسن الأخ الباغي لأخيه الشيخ المظلوم ، ويشتاق لرأيته فيرتحل لبغداد عله يراه ، ويرد له حقوقه ، ولكن اللقاء لا يتم لموت الشيخ . فيندم الظالم ، وتلم به أمراض مختلفة . وعند دنو أجله يقول :-

شديت على ثنتين مطردات الجفالي	مرفن على بغداد ماردن عليها سلام
لقوني بمحمد وناصر وسلموم	انا لحرصت بهقعد ولا حرصت بهقوم
على الله واسط البيت مهدوم	على خوي صفالي بالمودة ديمة الدوم
الى عمره ما خبث خاطري	ولا كان بيننا قاسم ومقسوم ⁽²⁾

تبرز في هذه المقطوعة ظاهرة الإيحاء بشكل جلي واضح . فالألفاظ تلقى ظلالات وتصور موافقا .

يوحي صدر المشد بمنزلة المرتحل ، والمرتحل إليه ، فلا يمكن ان يمتلك الفرس الأصيلة - التي تجفل من اي شيء - الا فارس ، ولا يمكن ان يقصد الفارس مرتحلا الا فارساً مثله . بينما يوحي عجز المشد ، بالمشاكل

⁽¹⁾ تشي هذه العبارة بهول الموقف ، وفداحة الخطب ، ولا يمكن ان يجف الريق إلا في حالات يسودها الخوف ، والاضطراب ، والصدمة ، والعبارة تتكرر كثيراً في الشعر الشعبي :-

يقول ابو خنلة : يا دموع عيني غورقيني غراريق على مراد النفس ويبس ريقي
اضرب على الخدين واصفق تصافيق من الي جراي يا ناس ويبس الريق

ويقول الصواحين : سوجه على الي كل عد بذوقه فكالك ربه يوم الريق بياس

ويقول نايه المسامرة : يا رجل يالي الخرن تشف الريق والنفس عيت لا ذوق الطعام

أقول : إنها مواقف مرعبة مخيفة ، يسودها الاضطراب ، والقلق ، وهي بلا شك تؤدي إلى " بياس " الريق وجفافه

⁽²⁾ شديت : جهزت الخيل ، ثنتين : اثنتين ، مطردات الجفال : تجفل لأي شيء كناية عن الأصالة ، مرفن : مررن ، لقوني : لقيت ، لحرصت : أم أستطيع ، بهقعد : بالقعود ، بهقوم : بالقيام ، واسط البيت : عمود البيت الأساسي ، خوي : أخي ، ديمة الدوم : دائماً وباستمرار ، خبث خاطري : عكر صفو حياتي

التي حصلت بين الرائي وأخيه ، والتي اضطرت الشيخ لمغادرة أرضه ،
وبيته ، والارتحال الى بغداد .

ويوحي صدر البيت الثاني : بقاء الرائي مع أولاد أخيه ، وفي هذا
أعلام بموت الشيخ ، وإيدان بالفراق الابدي بينه وبين أخيه . ويوحي عجز
البيت : بردة فعل الرائي من هول الصدمة ، فموت الشيخ جعله عاجزا عن
العودة ، وعاجزا عن القيام أيضا ، وفي هذا إحياء بجنون الأخ وتخبطه .

إما صدر البيت الثالث : فيوحي بمكانه الشيخ ومنزلته العالية ، فهو
واسط البيت أي عمود البيت الأساسي ، والذي لا ينهض البيت إلا به .

وبعد هذا ، وبقليل من التأمل نستطيع ان نستخلص الإحياءات التي
قدمها الشاعر والدلائل التي تشير الى صفاء أخلاق الشيخ ، وكرمه ، وصفاء
سريره ، حيث انه لم " يخبث خاطر أخيه " ولو مرة واحدة ، ان الإحياءات
الأخيرة تنقلنا الى جو من تأنيب الرائي لضميره ، نتيجة لتسببه في كل
الممارسات السلبية مع أخيه الشيخ ، وإجباره على الفراق الأصغر (الارتحال
الى بغداد) ثم الفراق الأكبر (الموت) .

ان الشاعر هنا يرثي نفسه بتقصيرها تجاه أخيه ، وبدنو اجلها لما لم
بها من أمراض ، ثم يرثي علاقة أخوية ، أراد تحسينها عن طريق المصالحة
مع أخيه ، ولكن القدر كان مانعا لذلك ، ثم يرثي أخاه (الذي عمره ما خبث
خاطره) ، مما زاد في الحسرة واللوعة والحزن لموته .

لقد كان عزاء دريد بن الصمة في موت أخيه ، انه لم يكذبه يوما ، ولم
يخل عليه فيما يملك :-

وطيب نفسي أنني لم أقل له كذبت ولم ابخل بما ملكت يدي⁽¹⁾
ونلحظ التعبير نفسه في البكائية الشعبية ، ولكنه معكوس هذه المرة :
آلي عمره ما خبث خاطري ولا كان بينا قاسم ومقسوم

(1) الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغني ، مصدر سابق ، ج ١٠ ، ص ٩ .

فالميت هنا هو الذي كان " يطيب خاطر " الرائي ، والمرثي هو الذي لم يبخل بما ملكت يده لأخيه في حياته . وهذا الموقف لم يوفر للرائي أدنى عزاء - كما وفر لابن الصمة - والعزاء الوحيد يكمن في البكاء والألم فحسب .

ويظهر الشعر الشعبي في النقب نوعا آخر من الرثاء .. وهو رثاء النفس ، ولا يعبر هذا الرثاء عن الموت والفقدان الابدي للإنسان ، بل يعبر عن فقدان الإنسان لأجزاء من كيانه وموتها ، مثل فقدته لقوته وعزمه ، أو لسيادته ومركزه ، أو دوره في البناء القبلي الاجتماعي . والرثاء بهذا المعنى ، يبرز آثار العجز التي يعانيها الإنسان في حياته . وما أصعب حالة العجز التي يبلغها الإنسان ، في بيئة تتطلب القوة والجلد بقدر ما تتطلب الحركة وتركز على الدور الاجتماعي للأفراد . يقول الشاعر :

" انا كنت جيد العزم والبأس اركب ولو كان المطايا جفال
واليوم زي الهرم ظليت بالدار ما ركب ولوتوطوا عضدها لي (1) (2)

كان شابا قويا ، يركب الناقة وهي جافلة ، واليوم طعن في السن ، يقبع في بيته ، ولا يستطيع حراكا .. الا يستدعي هذا الموقف بكاء ؟! يستدعيه بالتأكيد ، وبشكل يومي مستمر ، كلما حاول الرائي القيام بأية حركة - ولو كانت روتينية - ، ولم يستطع ، سجد الدموع عزاءه ، وكلما تداعت أفكاره ، وذكر الأمس ، رثى اليوم .

(1) المبيض ، سليم عرفات ، الإبل في التراث الشعبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ ، ص ٧٢ .

(2) الباس : البأس ، جفال : ناقة في حالة هياج ، توطوا عضد هالي : أي حتى لو قاموا بتبريكها ، وامسكوها لي كي اركبها

القهوة في الشعر الشعبي في النقب

عرفت القهوة عند العرب كمشروب ، في بداية القرن السابع عشر* ، وفي ذلك الوقت اختلف الفقهاء والشعراء فيها بين تحليل وتحريم ، وفي ذلك يقول علي الحمصي : -

أقول لأصحابي عن القهوة انتهوا ولا تجلسوا في مجلس هي فيه
وما كان تركي شربها لكراهة ولكن غدت مشروب كل سفيه⁽¹⁾
وقال النجم الغزي بعد هذين البيتين : " وهذا قريب من قول أبي السعود مفتي
الروم وقد سئل عن القهوة ، ما أكب أهل الفجور على تعاطيه ، لا يحسن مما يخش الله
ويتقيه " (2).

إن هذا الجدل في أمر القهوة وتعاطيها يذكر بتعاطي الخمر من وجهين :
الأول : أن لفظة " قهوة " المستخدمة للدلالة على البن ، كانت تعني في الأصل
" الخمرة " وهذا ما نجده في شعر الجاهلية مثل قال الأعشى : -

نازعتهم قضب الرياح متكئا وقهوة مزرة راووقها خضل
لا يستفيقون منها وهي راهنة الا بهات وان علوا وان هملوا⁽³⁾
واستمرت اللفظة داله على الخمر ، حيث نجد المعنى في الشعر العباسي مثل قول
ابي نواس : -

يا خاطب القهوة الصهباء لمرها بالرطل يأخذ منها ملاء ذهباً
فاستوحشت وبكت في الدن قائله يا أم ويحك أخشى النار واللهيا⁽⁴⁾

* الحمصي ، نعيم ، أدب الدول المنتبعة ، مديرية الكتب الجامعية ، اللاذقية ، سنة 1982 ، ص 157 .

(1) الغزي ، نجم الدين ، الكواكب السائرة ، دار الأفق الجديدة بيروت ، ط 1979 ، ج 3 ، ص 196 .

(2) الغزي ، الكواكب السائرة ، المرجع نفسه ، ص 196

(3) الشنقيطي ، أحمد بن الأمين ، شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها ، مرجع سابق ، ص 121 .

(4) أبو نواس ، ديوانه ، شرح وضبط وتقديم علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1994 ، ص 40 .

ويعتمد اللفظ دالا على المعنى نفسه في الشعر المملوكي كقول البهاء زهير :-

خذ فارغا وهاته ملانا من قهوة قد عتقت أزمانا

ذخيرة الراهب كي يجعلها إذا أتت أعياده قربانا⁽¹⁾

وربما كان في استعارة " القهوة " لفظة دالة على الخمرة ، لتدل على البن ، إشارة هامة توحى بإحلال البن الذي قبل اجتماعيا ودينيا - فيما بعد - محل الخمرة التي رفضتها العقيدة الإسلامية والأعراف الاجتماعية جملة وتفصيلا . فكان هذا نوعا من أنواع إسقاط معنى مرفوض على آخر مقبول ، وتعاطي المقبول بالاسم الأول .
الثاني : أشبهت القهوة - في أول عهدها - وفي تعاطي الناس لها في مجالس مخصصة ، وربطها بالسقاة ، وخصوصا الإناث منهم ، أشبهت مجالس الخمرة .

ولا يختلف اثنان على أهمية القهوة وضرورتها في الصحراء ، فهي ملازمة للحياة البدوية تمام التلازم . فعلاوة على أنها مشروب يجلب الانتعاش لشاربه فهي تعتبر من أهم لوازم الضيافة العربية أيضا ، ومظهرها رائعا من مظاهر الكرم العربي . والقهوة بطعمها المر اللاذع سائل جيد يساعد في هضم المواد الغذائية ، خصوصا تلك الوجبات البدوية الدسمة . ولعل في هذا المذاق المر رمزا من رموز قوة العربي ، وبالتالي سيادته .

إن كل هذه المزايا ، جعلت القهوة تحتل زاوية كبيرة ومهمة في زوايا البناء البدوي القبلي ، ففي الجانيب الاجتماعي ، وفي الأفراح تحديدا تتدخل القهوة العربية ، وتشكل عرفا عشائريا اجتماعيا ، عندما ترفض الجاهة شرها لحين الاستجابة لطلبها ، وموافقة المضيفين على تزويج ابنتهم من ابن الجاهة . وعند رفض الجاهة شرب قهوتها ، نسمع عبارة المضيفين التقليدية : " ابشروا بلي جيتوا بيه ، اشربوا قهوتكو ، تراها جتكو عطيعة ما وراها جزيعة " ⁽²⁾ . وفي الجانيب

(1) زهير ، بهاء الدين ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، 1964 ، ص 328 .
يللي : بالذي ، جيته بيه : جنتم لأجله ، قهوتكو : قهوتكم ، جتكو : أنتم ، وراها : وراعا .
(2) القسوس ، سليمان ملاح من التراث الشعبي ، مرجع سابق ، ص 14 .

المعاكس ، في الاتراح ، نرى القهوة نفسها تقدم للمعزين رمزا للحزن والفقدان.

وفي إكرام الضيف ، تقدم القهوة العربية ، وبشكل متواصل لحين هزّ الضيف فنجاله مكتفيا.

وفي مجال إصلاح البين ، وحل المشاكل العشائرية ، تقدم القهوة دليلا على رفع راية الصلح بين المتنازعين المتناحرين .

ولأثر هذا المشروب العجيب في البادية ، ولأهميته الاجتماعية الكبيرة ، وجدناه يستأثر بكثير من الشعر الشعبي ، بل أصبح مصدر الهام شعراء البادية ، فأكثرُوا الشعر في القهوة متناولين ، طريقة صنعها ، وبهاراتها ، وأدواتها ، وكيفية تقديمها .. الخ . وسنعرض في هذا الجزء من الدراسة بعضا من الأشعار الشعبية التي قيلت في القهوة في النقب . يقول الشاعر " عطا عليوه ":-

بالله يا احمد قوم وقد لي النار	الوقد انه تغتوي في سناها
وحضرت لي المطلوب من بن و بهار	واحمس لي الطبخة وحرص نياها
ولنك حمست البن خليه بمحكار	سنة للواحد يوم قننت ماها
وسوقها ع الايمن عن كشف الاسرار	من خوف شكة خاطر آلي ولاها
وعود خص بها خص على دار	خص الظوامي ليش تقطع ظماها
الي لفوك الربع من عقب مسيار	الطبخة الي ما تقهويه بلاها
والجود ما نقص من الخير دينار	والبخل دلو ما تجي بملاها
الا خضعت النفس للضيف و الجار	رزقك على الى يعتلي في سماها ⁽¹⁾

(1) جرس نياها : احترس من الحبة النينة ، بمحكار : بنسبة ثابتة ، سوقها ع الايمن : التقديم من اليمين للييسار ، من خوف شكله خاطر : دفعا للشك ، وعود خص : عد مرة ثانية وقدم ، الظوامي : العطاش ، مسيار : مسافة طويلة

النار* من مستلزمات صنع القهوة ، وهي علامة من علامات الكرم ، وعلامة يهتدي بها التائهون من الضيوف والغرباء . واحمد الذي يتوسل إليه الشاعر ان يجهز النار لصنع القهوة ، لا يعدو ان يكون خادما يقوم بما تتطلبه امور الشق ، من تجهيز قهوة ، وخدمة ضيوف ، ويسميه البدو " السنافي " كما يقول " خليل فرهود " :-

احمسها يا سنافي وطيب حمسها وحطها بمهباش زين التصاديف
ويتضمن البيت الثاني ، تحضير البن وبهاراته المتنوعة ، ويحرص البدوي على خلط البن بهذه البهارات ، لإكساب قهوته طعما لذيذا ، ورائحة زكية ، وقد صنف الشاعر الشعبي هذه البهارات في خمسة انواع وجمعها في بيتين من الشعر :-

" زلّه على وضحا بها خمس ترناق هيل ومسمار بالاسباب مسحوق
مع زعفران والشمطلي بنياق والعنبر الطيب على الطاق مطبوق⁽¹⁾
أنها : الهيل ، والمسمار ، والزعفران ، والشمطلي ، والعنبر⁽²⁾ .
ويحرص البدوي على تحميص قهوته على النار لدرجة معينة ، فلا يترك حب البن نيئا ، ولا يحرقه .. (واحمس لي الطبخة واحرس نياها) ،
ويصف شاعر آخر هذه الدرجة من التحميص :-
" احمس ثلاث يا نديمي على ساق ريحه على جمر الغضا يفضح السوق

* تستخدم النار في الصحراء كمصدر أساسي من مصادر الطاقة بشكل واسع ، فهي للإضاءة أحيانا ، للتدفئة وضع الطعام أحيانا أخرى . وتستخدم البشعة وهي المحماسة المحمية على النار في القضاء العشائري ، حيث توضع على لسان المتهم ، لإدانته ، أو تبرئته ، لاعتقاد البدو ان النار لا تؤذي بريئا .

انظر في ذلك : القضاء بين البدو ، عارف العارف ، سلسلة من هم البدو ، مطبعة البيت المقدس ، ج ٢ ، ١٩٣٣ ، ص ٢٥١ .

كذلك : ملامح من التراث الشعبي ، سليمان القسوس ، مصدر سابق ، ص ٤٢ .

(١) القسوس ، سليمان ، ملامح من التراث الشعبي ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

(٢) المسمار : أعواد القرنفل ، الشمطلي : جوزة الطيب ، العنبر : ذرات بلورية بيضاء يميل إلى الصفرة ، زلة : صفيّه وضحا : دله ، ترناق : ألوان ، يطري لها الموق : تسر العين بالنظر إليها ، النية : الحبة النينة ، بالك : احرص ، اصحا : احرص ، مطفوق : تسرع في الحمس ، الياصفر : إذا اصفر ، بشت بالاعراق : أعرقّت وكساها العرق .

واياك والنيه وبالك و الاحراق واصحا قصير بحمة البن مطفوق
 الياصفر لونه ثم بشت بالاعراق وغدت كما الياقوت يطري لها الموق⁽¹⁾
 يحذر الشاعر " السنافي " ، من إحراق حب البن في التحميص ، كما
 يحذره من إبقائها نيئة ، ومن السرعة في تحميصها ، ويكتفي بالتحميص ، اذا
 بدت حبة البن معرفة صفراء كالياقوت تسر الناظرين :
 الياصفر لونه ثم بشت بالاعراق وغدت كما الياقوت يطري لها الموق
 ويطلب الشاعر من " السنافي " احمد ، ان يتعامل مع خلط البن بالماء
 بنسب معروفة حرصا منه على جودة التصنيع :-
 ولنك حمست البن خليه بمحكار ستة للواحد يوم قننت ماها
 ويقول آخر ذاكرنا هذه النسب ، فلا هو منقصها ، ولا زائد فيها ، وشبه خليط
 البن بالماء والبهار ، بالدواء ذي النسب الثابتة :-
 يا محلا فنجان واساه ابن عيد ومبهر اجمد على الصين ساعة
 لا زايدن ينقص ولا ناقص يزيد مثل الدوا للداء صادف نفاعه⁽²⁾
 وبعد ان تجهز الطبخة ، يبين الشاعر كيفية تقديمها :-
 وسوقها ع الايمن عن كشف الاسرار من خوف شكه خاطر الي ولاها
 وهذه ثقافة بدوية متجذرة ، ولعلها من موروثة الجاهلية ، لقول عمرو بن
 كلثوم :-
 " صبت الكاس عنا ام عمرو وكان الكاس مجراها اليمين⁽³⁾ "
 فيحرص البدوي في سوق القهوة من اليمين الى الشمال ، وفي هذا يقولون "
 القهوة على اليمين ولو كان أبو زيد على الشمال " ، كناية عن اتجاه سوقها
 بغض النظر عن منزلة الضيوف الذين تقدم لهم .

(1) القسوس ، سليمان ، ملامح من التراث الشعبي ، مصدر سابق ، ص ٣٩ .

(2) القسوس ، سليمان ، ملامح من التراث الشعبي ، مصدر سابق ، ص ٣٠ .

(3) عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، مصدر سابق ، ص ٥٢ .

ويقولون أيضا " دور اليمين للغانمين " ، ومن المعروف أيضا ان الجهة اليمنى مصدر تفاعل واستبشار عند العرب ، بخلاف الجهة اليسرى * .
غير ان هذه الطريقة في تقديم القهوة ، وترتيب الضيوف ، ليست قاعدة مطردة ، فهناك طريقة أخرى ، تأخذ في الاعتبار منزلة الضيوف ، وأولوية تقديم القهوة لهم ، حيث يتناولها أولا الفارس صاحب المكانة العالية ، والتضحيات الكبيرة ، يتبعه عامة الناس ، كما يقول "الصواحين" :-

يا مبهر الفنجان بالله تسوقه	وتعديه على ناس عن ناس
سوقه على الي كل عد بذوقه	فكال ربعه يوم الريق يتاس
سوقه على الي يعرف حقوقه	رفض ولو قدم الزاد للناس

وبعد ان يقدم الشاعر للمتلقى درسا في صناعة القهوة ، وطبخها ، وتقديمها للضيوف ، يربط ذكرها بالكرم والجود ، ولم لا وهي مظهر من مظاهره في البادية :-

والجود ما نقص من الخير دينار والبخل دلو ما تجي بملاها
أنها حكمة تحض على الجود ، وان وردت هنا مرتبطة بالتباهي في تقديم القهوة ، الا أنها تكاد تكون عامة تصلح لكل زمان ومكان ..

وأظن ما ورد في صدر المشد مستلهما من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " ما نقص مال من صدقة " (١) .. كذلك فان البخل لا يحفظ ماء وجه الإنسان ، واستخدم الشاعر الدلو لنقل صورة للبخل ، فبدلا ان تقدم الدلو مملوءة ، ينقص منها ، بسبب البخل والشح.

ويتطرق الشاعر " مخلد الزوايدة " للقهوة في قصيدة بعنوان " دلة الكيف " ، حيث يصف أدوات القهوة ، ووظيفتها ، ومجلسها :

* انظر في ذلك :

نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة ، الدكتور يحيى جبر ، سلسلة أسفار العربية ، ط ١ ، نابلس، دت ، ص ٩٦ وما بعدها .

(١) سابق ، السيد ، فقه السنة ، دار الجليل ، بيروت ، ط ١٩٩٥ ، المجلد الأول ، ص ٣١٩ .

نسيم البوادي يا فرج دلة الكيف يعدل مزاجي يا بو عافت شذى الهيل
 فنجالها جذاب وأمتع من الطيف وينعش رجا الكيف طق الفناجيل⁽¹⁾
 يقرن الشاعر النسيم العليل المنعش ، بدلة القهوة ، ويطلق عليها اسم " دلة الكيف " لأن
 قهوتها تزيل الهم والتعب ، " وتعديل مزاجه " ، وفي المعنى نفسه يقول آخر :
 " لن ضاق صدري قمت أخوف المعامل
 أخوفهن من قبل بيدي بمن عار
 انخط بالحماس هيلا بلا كيل
 ونحمس الطبخة على حاجز النار⁽²⁾
 ويوظف " الزوايدة " أربع حواس لكي يعدل مزاجه بالقهوة : -
 الأولى : حاسة الذوق ، وذلك بشرها .
 الثانية : الشم ، بواسطة رائحتها الزكية (شذى الهيل) .
 الثالثة : البصر ، فهو يرى الفنجان جذابا .
 الرابعة : السمع ، فهو يطرب لصوت (طق الفناجيل) .
 إن مادة تنعش أربع حواس من حواس الإنسان لعظيمة ، وتلك هي القهوة كما
 ذكرها الشاعر .
 وبقدر ما تنعش القهوة القلوب ، بقدر ما ترفع راعيها درجات في سلم الكرم :-
 هي فرحة الي جاهر للكواليف على هشيم الحول شب المعامل
 والمعامل هي أدوات القهوة من دلة ، ومحماس ، ونجر ، وفتحان وغيرها .. وقد جمعها
 الشاعر في البيتين التاليين : -

(1) يعدل مزاجي : يعيد طمأنينتي ، يابو : للاستحسان ، عانت شذى الهيل : تطرب لرائحته ، رجا : رجاء ، طق
 الفناجيل : اصطدام بعضها ببعض ، والصوت الناتج عن ذلك .
 " لن ضاق : إذا ضاق : أخوف : اغسل بجد ونشاط ، انخط : نضع ، المعامل : أدوات صنع القهوة ، ومن المعروف
 عن البدو ، أنه إذا لم تغسل هذه الأدوات لمدة ثلاث أيام ، فإن ذلك يعد عيبا وعارا على صاحبها .
 (2) العبادي ، أحمد عويدي ، من القيم والآداب البدوية ، سلسلة من هم البدو ؟ ، ط 1 ، 1976 ، ص 194 .

ودني لي المحماس والنجر والهيل وخمرة⁽¹⁾ ومصفايتين واربع زبادي
وجزل لي الطبخة وزود بها الهيل لصار اشقر الفنجان جيّ وغادي
ثم نقلنا " الزوايدة " الى مجلسها :-

في مجلس تلقى دلالة مصافيف ونجر هديره يرتعد للهواشيل
ان بيت الكرم ، حيث تصف دلال القهوة ، وهو بيت الفروسية أيضا ، حيث
صوت نجره يطرد اللصوص (الهواشيل) ، ومن في نيتهم الغدر بالبيت ،
وأصحابه . ويقول " الزوايدة " في موطن آخر ، انه يطرب لصوت النجر ،
فيستفزه الشوق ، وينصت منتشيا لصوت القلب:

لني سمعت النجر يغدا بي الشوق يفز قلبي من ضميري ينادي
ويقول " الدماني " :

ضبيح نجره يوم جهز وقدها لجبيح ذيب ملتقع في طنبيه
صفر الدلال بشق بيته حشدها مذهبات ومنهن معتنبيه
ان كرم البدوي يطرد بعدد الدلال التي يملكها ، وهي دلال جميلة ،
جذابة بلونها الأصفر المذهب . كما يطرب البدوي لصوت نجره ، وينتشي
برؤية ناره المشتعلة دائما .. وقد يطرد الكرم أيضا بكميات البن التي يمتلكها
كما يقول " أبو كف " :-

وأما الهزّيل عندهم شيخ مختار كل التياها تأخذ الراي منه
عنده كياس البن يمين ويسار ما هو من الي البخل بشح عنه⁽²⁾
ولم يكتف الشاعر الشعبي بوصف القهوة ، وأدواتها ، وطرق تقديمها ،
بل غدت القهوة مصدر الهام شعري له . فقرنها بالمرأة وشبهها بها ، فها هو
يذكر صوت النجر الذي يطرب العشاق ، ثم يصف الدلة ، ويقرنها بساق الفتاة
الحسنة :

(1) وتدل اللفظة هنا على البن .

(2) مصافيف : مصفوفة ، الهواشيل : اللصوص ، خمرة : البن المسحوق ، المحماس : وعاء معدني
، يشبه المقلّي يحمس فيه البن ، البخر : وعاء خشبي ، أو معدني ، يشبه الهاون ، يطحن فيه البن
المحمص ، مصفايتين : لتصفية القهوة المصنوعة مما علق بها من بن مسحوق ، الزبادي : الدلال .

"دقه بنجر يسمعه كل مشتاق راعي الهوى يطرب الى طق باخفوق⁽¹⁾
والقم بدله مولعه كنها ساق مصبوبة مربوبة تقل غرنوق
اصغر كمورة كالزمرد بالاشفاق واكبارها الطافح كما صافي الموق

الدلة مسكوبة صلبة كساق فتاه جميل ، مجلو صداها ، كأنها طائر
مائي جميل . وتحوي هذه الدلة فقاقيع القهوة الصغيرة ، وكأنها زمرد وقت
إشراق الشمس ، إما الفقاقيع الكبيرة فكأنها عيون جميلة صافية حوراء . وبعد
هذا الوصف للدلة ينتقل الشاعر مباشرة لوصف المرأة الحسنة :-

"يمشي برفق خايف مدمج الساق يفصم حجول ضامها الثقل من فوق
أبو قرون تقول بأطرافها حلاق وتقل البريم ونابي الردف مفروق⁽²⁾
يقول العبادي " ان ارتباط القهوة والفتاة بالوصف معا ، بالجمال والكيف أمران
متلازمان في اغلب الأوقات ، فالبدوي يتغزل بهما لأنهما مصدر كیفه ولذته ،
وهما اللتان تزيلان عن قلبه هموم الدنيا ولا خير في بيت ليس فيه "قعوة ولا
قهوة" ، والقعوة هي الأنثى في البيت المكلفة بالإشراف عليه⁽³⁾ . وتحتمل ان
تكون القعوة " البكرة " التي يستخرج بها الماء من البئر .

وما نحفظه من الموروث الشعبي ، يلقي ظللا على تشبيه القهوة بالمحبوبة :-

انا المحبوبة السمرا واجلى بالفناجين
وعود الند لي عطرا وذكرى شاع بالصين
ويقول الشاعر البدوي :-

"وجزل لي الطبخة وزود بها الهيل لصار اشقر الفنجان جي وغادي
شبه الزبادي نجد مربوشة العين ولا زهر نوار فسي بطن وادي⁽⁴⁾

(1) الكمالي ، شفيق ، الشعر عند البدو ، مصدر سابق ، ص ٣٠٨ .

(2) الكمالي ، شفيق ، الشعر عند البدو ، مصدر سابق ، ص ٣١٢ .

(3) العبادي ، احمد ، من القيم والآداب البدوية ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٨ .

(4) العبادي ، احمد عويدي ، من القيم والآداب البدوية ، مصدر سابق ، ص ٢٠٤ .

فالقهوة في فنجانها ، مثل الخال في خد الجميلة ، ذات العيون الواسعة ، أو
 زهر نوار خمري بين زهور بيضاء في بطن وادي . ويضل الشاعر البدوي
 يتغنى بمشروبه ، يقول " فرج ابوختله " :

يا محلا شرب المبهـر على ريق تكرف بخشمك ريحتـه قبل ما ذيق⁽¹⁾

(1) يا محلا : ما أحلى ، المبهـر : القهوة ذات البهار ، على ريق : قبل الفطور ، تكرف
 لجشمك : تشتم به ، قبل ما ذيق : قبل الذوق.

الحكاية الشعرية في شعر النقب الشعبي

أطلقت لفظة " الشاعر " في البادية ، على ذلك القصاص الجوال ، حين تتعقد حوله السوامر ، فينشد قصص البطولة أشعارا على أنغام الربابة ، مصورا فيها شتى المشاعر من رقة وعنف ، ومختلف المواقف من هزيمة أو انتصار . ومن هنا تولدت اللحمة بين الحكاية البدوية والشعر الشعبي ، فناقلهما أو مبدعهما واحد (الشاعر) وغرضهما مشترك أيضا يكمن في الإفصاح عن العواطف والمشاعر .⁽¹⁾

وتدور الحكاية البدوية الشعبية ، حول حدث يقوم به بطل بدوي في بيئته ، ولا تهتم الحكاية الشعبية بالزمان ، وتكفي عادة على عمومته ، ربما لأن حركة التاريخ في البادية بطيئة⁽²⁾ . إلا أنها تركز كل التركيز على المغزى أو الهدف ، وذلك لأن الهدف أو المغزى يساهم مساهمة فعالة في ترسيخ البناء الاجتماعي البدوي .

ومن هنا يظهر دور الشعر في الحكاية ، يقول الباحث " غسان الحسن " ان استخدام الشعر في الحكاية ، لم يكن نوعا من الترف ، أو لتزيين الحكاية ، إنما كان موظفا لتثبيت غايات الحكاية ومضامينها⁽³⁾ . وهذا واضح جلي في الاستخدام الشعري في قصة أبي عودة والصخور ، إذ حاول الشعر في الحكاية تثبيت مضامين الكرم والجود . وقد يرد الشعر في الحكاية ملخصا لأحداثها بشكل موسيقي ، وتدخل الموسيقى الشعرية هنا ، يعطي السارد قدرة أكبر على التعبير من استخدامه

(1) في علاقة الشعر بالحكاية انظر : الملحمة الشعبية الفلسطينية ، للباحث منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر ، نابلس ، ط 1 ، 2000 ص 67 وما بعدها

(2) انظر في ذلك : جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تنتاسخ في الشعر الشعبي ، مرجع سابق .

(3) الحسن ، غسان ، الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن ، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع دمشق ، ط 1 ، 1988 ، ص 42 .

لطريقة السرد القصصي لوحدها ، وابرز مثال على ذلك : " حكاية الشيخ المرتحل الى بغداد »⁽¹⁾ .

ومن هذه الحكايات الشعرية ذات المضامين الاجتماعية ما رواه احمد غانم :

والله ما خفت من ضرب شلفا ولا من سيف شديد ضرباته
والله ما خفت الا من باكر ا قوله يحام خان بطنايه⁽²⁾

وملخص القصة :-

ان احد افراد عشيرة البخيت ، قتل ابن عم له من الصخور ، فاخرج القاتل وأهله من مساكنهم ، ولجأوا (طنبيين) في ظل احد الشيوخ . وكان للبخيتي بنت جميلة ، سرعان ما بدأ رجال الشيخ المضيف ، بإغرائه بالزواج منها ، ورد البخيتي الطنيب الجاهة قائلاً : " وانا طنيب فلا ، ولكن ان رجعت لديرتي فالبنت بنتكم " . ويتكرر طلب الجاهة ، ويتكرر رد الطنيب . فزادت غواية رجال الشيخ لشيخهم ، وأشاروا عليه بأخذها عنوة ، وزينوا له الأمر ، فقال الشيخ أبياته الشعرية المعبرة عما جرى .. فالشيخ فارس لا يخاف ، ويسبطو وله المقدرة ، ولكن كل خوفه ان يقول الناس انه خان طنبيه .. وهنا يتكشف لنا مغزى هذه الحكاية الشعرية ، ونلمس أهمية هذا المغزى وضرورته وأهميته في مجتمع قبلي .

وحكاية⁽³⁾ أخرى تدور حول المعنى نفسه ، والذي يتلخص في حرمة الاعتداء على الطنيب مادياً ، ومعنوياً .. نقول الحكاية : -

ان احد الشيوخ حاول ان يرى زوج طنيب ، والتغزل بها ، عند ورودها الماء ، فلما قابلها قال :-

⁽¹⁾وردت القصتان في ثنايا هذه الدراسة .

⁽²⁾شلفا : خنجر ، باكر : غدا ، يحام : اسم الشيخ المضيف ، وانا طنيب فلا ولكن ان رجعت .

يظهر هنا ان من العار على الطنيب تزويج ابنته ، وهو خارج قبيلته ، طنيباً على أخرى

⁽³⁾وردت هذه الحكاية ، وهي من موروثات البادية في القضاء بين البدو ، عارف العارف ، مصدر

سابق ، ص ١٩٩ .

الف صباح الخير والف مسالك يابو نهود سايرات مسالك
ما تروي العطشان منك دليّه
فأجابته زوج الطنّيب :-

الفين بيك هلا والفين ترحيب يلي دلالك طعمهن جوزة الطيب
يتواصفوهن متعبين المطية
وتابع الشيخ :-

لولاك بالمجمول ما جيت ساري يابو ثايا لون رز البداري
حق الله ما المي قليل عليّه
وترد الزوجة :-

انا عشيرة مطرب الخيل سعدون لا هوّه دويني ولا منكودون
ولا هو قريب الشوف للإجنية (1)

غضب الشيخ وغادر المكان خجلاً ، ولم يعد يضايق الزوجة .
ان هذه القصة ، بحوارها الشعري المكثف ، اقرب ما تكون " للاوبريت
الغنائي " . ويبرز فيه دور المرأة في حفاظها على شرفها ، إضافة لذلك تظهر
أهمية احترام جيرة الطنّيب والوفاء بحقوقه .

أما " شيخة القصيد " في حكايات الطنّيب الشعرية ، فتدور حول بطل
بدوي يسمى " ماجد الحثري " (2) ، وهو فارس من فرسان قبيلة شمر
وشعرائها ، وحكايته بايجاز :-

كانت أواصر الصداقة بين ماجد الحثري وزميله مفوز وطيدة الأساس ،
وثيقة العرى الى أقصى حد . وفي يوم من الأيام أغار قوم على شمر ، (وهي
قبيلة الصديقين) فركبا جواديهما لخوض المعركة ، وكان جواد ماجد أسرع

(1) مسالك : ماء لك ، ما تروي ، دلين : بخيلة في الحب ، يلي : الذي ، يتواصفوهن ، المطية :
يعرفها المسافرين والمرتحلون ، ساري : مبكرا ، المي : الماء ، مطرب الخيل : سائسها ، هوّه :
هو ، دويني : دوني الشوف : الرؤية

(2) روى هذه الحكاية للباحث إبراهيم عياد . وهي مذكورة في :-
الشعر عند البدو ، شفيق الكمالي ، ص ٣١٣ ، وهذا يدل على إنها من موروثات البادية

من جواد مفوز ، لذا أدرك القوم قبله وخلص الإبل منهم ، واستمر في مطاردتهم حتى تمكن من احد فرسانهم فأخذه أسيرا ومنعه (اي أعطاه عهدا بان لا يمسه احد بسوء) وأعطاه شيئا من ملابسه الخاصة ، حتى يعلم قومه بأنه أجاره فلا يؤذوه . واستمر في مطاردته للغزاة و هنا لحق مفوز القوم ورأى هذا الشخص الذي إجاره ماجد ، فعرف فيه قاتل ابيه فأخذه سكرة الغضب ، وبدون ان يلاحظ العلامة التي يحملها من ماجد ، طعنه برمح ثأرا لأبيه، وتركه ومضى في اثر القوم ، وقبل ان يلفظ هذا الرجل أنفاسه ، قال لمن مر به ان قاتلة هو مفوز ... فلما عاد ماجد وعلم بالموضوع استشاط غضبا وثار تائثرته إذ كيف يقتل من استجار به ، وهذا عار ما بعده عار في عرف البادية ، وقد حاول مفوز ان يعتذر لصديقه بأنه لم يكن على علم بقضية (المنعة) ، ولكن ماجدا رفض مقابله ، وأرسل إليه من يخبره بضرورة الرحيل عن مضارب القبيلة ، وان يحرص على الا يبيت في قبيلة أو ارض يجتمع به فيها ، واعلمه بأنه ان لم يمثل لهذه الأوامر قلن يأمن على نفسه ، وقد امثل مفوز للأمر ورحل عن منازل القبيلة . وبقي ماجد بين قومه حزينا كاسف البال ، ولا غرابة في ذلك ، فلقد فارق اعز أصدقائه ، والمصيبة الكبرى التي حلت به هي ان الأمر ليس فراق صديقه فقط ، والا لهان الأمر ، ولكنه قطع وجهه (اي خفر ذمة ماجد) وهذا اكبر شيء يعاب عليه الرجل في البادية ، وتبقى وصمة عار حتى يغسلها بأخذ الثأر من قاتل المستجير به ، واستمر ماجد على هذه الحال ، حتى هزل ونحل جسمه ، واخذ ينفرد بنفسه طيلة الوقت ولا يتصل بأحد فاحتارت أسرته بأمره ، واعتقدوا انه عاشق لأحدى الحسنات ، ويمنعه خجله من البوح باسمها . وقد كان له ابن عم اسمه " عمرو " ، ارقه حال ماجد ، واعتقد بماجد ما اعتقد القوم به ، فأرسل أختا له جميلة ، وافهمها ان تحاول إغراء ماجد ، لعله يبوح باسم من يهوى أو بالسر الذي يخفيه فانحل جسمه ... فتجملت الصبية وقصدت ماجدا وهو في وحدته ، وبدأت تمازحه وتحاول إغراءه ، فغضب منها وعنفها ، وطردها شر طردة ... وقد استغرب تصرف الفتاة ، وهو يعلم عفتها وطهرها ورجاحة عقلها ، وأدرك ان هناك دافعا دفعها لذلك ، ورجح عنده ان ابن عمه " عمرو " هو

الذي دفعها لذلك ، معتقدا بأنه عاشق ولهان ، وقد اصاب في تقديره ، وتأثر فكانت هذه القصيدة :-

يا عمرو يا المدلاة يا نازل الخوف	أو ذيتتي وانت تتشد من العام ⁽¹⁾
يا خو فهد الي بك الطيب موصوف	يا زين مظهرود لجاليك منضام ⁽²⁾
لوزينوا لي هافي الخصر بشنوف	ما ابغيه لو انه على النفس عزام ⁽³⁾
والله لو انه يؤمن من الخوف	في سهلة ما فيها كفر ولا اسلام
وماكل ولو زينوا لي الزاد بالحواف	لو به فقار وسيح السرز بايدام ⁽⁴⁾
لو حنطة البلقا وتمره أهل الجوف	ما تقبله نفس عليها الطنا زام ⁽⁵⁾

(١) يا عمرو : يخاطب ابن عمه ، المدلاة : الشجاع المغوار ، يا نازل الخوف : يا من ينزل الأماكن المخيفة ، أو ذيتتي ، تتشد : تسال .

ومعنى البيت : يا عمرو ، يا أيها الرجل المغوار ، الذي ينزل الأماكن المخيفة ، دون وجل من احد أو خوف من عدو متربص ، لقد أذيتني بالحاحك على ، وكثرة السؤال منذ عام مضى عن أسباب تدهور صحتي .

(٢) زين : مأوى ، مظهرود : مضطهد ، لجأ : لجأ ، أو التجأ

ومعنى البيت : يكرر المدح لابن عمه الذي جمع الصفات الحسنة جميعها ، فيكنيه ب(أخي مهيد) .. واخو فهد : مصطلح بدوي : يطلق على احد زعماء القبائل الذي يلجأ إليه القاتل أو المتهم أو المتهم ظنييا .. وهذا الزعيم هو الذي يحل بالصلح مشكلة المتهم الملتجئ إليه انظر في ذلك :-

مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، محمد عبده محبوب ، مصدر سابق ، ص ٢٣٩ .

(٣) الشنوف : القصب تزين به العباءة ، ما أبيعه : لا أريده .

ومعنى البيت : يشير الشاعر هنا إلى الفتاه التي أرسلها (عمرو) فيقول ، حتى لو زينتموها ، ولو إنها راودتني ، فإنها لا تستطيع إن تصرف همتي عن مغزاها الاسمي .

(٤) وما كل : لن أكل ، الزاد : الطعام ، الحواف : العناية ، الفقار : السنم . الايدام : السمن ليست لديه الرغبة في الأكل مهما كان هذا الأكل حسنا ، معتنى به عناية كاملة .

(٥) البلقاء : وهي بقعة من بقاع الأردن ، مشهورة بحنظتها ، الطنا : الشحم ، زام : زاد وتجاوز حده

ومعنى البيت : ولو زيد على هذا الطعام ، خبزا مصنوعا من حنطة البلقاء ، وتمرا من نخيل الجوف ، (والجوف مشهورة بجودة التمر وهي بلاد مجاورة لدومة الجندل المعروفة) لا يمكن إن تقبله نفسه الأبية ، فنفسه بلغت من الهم والعار الذي لحق به ، والشئ الذي تجاوزت به الحد ، حتى إنها أصبحت ترى هذه المأكلة اللذيذة أمر من الحنضل .

ما تشوف حالي كنها حال ابو العوف أو حال محجوب عن الزاد صوام^(١)
 شفي مفوز نقوة الغوش منقوف خيالهن من بيسن عثعث ورضام^(٢)
 اقلط عليه والنزل طوف ورا طوف اقلط عليه بربعة البيت قدام^(٣)
 ثم اضربه بسله تلهب الجوف مازينت عند الصنائع بلحام^(٤)
 إما عليه البيض يصفقن بكفوف وان عاش ما يمشي على كل الاقدام^(٥)
 الي كساني الثوب الأسود وانا شوف خله يقع في سهر عيني وانا نام^(٦)

- (١) ما تشوف : أما ترى ، ابو العوف : دويبة اكبر من النملة ، حالي : نفسي ، جسمي .
 ومعنى البيت : وصل بي الهزال ، حتى أصبحت (كابي العوف) ، وحالي ، حال المريض الذي منعه طبيبه من أكل الزاد حتى يبرا من مرضه .
- (٢) شفي : قصدي ، مرادي ، نقوة : صفوة ، الغوش : الفتية ، منقوف : أبي النفس
 ومعنى البيت : يعلن الشاعر هنا صراحة السر الذي جعله ينحل ، ويعاف لذيذ الطعام ، فيخبرنا إن هذا كله من عمل مفوز الذي جلب له العار فغاية ما يتمناه الشاعر هو القضاء عليه ، ولا ينسى إن يثني على مفوز فيصفه بأنه صفوة الفتيان ، وفارس في المعارك ، فهو يثني على مفوز ويشيد بما يعتقد انه موجود فيه من السجايا الحميدة . وهذا من شيم البدو ، فلا يمكن أن ينكر البدوي ما لخصمه من الفضائل مهما بلغت العداوة بينهما .
- (٣) اقلط : أقدم ، النزل : البيوت ، طوف ورا طوف : صف وراء صف ،
 معنى البيت : يوضح الشاعر هنا قوة إرادته التنفيذية ، من انه سوف يقدم على خصمه مفوز ، حتى ولو كان بيته محاطا ببيوت كثيرة فهذا لن يمنعه من الإقدام عليه وضربه في بيته .
- (٤) السلة : نصل الخنجر ، الصنائع : الصنائع ، الدادون ،
 معنى البيت : يقول الشاعر : سأضربه بسيفي أو خنجري ضربه تلهب النار في أحشائه وتحرق أمعائه ، فسيفي مصقول وصارم ، وهو ليس بحاجة لحداد لصقله .
- (٥) البيض النسوة
 معنى البيت : إن ضربته هذه ستكون القاضية ، فإما إن يقتله ويترك نساء القبيلة ينحن عليه ، وإما إن يقطع ساقيه فلا يستطيع بعدها إن يمشي على قدميه .
- (٦) وانا شوف : وانا أرى ، خله : دعه
 معنى البيت : فهو الذي سود وجهي وكساني ثوب العار وجعلني اسهر الليل من الهم والحزن ، ومع ذلك فهو مرتاح البال ينام مطمئنا لا يشغل باله شيء ، وسأتركه بعد ضربتي تلك يسهر من الهم كما كنت ساهرا بسبب فعلته ، وسيطيب لي بعد ذلك النوم

من عقب ماني قنب حطني صوف خلاني للحضر المقيمين فحام⁽¹⁾
 وإلى سحبة أخرى من سحايا البادية ، إلى حقوق الجار والمحافظة عليه ، تسمع في البادية
 حكاية (المهادي) الذي صبر على مضايقة أبناء جاره لبناته ، وصبر على الاعتداء على
 شرفه ، وأخير نفذ صبره وارتحل ، فأرسل الجار يستطلع سبب رحيل (المهادي)
 فأعلمه السر ، ومان كان من الجار إلا أن قتل أبنة ، وأرسل راسه هدية (للمهادي)
 ورد المهادي على ذلك بأن زوج بناته الثلاث لأبناء الجار .. وقد ضرب المثل في صبر
 (المهادي) على جاره وأبناؤه يعتدون على عرضه .. يقول الشاعر : -

صبرنا ما يصبره غير المهادي⁽²⁾ شافين حملة قصيره له سنينا
 يوم شاف الجار بالنسوان عادي حذر الخفريات من علم بينا⁽³⁾

ونلمح في هذه الحكاية عظمة المهادي وجاره ، فهما وفيان لقيمتهما وتراثهما ،
 الذي تجلى في الحفاظ على العروش ، وعلى حقوق الجيرة وعلى رد الجزية بأفضل منها.
 هذا غيض من فيض .. من تلك الحكايات البدوية ، ذات الدلالات
 الاجتماعية، التي تلعب دورا هاما في ترسيخ البناء القيمي الاجتماعي في البادية .

(1) من عقب : من بعد ، ماني : ما أنا ، القنب : الحبل الأبيض ، حطني : صبرني ، خلاني : تركني ، جعلني معنى
 البيت : يقول إن (مفوزا) أراد بعمله هذا أن يغير مجرى حياتي فحول لوني من البياض للسواد ، ويعبر عن ذلك
 بطريق التمثيل ، فالقنب ناصع البياض ، والصوف أسود ، وقد حوله مفوز من بياض القنب لسواد الصوف ، وجعله
 بمثابة الرجل الذي يبيع الفحم لأهالي المدن ، والمعروف عن البدو إنهم يحتقرون الرجل الذي يبيع الفحم .

(2) روى القصة لباحت : فايز أبو القيعان .
 (3) أخذت الأبيات : من القيم والأدب البدوية ، أحمد العبادي ، مرجع سابق ، ص 305 . حملة قصيرة : الحملة (
 التعدي المعيب) والقصير هو الجار ، شاف : رأى ، حذر الخفريات : حذر النساء من أن يبحن بالسر ، مترا ل عرضه ،
 مترا ل عيب جاره .

ملحق القصائد

باب المدح

الشاعر عبد القادر الهباهبة ، وهو من الشوبك قال مادحا ، واظنه يمدح
فيصل بن جازي وهو الذي كناه (ابو سامر) ، كان عضو مجلس النواب ،
وشيوخ مشايخ الحسينية وهي قصيدة [مدح] تظهر فيها شمائل الممدوح : -

يا الله يا عال على كل عال	يا مقسم الدنيا ملوك وممالك
يا حي يا معبود تعلم احوالي	وتغفر ذنوب اللي بعد تائباً ليك
يا راكب اللي محفلة بالدلال	فرسا سريع ان ردت يبعد مناجيك
قم يا هداك الله وصل مقال	ليم شهما ان لقيته يجيبك
ليم ابو سامر حلى الرجال	من ديرة الشوبك سلامات نهديك
وفود تأتي من جنوب وشمال	ومن الوسط كل يهنّي معاليك
نجمك لمع من لون بدر بلال	غضبنا عن الحصار واللي يعاديك
انا بشعري دوم اضرب امثال	قولا جميل وفي فراغك يسليك
المعدن الطيب ثميناً وغال	وبعض المعادن ما تساوي مثاليك
اصلك رفيع ومن خيار الرجال	اهل الكرم والجود عادة أهاليك
انت الاديب اللي ربيت اجيال	وشبابنا هم من صناعة أياديك
بالشعر تتخذ فحول الرجال	وبعجز ببياتي حين اوصف معاليك

يا عز من مالت عليه الليال

وما خاب صفه من جار احتمى فيك

اهل الادب هم الفخر وبك امثال

ولا ذكرت الاجواد يا سمي ظاريك

اطلب لك التوفيق من رب عال

وما بين ربك دوم تعلى مراكيك

مخلد الزوايده/ظل السحابة " تبرم وشكوى ومدح لابن مكتوم "

يا الله لطفك عن سموم اللواهيـب

رمضا كوتتي تحت الاقدام كيا

بوجهي حروق شمس مثل الشواهيـب

مخطوف لوني والفرح ما تهيـا

سنين عمري غاديات ذواهيـب

واقفت حياتي بين رحمة وجيا

من ضيقتي نظيت روس المراقـيب

واشرفت بالمشراف واصفق بديا

الطرف جال ومال صوب المغاريـب

ارقب هلال العيد يظهر عليـا

قمت استخيل البرق يهوز السواهيـب

تلطم غمام الجو كفوق الرويا

هلت سحابه فوق هام السحايـب

في ظلها عن الحر صرت اتقيا

قامت ترش المزن غر مجاذيـب

وسمي مطرها فيض رش الثريا

هب النسيم وذدزع الريح بالطيـب

فز البختري و الخزاما سويـا

الطيب فاح ورطب القلب ترطيـب

وبل الرmq بالكيد وروه ريا

اهلا هلا بك يا كبير المواهيـب

من شيمة المضيوف بالضيف حيا

يا مرحبه بك يابن مكتوم ترحيب	ترحيبه عالصدر تبسط يديا
حياك ثم حياك يا منقع الطيب	تحية بالشعر لجلالك تهيأ
اسعد ساعات العمر عند المعازيب	ظيف مثل شرواك ما هو رديا
من راس نبع فيه عذب المشاريب	صافي مثل هزاج زلاله شهيا
فارس رقى للمجد ورام المصاعيب	و شاعر ينظم القاف وحرفه نديا
احيا التراث وعرب المجد تعريب	على الاصاله ومجد الاجداد عيا
يسراه فيها زمام حرش العراقيب	ويمناه فيها عنان بنت العيبا
يعيش ابن مكتوم ريف المتاعيب	رمز الشهامة و الكرم والحميا
شام وجنوب الارض شرق وتغريب	صيتك تعلو فوق هام الثريا
الطيب انت الطيب يا منقع الطيب	مالك شبيه كود مشهور طيا
امدح جنابك ولا بغيت المطاليب	والمدح يهيا فعول كف السخيا
واختامها نظمت قافي بترتيب	صلوا على المختار اخر نبيا

محمد فياض الدماني / الفيصلية

يا راكب اللي مزرقة عاولدها
 عن الفحل محفلة ما يصيبه
 مصفية ياخال ماجمل عددها
 من ساس هجن للدماني عربية
 مبرومة الذرعان مقوى جهدها
 حمش ثلث ايام بيوم تجيبه
 ومن روحت متشوف حتى زبدها
 تزهى على العنيدات في كل هيبه

خطرنا على ركابها لا نكدها
 تعطي الشداد ان روت به حطية
 للقود يرجع ون ذكرنا سندها
 يا ما اظهرت ركابها من مصيبة
 معنية يم الخوال بلدها
 زين الدخيل اللي شكا من طيبه
 اهل الفعول اللي جمع حمدها
 من هال ظيف بالسنيين الصعية
 تلقى ابو مساعد ثم تعطي وكدها
 يا عين حر كل باشك يهيبه
 اللي قهوته كل قرم عمدتها
 ولا الردي عنه يطول مغيبه
 ضيبح نجره يوم جهز وقدها
 لجيج ذيب ملتقع في طنبه
 صفر الدلال بشق بيته حشدها
 مذهبات ومنهن معتنبيه
 اشكي لكم دنياي ويا نكدها
 من فعل اهلها باديه لي غريبه
 والحياة مبطي بالسعادة عهدتها
 مثل المريض اللي تعذر طبيبه
 والرجل يكدي يوم تامل سعدتها
 وخروق وقتي سايره لي حسيبه

داعس ابو كف

يا راكبن عشرة يزوزون بعشرين

صب العضود منقحات الجدود

اشبه لعام بالنواميف و الزين

ما كادهن هل الترج والسود

يلفن على ابو تركي عدو العدوين

سلطان بر وبالسوازم سدود

الله يعينه عاليهود الخبيثيني

ويقدره على بايقين العهود

من قبل حكمه ما كنا مطيعين

واليوم طبعنا طباع القعود

ونسلم بحكمه كان واحنا بعديين

واليوم كل ما بحكمه علينا يزود

صقر تعالى على الصقور الشياهمين

واللي يعضه صار ريشه بدود

صيته كبير وله خداديم طويعين

ياما تطلقت من زبرات النهود

وهذا ابو تركي جروده الفين

يا ويل من صبو عليه الجرود

وين الدويش اللي جروده ملايين

وين الشريف ووين ذيك البدود

وين الرشيد اللي عالخيل دركين

ولد الرشيد متقلين الشرود

اللي جهل خلاه يمشي عل الدين
خلا حياته عل الدنيا زهود
كم واحد اسقاء من غثبر الطين
لا باس يا عبد العزيز السعود
عمر الحجر ما يصطعب في الطين
والنار ما تولع بليا وقود
الله من حكم يهين العربيين
وينومس الهامل قصير الزنود
لوطوعوا محمود كلهم سليمين
كان ما لعب برأس حامد في قاع سود
يا قوم حامد باقيهم ثلاثين
ينطو تمل الذرعان مثل القروود
لا تخربوا يا هيل العقول الخريبين
ولا تحسبون البض مثل العدوود
يا مرسلي قول له ترا وقتنا شين
من جاد عليه الله علينا يجود

الدماني

حي الجواب اللي لفاني قرارة
انتاج فكره ما نقله استعاره
قافه ثمين وشففت عنده مهارة
حيه على الجزلات عنده قداره
يا معتلي بالطيب من فوق قاره
يشكي هوى اللي كاوي القلب ناره
اللي قرونه زاهيات بشقارة
ايدت راجي في الهوى بختياره
وجال فكري قافك اليوم داره
ونار القظا بالجوف زاد استعاره
انا معك عالربح هو والخسارة
ون كان خلك صار دونه دكاره
مثل الحراران ثار عج وغباره
ويرد منهو شفت منه نكاره
وترى اسم خلك بان بعد الدواره
وهذي المراحل عندنا و الشطارة
وجروح قلبي صار ابها غتراره

من خط راجي كاتبه بالزروفي
اعطاه ربه عل اجزيل السعوفي
ثقل وزنه ما يجاله ضعوفي
والحر دايم بالبواكر ينوفي
ربيع جاره للدهر والضيوفي
ولا عاد في احوال راجي يروفي
ونهوده مثل الحراب وقوفي
وشلون توصف كاملين الوصوفي
وبهجتني من لون ضرب السيوفي
حظير للمعلوق حرب نيروفي
وصبر على ميلاتها والعجوفي
تجي بجيش ما يللم الطروفي
يردون حوض الموت ما به حوفي
بمصقلات ماضيات الحفوفي
ممتاز لا مقبول سيد الحشوفي
وعذر عن اللي ما تطوله كفوفي
بعد الشقا من منكسه بالسيوفي

ويقول الدماني ايضا :-

البارحه ما جا المزاج ايتطرب
من هاجس بقصي ضميري تسرب
يلعب بي الهاجوس في كل صوبي
كثر عليه يالرفيق الكروبي

كن الحشا من حر ما بي مكهرب	او به هشيم وضففته الهبوبي
والقلب يرجف بالمعاني ويطرب	يومي تقول جناح بين الجنوبي
شكواي انا لقرنا حرن مجرب	من روس ربع ما يهمه عيوبي
عين الوليع ومنه الصيد يدرب	وانا اشهد انه بالهدو ما يهوبي
خليل سالم اعرف انه معرب	من قوم تتعب ضدها بالحروبي
عدوهم من كاس المر يشرب	وصديقهم يشرب قراح و عذوبي
رييح ضيفه يومن الوقت يكرب	ومظهر نويه لا وقع بالنشوبي
افرح بشوفه يوم ياصل ويقرب	ومجاله مثله تسر القلوبى
واليوم ابى اشكى له عن الحال وعرب	فياريت حظي عند حضوري ينوبي
مشكاي وقفوا في طريقي لي حرب	وانا اشهد انهم يا خليل اثروا بي
بقيادة اللي كنها سم عقرب	ما بقى بقولها الا النيوبى
عجوز خبثة فعلها بالخرب	من دون خلي واقف لي حسوبي
من خلقته شنعتة خيالهن من الرب	بشعه من يوم الصبا و الشوبى
لكن غدت لي لون حارس مدرب	عباب ريما واقفة بس تجوبى
ما ينفعن معها الحيل والهرب	حاولت معها في جميع الدروبى

اجاب الشاعر خليل اللوافيه بهذه الابيات :-

جاني كتاب عن الخطية معرب	هيض شجونى وصار فكري طروبى
حي الكتاب وحي منهو لنا اقرب	وحي اللي بقيطانهم ينتخو بي
صيته صديق دعنا ما تغرب	وبسيرته ما قيل شي يشوبى
كثير هابه من طوال الشورب	لو صال ضده ما يعرف هروبى
ما قيل عن رفيقه تهرب	ربيع جاوب مشتكوه الطنوبى

بيته الجمع بين كل مضرب
عن شكوتك يا خوي مالي مهرب
ان كان تبغي كونه خلنا نخرب
حنا معك ما هو كلام مورب
حتى نرد وياك صافي المشرب
نمشي ترى وياك عتراب الدرب
وندوس حنا كل عاذل كذوبي
تشكي عجيز لون غصنها من الخبث مشرب

منحني ويابس نشفنه الهبوبي
مالك عليها معين سوى الرب
خبثات الأنفس شنيعات عصوبي
والفكر شرق بالطواري وغرب
وكثر الهواجس عذوبي وشنوبي
ويضيق بالي كل ما شمس تغرب
شمس السعادة أوشكت بالغروبي
حتى خفوق عن الهنا دوم مغرب
ومن حر ما بي صار قلبي يذوبي
ولا حدن يداني شكوتي كني أجرب
ومن ضيق بالي صرت دلم الغضوبي
وتمت وصلوا عالني العرب
وسلم وسامح يا لطيف عذوبي

الدماني

حي ما هو مرسل يمي جوابه
عدد ما هل المطر له من سحابه
هلا بالمكتوب واللي كاتبينه
عدد ما يشتاق مضمون لضنينه
عدد ما طافت حجيج بالمدينه
انتخني عنده بروحي والذبابه
وعرض الموضوع للي باخنينه
أبو محارب لا مشى للشئ جابه
قدم بالضيق طويله بمينه
لا نوى عالصعب جسر ولا يهابه
والدلائل واضحه مهني دفينه

وبو عاكف شوق ممشوط الذوابه
 ابو هليل عارف مقصرون كتابه
 ترى منه باغيين احنا الاجابه
 ابي منه الشور باتع في صلابه
 ماهج اللي يشتكي غيابه
 اسود العينين في زفة شبابه
 ما تقص الراس ولا تصوير جنابه
 قرنھا ريش المداحي له يشابه
 والنحر مثل القدر حين اشتبابه
 من يلومك بالهوى ماله قرابه

له مواقف طيبه حنا خابرينه
 ونا عافيا من حولته لحينه
 يدرس الموضوع رايه باغيينه
 وحنا على الدرب بالمشى نعينه
 عن وليف ما خذن قلبه رهينه
 من بنات البادية بنت وزينه
 تجهل المكياج وما هي به فطينه
 والثايا كالبرد تبني شفتينه
 والحشا لفة حرير طاويينه
 ينقطع من شوف غاليه وخدينه

باب الشكوى والتذمر

عبد القادر الهباهبة :- ذاعوا الاخبار

ذاعوا الاخبار وكانت الدنيا غروب

واللي بقلبه اسرار لصويحبه باحي

واتبشر المحتار بالراتب المقبوض

حي البشاير وحي سواق الارياحي

اللي معه قرش ضيعه بدروب

(ويتسع طش) الشهر الراتب انزياحي

عيا البخت يا ربع لا يسعف المنكوب

حكمة المولى العلي ما بها كفاحي

وعكس الاوامر عندنا صار مرغوب

وصرف الرواتب من بعد عيد الاضاحي

حنايا بالصدر ضاقت والصبر مشطوب

جوى القفص بالقلب كثرت جراحي

على امري يا شيخ صرت انا مغلوب

العيد قرب والهرج ما به مراحي

ومنزل اهلنا يم ابو مخطوب

عشر تيام ما نجيهم ارماحي

تبقي الاجازة يا شيخ وفوقها مركوب

وللعيد ودنا يا سيدي هدايا ملاحي

هيو الكرم والطيب عندكم مقروب

هذي خفايا القلب قلتها اوضاحي

داخل على حمزة و محمد المحبوب
تبدل الاحزان من قلبي افراحي
واختم كلامي مصلي على النبي المحبوب
ومن صلى على النبي نال الفلاح

مخلد الزوايده :- انا مثل

انا ماضي بلا حاضر انا ذكرى غدت اطلال
مثل صحرا تراها جف عشر سنين عطش ومحول
مثل دمه لها خاطر بجفن العين بلا منزل
تشير برعشة الجنون تسابق خطوة المغيول
مثل صدفه بلا ميعاد جمعها خبيت الامال
على ذره سناها الريح ذراها لافح الغرمول
مثل ورده بلا عطور سموم القَيْظ لها خلخال
تخيل البرق والهتان قتلها ضامي العطبول
مثل كلمه بلا حروف في دفتر غدا تمثال
على خد الزمن مطوي ولا حافل ولا محفول
مثل خطوة بسكه خوف تنوء بعالم الترحال
اخذا الوقت يسرقها على الهامش الى المجهول
مثل صرخه تهز الروح بوسط الجوف لها جلوال
صداها يقتل الامال والقاتل صدى المقتول
انا مسافر ، انا قادم انا مغادر انا رحال
انا تايه انا هايم انا عاجز انا مذهبول

انا صابر ثمان سنين بلا شكوى عليك الحال
عجز صبري على امري وعجزه ليل هم يطول
انا يمكن الاقي خل اذا امسك سراب اللال
واذا ما تخلص القصه اعيش بنعمه المخبول

تيسير الذبايات :- يا ذيب -

يا ذيب يا اللي من المراقيب اراعيك	حالي كماحالك تصارييف و هموم
يا ذيب ضيعني سراب بصحاريك	ما لي دليل الا مخاييل و نجوم
يا ذيب داوي لي جروحي و اداويك	حتى نكمل درب اليوم مبهموم
يا ذيب في صدفة انا اليوم الاقيك	وانا اعرف انك من غثا القوم مظلوم
يا ذيب وقت الهم لا لا يجي فيك	وقت تقدم فيه عقابها رخوم
يا ذيب خلك دوم راحل خليك	رسم الشقا في دربنا صار موسوم
يا ذيب سارت خطوتي مع خطاويك	خلنا نترافق بالمسيرة على الدوم
يا ذيب انا مناشدك يا ذيب و ارجيك	ودي جوابك وان بقا عندك علوم
يا ذيب مرقا الحر يرقا به الديك	وشلون عقب العز هالحر مظلوم
يا ذيب لو تطلب حياتي ترى افديك	لانك وفي اوفى من حارس القوم
يا ذيب هون ودي اليوم اخاويك	وارحل عن سنين بها القلب موهوم

تيسير الذبابات :- وقتنا الحالي

الله على وقتنا الحالي	وقت به الهم واتعاسه
ناس على ناس تحتالي	والغدر به زاد مقياسه
في وجهك صويحك غالي	ويظهرك الناب غراسه
لا احتاجك يجك بالحالي	حلو الحكي يجك بسياسه
ولنه قضا منك دجالي	الكذب بك تفرع اجراسه
وعزي على وقت يحلالي	والصاحب يزين مجلاسه
ما به تخاريف و جهالي	يبعد عن الكذب و انجاسه
الصاحب يفز طوالي	لصاحبه لا وجعه راسه
يعطيه من زاد المالي	فقر الليالي معه داسه
وما يسمع لقول دجالي	اللي له الكذب دساسه
هذي التواصيف تحلالي	باللي نرى المجد نبراسه

صالح عقله العطفه/ المدوره :- حيرة

الامل والياس و ظروف عسيره	لو تتادي منهن ما اسمع نذاك
كيف اسمع وسط جو فيه حيره	بين قلبي وبينهن سار اشتباك
من تصاريف الزمن حالي خطيره	لو وطيته يوم بالثاني و طاك
وصاحبك لو جيت ودك تستشير	لا استمعت لقصته تنسى بلاك
لا اشتكالك من هوى طفله صغيره	ذكرك في حب محبوب نساك
ابو عيون وساع ورموش غزيره	والجدائل يضرين حد اللوراك
والنهود بوسط سدره مستديره	لا مشى بالثوب سوى احتكاك

من جنوب الهند للشام الشهيره	ما زها بالعين مخلوق سواك
ومن حدود ايران لحدود الجزيره	ما خبرت انسان ايعادل غلاك
لو بكيفي كان سميتك اميره	لا وبل اظن سميتك ملاك
لو بوجهي وقفت كل العشيره	مستحيل انساك او انسى هواك

عهد سالم القومان :- " الصمت "

لو اطمع ان الصمت ينفع ما تكلمت	واخلي الصمت في حياتي منهاج
وقاطع الكلام وانهج مسلك الصمت	والصمت للجروح القديمه علاج
ان جيت ابشرح قصتي تلعثت	ولساني ما ينطق من كثر الاحراج
تبعث شخص ما بيني وتوهمت	في خيالي باني له قصور وابراج
واقعي الاعمى هزمني وسلمت	ان الاماني واجهت سور وسياج
حاولت اواجه زماني وتحطمت	وتكسرت مجاذيفي على شط الامواج
ان قلت جاد الحظ داهمني الوقت	حطم بوجهي كل نور وهاج

الدماني :-

عويت انا عويت سبيب بشنه	لا جرها في تالي الليل سهران
ولا اللي جظو منهن يزعجنه	في راس برقا مارقاها ولا انسان
قلب الشقي بصوتهن زعزعه	وصبح كما المذهول حائر ووجلان
وجدي وجد اللي الحوافر وطينه	في بير قوم وطايحين له بميدان
في ديرة يزعج بها الذيب ونه	ما مرها غير اشهب الذيب جيفان
ومتى زهابه والسلاح ابعده	وتلاهن اللي ما يخيله بالاعيان

رهبه الوحوش الجانية قطعنه
 ومه وحيده ترجي الرد منه
 قامت توابق يوم دمعته لقنه
 وقامت تجر الصوت عيت تكنه
 هذا وجود اللي الليالي اقعدنه
 وجيت الطبيب وقام يظهر بغنه
 وش انت تشتكى قال لا بد عنه
 وحتى عيوني توجهت صوبنه
 ونادى الطبيب
 قال اسرعن يا نارسات افحصنه
 قالن فواده فيه علىه وكنه
 قاللي عامن والقلب كنه
 عليك وصفه بس لا تزل عنه
 انت دكتور هرجك مضنه
 ابي غردها بقلبي محنه
 قد علوه توهن زيننه
 ومن برق رعوها شاركنه
 غصين موزن الريام افزعنه
 شذب قرونه يوم دلعه كنه
 سود عيونه من نفر يجهرنه
 واللي ممشاه ما فيه لئه

ويقن بانه فاني ثم هلكان
 مقطوعة حاله قرايب وعربان
 عد تبالي الذود ومير انه مابان
 ودموعها تروي نواشيف الادجان
 له حاله فيها اصبح الطب ريشان
 يقول انا دكتور شاطر وفنان
 وقول يا دكتور حالي بنقصان
 اقبل انا بالليل حاير وسهران
 انت بعصابك مرض وانت تعبان
 وابي عن احواله تقارير وبيان
 والذاكرة عنده بها اليوم فقدان
 كنه وكيلك بغلاه بنيران
 بالصيديليه تاجده داخل معان
 دكتور والله كل ما قلت بهتان
 من كل شوفه صرت انا اليوم وجعان
 ققع الكما لا ناض من عقب الاحزان
 مجر سيله حط بالقاع شعبان
 لا هو نحيل ولا تسميه ملبان
 لجهلن يكسنه لو كان عريان
 وخصل رمشه كنه عيون شيهان
 ودرب الشوق ما قيل راعيه ندمان

محمد الحمامدة :-

البارحه في الليل بتتا قسايا	و قليل من شكى عليه المواجيع
البارحه حلي الفنجال بين الودايا	وحس الوانيات في حنوة الربيع
وحجر الرتم نرضم عليه الشوايا	والربع في ظل العريشة مكاويع
عند اكحل العينين وزين الثنايا	اللي اوشامهن مثل عشب المراييع
واليوم صرنا في احبال المنايا	نشرب من السم المكرر قراطيع
والناس مكتسين واحنا عرايا	وديارنا صارت ملاعب جراييع
صرنا بعد شيب الغوارب رزايا	و صرنا بعد سمر المقانع مقاطيع
وسربة اللي زي ضباع الهبايا	اللي يكرعوا في ساكنه الريح تكريع
العمر فاني والنقيصه ولايا	ويفرح قليل الحيل يوم الزعايزع
ومن عقب مانا مثل ذيب القرايا	واشد فوق الحيل ما شدها جذيع
امشي على رجلي وعظمي شطايا	واقوم واقعد في البلاد الجراجيع

خليل الوحيدي :-

ثلاثة ايام وانا صايم	قعودي ما صرك نابه
وردنا العد القراح	صدفته والبخت جابه

وقسمت أعقل قلبي	عياني يوم شافت احبابه
يجري بايدين الفوارق	حصان هزيت ركابه
سيقانه زي الكهرمان	ما احد بيلوم اصحابه
ما جبنا وصفه متغطي	الهقوة زي در الحلابه
صابه زي لف السقاره	ويقرب للعمر اسبابه
ويابو نهود عالصدر قاعود	يشده من طرح الرطابه
اصابعه زي الشماريخ	يضربو خروط الشبابه
ورقيته زي ابريق الفظه	وتقتل من غير قلاده
على الخرطوم مخط نجوم	زهرة وما فيها رهابه
عيونها زي غدير الصيف	ويا عذاب الخطابه
ويابو حواجب مقترنات	شهره ع خط الكتابه
ويابو شعور حرير منشور	خللا في قلبي شعلا به
من واجه عطيه يقول له	بيلم الرجال لحرا به
يجيب البنادق فتايل	كل واحد له كحل في غابه
ونقعد على العد القراح	من جانا نيدرك صوابه
يا عالم قولو سلامه	بيلم البضعه كذابه
ويعطي زينة طلبها	وان جاني با عطيه حسابه

فالح السويركي :

عل ايش يا دنيا تقلي حياكي من عقب ما احنا اصحاب واحباب

يقول تستاهلي يا عين هذا جزاكي
يا عين خبي وخيب الله رجاكي
هذا جزاكي اللي يتبع هواكي
يشكي علي قلبي نص المشاكي
ويا دار كل الغلب علي بناكي
خلا ما يصعب عليهم جفاكي
يأم الدلال الزين حاتي نباكي
العيب عاللي باعكي واشتراكي
ترخي قراميل الغوى ع قفاكي

قال آه واكويكي ثمانين دولا
الله يلعن كل من نقلها خاب
يشرب من السم الصقطني وما طاب
وقميت أسج فيه لما القمر غاب
والغلب الآخر حسينا له حساب
وخلان من كثر السهر جسمهم ذاب
والأسمر اللي فتكي فيه ذاب
وانتي تعديتي على كل من عاب
واحنا نقاسي الغلب من باب لباب

فرج أبو ختله

أناعديت روس مشمرخات الشوائق
يا دموع عيني غورقني غواريق
ياله من بيت بني بالصعافيق
وأربع قريشيات مثل الغرائق
وبهارهن من ديرة الهند تشريق
يجيك بسفن البحور الغواريق
يا محلا ضرب المبهر على ريق
وجوزية يدفق بها السمن تدقيق
يا حلو ذبح مهزعات المعاليق
وتسعين شيخ ما دعو بالتفاريق
يا حلو خوه ضاريين الطواريق

الله من قلب تشقى بشقيق
على مراد النفس ويبس ريق
بربعته فرش الحرير الرقيق
شراهن صافي المطر في البريق
يجيك من صفة أليم الحريق
شواقهن زجر الهوامع الغميق
تكرف بخشمك ربحته قبل ما ذيق
من شان هشال الخلا والفريق
بربعة اللي بالضيف ما يضيق
هذا ولد عمي وهذا شقيقي
حضرنا القلوب مدلهين الرفيق

تبلون شيخ ضاري للهداليق والحر لن ذاق العلف ما يليق
 غارو عل البل مع فجوج الطواريق احدكسب واحد من الناس عيق
 تسمع العطشان الثلاثي تراشيح نبغي نسوي للعشاير طريق
 والخيل تنخي الخيل في ساعة الضيق يوم لزاها وسع الخلا للمضيح
 الله على شرشوح ذود مشافيق شقر ووضع من بياضهن لهيق
 وان عطفن حيرانهن عالملاحيق ما احسن رطين الخلف من عقب فيق
 الواه عالكحيله من طوال السماحيق قبها ضامر تقول ذيب مويق
 الذيل راس معذبات الشقاشيق والصدر باب وواقف بالالحيق
 ولو سمطو سموطها و التعاليق تمرق على جرد الاصيل مريق
 شربها حليب مقطفات الزبانيق وحب الشعير محمص لها عليق
 اضرب على الخدين واصفق تصافيق من اللي جراي يا ناس ويس الريق

ويقول ايضا :-

قمت اطلعت الجبل اليابس ما يطاه الخضار
 حطيت نعلي في رجلي ما شي لرعي دوار
 نزلت على جبل غدير ولاه مطلق بالاشجار
 جينا شلنا عربنا عل اصبح حطينا زوار
 ثاني يوم في العقيدة وصرنا نتشاور في الدار
 قالوا ننزل عالعرب وعريبه زينه بالمقدار
 قعدنا سبع وثلاثين في الحقيقة ما فيه انكار
 ليلة قالن غير نشيل لذهن الراي المكار

راي ينبع للحريم وكلهن عديمين الاشوار
 قالو كيف نقعد في غدير عليات مفقعه النوار
 حكمو الراي وشالو الصبح مع طلوع النهار
 فاتن طنبياتهن ييكنن وكتن عليهن قرقار
 اثراة بكاهن متأخر يوم العزل في السمار
 للنمر ودن معزاهن وصار في وسطهن مختار
 يزقح هذا ويقرط ذيك ينقي غير شاة الغيار
 فقايدهن سبعة عشر ومخاللي بقيتهن فرار
 ولا العذارى بتبكي بالدمع اللي ينزل حدار
 قلت : عيش بتكن يا بنات ما هذي الدنيا دوار
 عيش بتكن يا بنات كود ما عجبنك دوس الجزار
 يوم تسلم غنمكن خشب تسلمه النجار

علي العماري السواركه :- " ليلي عذاب "

ليلي عذاب وغربتي مالها حدود ودمعي تكسر بين جفني والهداب
 وعانق جروح الامس جرح له شهود دمع تحدر خالطه دم سكاب
 وجيش الاسى في دنيتي يعمل حشود وجمع جيوش الحزن من خيل وركاب
 ودنيا السعادة عانددت حض مقروود وترسل بشايرهم في ليل الاغراب
 وتاهت بي الايام وشربت انا بزود مر وعلقم في ملذات الاكواب
 وجفن عروق الجوف والشوق مضهود يخالك نور القمر والقمر غاب
 وياكن في قلبي لقي جنود بجنود وصوت (الموزر) تجعل الخيل ترتاب
 ونيت ونه من على القلب ملهود وتواردنه ارماح وسيوف واحراب

في مزاحم الفرسان والسيف مجرود وتنازعنه كالوحش ساطي الناب
 او ونه اللي من على الحد مطرود واقفه على النسيان مع وقت الاغياب
 واقفت تفج الارض بمجالها السود مثل السفينه وسط الامواج تتساب
 عليها قرم لا اغفل الناس برقود قطاع للفرجة وللموت ما يهاب
 ما يعانده اليا مشى حفر وحدود وما يعاسره بالسير وديان و هضاب
 او ونه اللي بالكبشات مقيود جابوه للجلاد يوم قص الرقاب
 وحبل الامل في دنيته صار مفقود وتقطعت عن دنيته كل الاسباب
 وانو نوح اللي من الساق مضمود وسمه سرى بالجوف وسط الحشا ذاب
 وحظي تعثر واصبح اليوم بلحود واطنب طنيب الذيب للبر نهاب
 طالع سروح وسامع لصوت بارود واقفي برود الارض منه الامل خاب
 عليك بالمجمول حالي كما العود والروح ماتت واحمر الدم صباب
 وراحت ايام كلها سهود ومهود ومات الرجا في دنيا كلها اغراب

فرحان العمامره الحويطي / عاصفه العطش

العطش اللي سقا نبض الحروف والسراب اللي شرب غدرانها
 والجفاف اللي زرع بالقلب خوف يوم داري انكرت جدرانها
 انكرتني وانكرت ذيك الكفوف الكفوف اللي بنت عمرانها
 اطعنتي وطعنتي بين الكفوف وفي فؤادي اشعلت نيرانها
 داري اللي اذبحوني و هي تشوف بيوم موتي بشرت جيرانها
 ارقصت .. غنت على انغام الدفوف اه من حوى و من نكرانها
 داري اللي طاوعت حاقد حسوف ونسيت اللي اسقته خسرانها
 طاوعتهم وابعدت باقسي الظروف وفي خفوقي اغرست هجرانها

فرحان العمامرة :- " حرمان "

احرموها متعه الحب الجميل	واجبروها تسكن بقبر الحياه
احكموها واحكموا قلب ذليل	حايته غير البكا و ترويد آه
شابت ازهار العمر عمر اقتيل	والمدافع نرجس الوجنه سقاء
وجهها الملاك اصبح كالهزيل	وانتحر عمر الهنا بيد الجناه
الفرح في عينها اصبح عويل	الفرح في موسم الفرحه نساء
كفنتها و هي تشوف الاكالييل	وشيعوا جثمانها قبل الوفاه
وحارت الدمعه على خد جميل	ما تعرف الضحك حتى من بكاه
كيف يرضى من يكون الها حليل	عيشته مع جادل حظه نعاه
يا عديم الراي اعطيك الدليل	عايش مع جسم قلبه قد جفاه
يا بشر منتو بشر قول جزيل	حكمكم لا حن اقسى من صفاه
هي قساوه مجتمع عدله يميل	خافوا يوم فيه حفاه عراه
ودعوها بالفرح قبل الرحيل	ما دروا انه الفرح الها و فاه

وقال ايضا :-

شفت يا خالد دنيتي كيف اظلمت	وتهت في دنيا الاسى مالي رشيدي
لليالي كلما قلت افرجت	انطوي في خافقي ليل مديد
الجروح الخافيه كلما برت	عاجلتني دنيتي بجرح جديد
والغصون الناضره في اغبرت	وانصهر من دمعتي حتى الجليد
والمصاييب عن غضبها كشرت	واغرست انيابها حتى الوريد
ونفسي من الحزن شربت وارتوت	وافاض من قلب الشقي موج عنيد

واشتبك بالموج اعصار شديد	وفي ثنايا الموج روجي انطوت
يحترق في وسطها قلبي الوحيد	وفي صحارى الموت ناري ولعت
ارتدى في حضنها مثل الوليد	ولا حبيبه كلما عيني ادمعت
ومات في دنيا الامل طيف سعيد	يا مخاوي الليل سحبى زوعت

سعود عبد الفتنة / في صحاري الهجر

يمكن جناب الود يسمع مناديه	في صحاري الهجر للصوت نادي
يامن يرد الصوت لدير غاديه	صوتك صدى للصوت والصوت غادي
ومن نار هجرك جفت ازهار واديه	صوتك وصوتي والصدى بجوف وادي
والصوت داوي يوم هذي مناديه	صوتك صدى والصوت خان المبادي
ود بصحرا الهجر والشوق حاديه	يمكن يشوقه للقا صوت حادي
ومن خان عهد الود حنا نعاديه	جوي تكدر و عندك الجو عادي
ومن عانده بالحب ما قاد هاديه	ود تعلق بين غادي و غادي
ومن لوعه ياريت ربي يعاديه	ود تلوع بين هجر و عنادي

حيرة

لو تتادي منهن ما اسمع نداك	الامل والياس وظروف عسيرة
بين قلبي وبينهن سار اشتباك	كيف اسمع وسط جو فيه حيرة
لو وطبته يوم بالثاني وطاك	من تصارييف الزمن حالي خطيرة

وصاحبك لوجيت ودك تستشير	لا استمعت لقصته تنسى بلاك
لا اشتكا لك من هوى طفله صغيره	ذكرك في حب محبوب نساك
ابو عيون وساع ورموش غزيرة	والجدائل يضربن حد اللوراك
والنهود بوسط صدره مستديره	لا مشى بالثوب سوى احتكاك
من جنوب الهند للشام الشهيره	ما زها بالعين مخلوق سواك
ومن حدود ايران لحدود الجزيره	ما خبرت انسان ايعادل غلاك
لو بكيفي كان سميتك اميره	لا وبل اظن سميتك ملاك
لو بوجهي وقفت كل العشيره	مستحيل انساك او انسى هواك

باب الغزل

زياد ابو تايه :- العيد

<p>ما دري هو حلم ولا حقيقه يللي ارهنت الروح عندك وسيقه وعداد ما بالوقت مرت دقيقه من طعنهن حسيت بالسدر ضيقه وسهمك الثاني من شفاف رقيقه تاهت بيه الاقدار وظيع طريقه ارحم محطم ودود يابي رفيقه لو قالوا لي اتبع ما باع قلبي عشيقه اعاهدك ع الحب ومظلي وثيقه احبكم قدر حب الشقيق لشقيقه</p>	<p>في نهار العيد قابلت انا الزين عيدك مبارك يا مالكي وين قالت : هلا بك عد سات وسنين قلت : ارحميني من اخطار سهمين الاول صادر من موقه العين يا غزال بالجفر ارحم المسكين يا كامل الاوصاف يا منبع الزين انتي من الزها تسوي ملايين اعاهدك بالله رب الموازين وحياة من نزل تبارك و ياسين</p>
---	---

وله ايضا :-

<p>من قابلت الزين حسيت انكدار وحشني في قاف حظر بنفجار ابو صف عيون الزين جمله واحتقار حاط جفن العين حوله واستدار وغض طرفك لا تسبب لي انهيار من نظرهن حس دوخه وصفرار</p>	<p>يا بو نايف جال قلبي و ما صمد وهاج فكري والضمائر له سند قافنا لزوم يظهر كالشهد زهي برقع واضعيه فوق خد لا تتظرنني بالعين ارجوك صد الحلا والزين بعيونك وحد</p>
--	--

كنهن عيون خفر مسترد
والا عيون الحر في اول هدد
نون عينيك به جيوش تستعد
والرمش اللي في عيونك مستحد
معجب العيون يطلبكم نجد
اعمل المعروف ولا تمشي عند
ومد ايدك الي والزم في عهد
وبعدها ملزوم امشي عالوعد
يا لطيف العود مزبور النهدي
يا وديد الروح ما بجسمي جهد
اترجى وش باقي لي بعد
وعتبرني دوم لمرك معتمد
كود يقوم اليوم حظي و السعد
يا غزال الجفر عنكم ما ابتعد
انحبكم اعلان ما فيه جحد
مثل حب سار مغرم به حمد
يا وزين الروح قافي لك ورد
عسى الرد يكون الجرحي ظمد
ون تعذر قربكم طول الامد

في افياض وشاف زيله واستدار
رائعا بالجول طالعهن اطيوار
جاهزة بسلاح شامل للدمار
هز جسمي هز زلزال العمار
انجدونه خوف يغرق بالبحار
ادرق العيون وظفي للخمار
ما تشيله قط طول النهار
واقترح الحديث معكم والحوار
ارحم المجروح وظفي عنه نار
راجيا معروف ترفع للحصار
اتخذ لي بساع من عندك قرار
ون رغبت اكون الكم مستشار
واتعامل معك باخلاص و وقار
حبكم بالقلب سواره مطار
حبنا للزين واضح له مسار
مع جواهر يوم هجره للديار
راجيا للرد ما اطيع انتظار
واعلن للافراح في كل الاقطار
لجل عيون الزين لموت انتحار

مصطفى الخشمان :- وجدانيات

امس العصر عبوابكم مريت	ناظر وعودك والوعد ملئت
وسنين تجري والعمر يمضي	ما عاد انك يا الفرح طليت
ويقول : بنت ابدوية مع حلاها طول	سمرا وكحيله والشعر مجدول
قالت هلا ويا مرحبا بالضيف	بنت العرب فيها الكرم موصول
هلا يا ليل بقدومك	يا بو العشاق من يومك
انا جي فيك نور البدر	واعدد في السما نجومك
قمر يا اللي علينا تطل	ونورك عالسهل و التل
امتى حبي علينا يهل	ونسهر ليلنا بنورك
قمر يا للي تشع فوق	توصل حبتي للشوق ..
انا اللي بالهوى محروق	انا جي طيفه في طيفك
الا يا بدر بالعالي	تخبرني عن الغالي
ترى حاله مثل حالي	مريض الجفن من شوفك
قمر لا تبخل بنورك	على العشاق من حولك
عساكم ما يلومونك	ولا اتغيب على هونك
الا يا ليل ما تخبر	عن الايام و ما تدبر
رفيقك دوم متحير	عن اسرارك عن علومك
حبيبي راح انا انده له	وطول العمر ارسل له
سلامي من يوصل له	ترى يا بدر ما غيرك
حبيب الروح في المغرب	على دروب الهوى يلعب
وانا دمع الضنى اشرب	ولا اشكي الهوى لغيرك
ارى نفسي على دجله	مع النواس في حفله
وبنات الليل في البصرة	ميا جوني ويناجوك

سبتني حلوة البحرين
وناري أصبحت نارين
يسميتها وكحل العين
ومالي صاحب غيرك

سلامي مع نسيم الليل
وغصن البان لما يميل
لحلوات العرب عالليل
يهيج في السما جنونك

حبيبي والقلب مكلوم
وبينا الشام والسلوم
قدر ما في وطننا هموم
أنا تايه على جفونك

غزالي من عدن للشام
سهام ماترد سهام
سريع الخطو ما ينظام
حبيبي لا يصيدونك

حمام الدوح في وهران
وليفك ضاع في عمان
حزين ابدمعه حيران
بغير البدر ما يشوفك

أصبحت أنا الصبح بالشوبك
ويا زين لا بتخل بشوفك
والقلب ع الزين ملتا ع
عمر الهوى ينقضي بساع
وأن رحت انا القلب مرهونك
ما ينشري حين يتباع

تيسير سالم الذيابات :- يا هاجسي

يا هاجسي تاصلك مني تحية	تبعد عن الحساد و اللي حسدها
كانت حظوظي قبل اشوفك رويه	واليوم صارت زايده في سعددها
يا صاح في قلبي محبه قويه	نيران حبك في خفوقي و قددها
ياليت تمضي ايامي معكم بطيه	وترحل سنين الهم تحمل نكدها
انت الحبيب ومحبتك لي وفيه	ما تغيرت بل زايده في عندها
انت الفيك الطباع الابيه	فيك الادب واوصاف عقلك سنددها
لا شفت زولك هان همي عليه	وصارت هموم الوقت تترك بلددها
انت النسيم اللي رياحه عزيه	وانت الحياه اللي اكيد وعددها
وانت الامل يا بو العيون الشقيه	والله احبك كثر هلت بردها

ويقول ايضا :-

لارجع واسامر ما مضالي من ايام	وامشي على درب حبيبي مشاها
اظهر من الافراح واخفي من الالام	وانسى تصارييف الزمان و غثاها
لارجع واصحى الوقت من سالف اعوام	واشب نيران يتواقد سناها
واعانق النسمات لا هبت انسام	واغازل النجمة بعالي سماها
واشعل شموع الحب في درب الاوهام	تضوي على ذكرى خفوقي رثاها
وارسم مسير ايامها وسير الاقدام	تمشي على هون بطيه خطاها
واتابع احلامي على درب الاحلام	واصل مواصيل الامل في رجاها
واترك هواجس خاطري بالهنا تنام	واسقي ورود الحب لا جف ماها
واعشق عيونك كثر ما طائر حام	واعشق بهن حلو الحياه وصفاهها

صالح عقله العطفه :- عتاب

هاض قلبي ونفتح عرق الوريد	لجل قولك يالعينده باح سدي
القصيد اللي تقوله كالعصيد	فاهم معناه وارسل بالتحدي
افهم المقصود والقول الاكيد	واطفي النيران قبل تستحدي
في رساله خذها عبر البريد	او كتاب بظرف من يدك ليدي
او عذر مقبول من قلب وديد	اعذرك لو جيت واعتذرت عندي
الحسايف والترجي ما تفيد	ولا تردك دمعته من فوق خدي
لو بكيت ابكي على واحد عنيد	والعنادة بيده جدك وجدي

ويقول ايضا :-

جيتك ونا على امل باللقا فيك	جيتك ونا منك انتظر نطقه الصمت
وفعلا لقيتك بس مقدر احاكيك	وقفت حاير يوم بالعين سلهمت
ولو يصمت لساني بقلبي اناديك	من نظرتي اهاوك لو ما تكلمت
مرت ثلاث سنين والقلب يغليك	وشوف زولك عبر الاحلام لا نمت
واليوم انا يا صاحبي بين اياديك	افعل مثل ما تريد بي لو تكرمت

وقال ايضا :-

يا زين يا بو عيون سود ونعاسا	يكفيك قلبي يا حبيبي ملاكته
عقب المعزة والغلا والوناسا	عذبت قلبي في هواك و تركته
خلتني عايش بهم و تعاسا	حبك المواصل ليه تنزع بركته
اليا سالتة عن سوالي تناسا	وقبل يتكلم فيه صمته و سكتة
واليا مشي تقول فيه التماسا	عجرت اميز صورته من حركته

مخلد الزوايدة :- يا ليل جاوب حيرتي

يا ليل جاوبني ترى خاطري ضاق
 واعكس صدى صورة في بعيني مطله
 نور القمر ما بان وضاح الافاق
 اشوف نوره عمتهك نستحله
 انا شرهت وشرهتي هدها فراق
 وافنيت عمر الصبر و اشفيت غله
 جيتك اخم الارض والرجل تتساق
 والشوق ينزع خافقي من محله
 ليتك تخفف هم قلبي و الاشواق
 وتمسح بعيني عبرة مستهله
 انا اسالك يا ليل من عذب الانطاق
 يا سرمدي و شلون كيف ارتحله
 عود صدى صوتي من الوجد منعاق
 بحروف مكسوره ترتعش مضمحله
 يا ليل ما تسمع والهواجس بي عتاق
 يا ليل وقف عقدتي من يحله
 جيت استفزك واحرق اوراقلك احراق
 واحرق ظلامك واتصفح سجله
 كم عاشق بالليل ناجاك مشتاق
 ينشد نجومك عن سواليف خله
 وغيمك سري والعين تومي بالاحداق
 وتبخل على من ذاق بالوقت عله

كم عاشق ناداك في صوته اشفاق
 وانت ترد الصوت بطعنه و تله
 ادعاك تشهد كل عهد و ميثاق
 وافشي لغز حساس محد فطن له
 وكم عاشق بك تاه في خطوة ارهاق
 واخشى ظلامك صمت عيا يدلله
 سطر حروفه عن معانه ما ذاق
 ويكتب بك الاشعار و الشوق مله
 وكم عاشق عدك في روس الاطواق
 ونوخ ركاب الفكر عقب المذله
 ويزع بك الونات من فج الاعماق
 ويصفق على الراحات من اللي حصل له
 وكم عاشق يا ليل تاليلك به ضاق
 ورحبك تضايق مئ خرم المسله
 و كدرت صفوه بالعنا بعد ما راق
 وياكم خاطر تكسره وتقول زله
 يا ليل تكفي ما بقى شي ينطاق
 ما عاد يخشى الميت سيف تسله
 يا ليل جاب حيرني قبل الاشراف
 ودي جهه من دون اربع افله

الدماني :-

جاني عزيز وقال وش بيك منعك
 يا صاجي حالي بعد بيه تجهل
 هو اللي عالم خفا قلوبنا كل
 ولاني بمن يشكي ويرجي التفضل
 اللي لغيره كل من يشتكي ذل
 هو اللي عنده لعساتهن حل
 ما ارتجعت لخالقي واتوسل
 قلبي تهيض وانفتح كل مقفل
 ولا كان قصدي بالوليف التغزل
 همنا بنا بظلوع جسمي تطول
 مكثف اليديين دايم محجل
 ولا ضرير لا مشى الدرب مادل
 ولا صغير تو للحول مكمل
 وحض مثل اللي كيف متعطل
 ولا سجين وداخل الشباك مقفل
 ولا شجاع طاح بالماء ونذل
 وجاوبت ذيب يزعج الصوت بالثل
 هذا وجود اللي زمانه تبدل
 عقب السعاده في حياته تنكل
 ويامل قلب كن به نار تشعل
 على اللي في داخل القلب محتل

قلت اللي بي يا صديجي عظيمي
 وارجي الشفاعه من ولي كريمي
 الخالق اللي ما بحالي غشيمي
 شكواي للي حط بالقلب ظيمي
 الواحد اللي في عبادته رحيمي
 اللي بذرات الخوافي عليمي
 اصير من رجواي عبد ذميمي
 وبديت اسطر قافنا يا نديمي
 من جور همنا بالضمائر مقيمي
 ماله زمان موكد مستديمي
 والنور صار لنون عيني خصيمي
 يدفعنه بالشقوق الحريمي
 امه توفت صار منها يتيمي
 يزحف على الكفين حيله عديمي
 محكوم عشر اعوام حكم ظليمي
 عقب المعزه صار بيد العزيمي
 عن العدي ضرب الظواري مشيمي
 وقت تعروج يوم هو مستقيمي
 ودنياك ما دامت بشر ونعيمي
 ان ولعت في باليات الهشيمي
 من بدا المخلوق به مستهيمي

افرح تر والله من بعيدن اليا اقبل
 ويزهر ربيع القلب من عقب حل
 وانا على عهد المحبه مقيمي
 وينشن عروقه بالخفار و النعيمي

صالح عياد الظلام

يا رب تحيا مصادير ميقوع
 وتحيا اللي ثوبه ع الساق مرفوع
 ع اليوم لن الحبل مثني ومربوع
 ع اليوم لن الحبل مثني و مربوع
 والبارحه بيت شنشون وضلوع
 والسر ما يطلع عل غير جدوع
 وتحيا مقيل صوبحي مع مرده
 و شلوح للدلو حبله يشده
 وانا اشد الحبل ثمانين شده
 ولا جدي قريب لجده
 واصبحت كبدي للحياه مسترده
 من شاف عيبات الخوي ما يعده

سلطان الصواحين :-

يا عين لكي بالهوى لفته
 يا الله من صاحب شفته
 والكحل في العين داعجته
 والقرن عالمتن حاذفته
 يابو ثنايا برد هل
 ما انتي على دين الاخوان
 خده من الزين رويان
 والرمش يا ريش غربان
 يلحق محاقيب وبطان
 حبك على الموت و دانسي

الشيخ خليل فرهود :-

يا بو معيتيق شسب قلبي بناره	شاعر احساسى واللهب يشتعل بيه
بسباب منه ساكن وسط داره	فتتح جروح مغسقات ليلاليه
سبحان من صور زين و نظاره	جماله يا للى كان فى مواليه
سود العيون والاصابع سجاره	ويا زين جسمه فى لباس ظهر فيه
جانا يوم ع المركز زياره	يتعالج واطلب الرب يشافيه
جيت الطبيب وقلت ايش هيه خباره	قال : المريض مبين من مشاكبه
كان تبرع زين العذاره	قلت : دمي وروحي لجله اليوم لهديه

عبد الله جراد العطون :- كلميني

كلميني جاوبيني يا " عنود "	خففي فى هرجتك جرح الحشا
غصب عني خافقي اصبح ودود	من الطفوله كن قلبي له نشا
يا زهر الفلا يا عطر الورود	قلب بو سامر غير حبك ما خشا
ولا خضع لحب غيرك فى الوجود	من دموعي ناظر العين انعشا
لا تجازي من يحبك بصدود	لا تعثر عاشق بدربك مشا

ويقول : - لا تظلميني

ولا تظلميني ما دريتي عن خفوقي	ولعت بي ناركم داخل حشاياه
كنت احبك باللقا بيا شفوقي	ما دريت احساسكم ما هو معايه
لا تضع بين الهرج الصدوقي	الحقايق يعلموا بيها الوشايه
هاك حقا لك وعطيني حقوقي	دام انك تاضعي خط النهايه

ويقول :- مكذب عليك

مكذب عليك ولا بقصدي اسليك	حبك تملك خافقي و استحلا
مشاعري يمك ولساني ابطاريك	قلبي يهوجس بك وعيني تهلا
اخفيت حبي عن الملا خوف ما ذيك	ومن خوف كلمه جاهلا لك تعلا
حايدت بيتك وابتعدت عن مماشيك	لجل العواذل ما تقول يتسلا
لكن حياتي داخل القلب مغليك	داخل فؤادي لك مكان و محلا
افطن حياتي لا يخيب الرجا فيك	انت الوحيده اللي عليك انتغلا

يقول :- أساءتك يا فلاه

اسألك يا فلاه عن صاحب الذوق	اللي يشوفك كل يوم من التل
ابو عيونا واسعات عن العوق	مثل الغزال اللي شرد عقب ما طل
ما طالعاه قناص في نظرتة حوق	شافه نبيل الاصل عن حيد ما فل
ادعج غنج في نظرتة يزرع العوق	في قلب منهو بالهوى صار منسل
زاهي جماله زايد زين منطوق	له منطق يشفي عيلا و منشل

اليا ترى لي فز قلبي عن الشوق ودموع عيني فوق الاوجان تنهل
خلي ربطني بالعهد وحظر البوق من عاذل ما بيننا كود يدخل
ارجيك يا فلاه اتوصلي الشوق تحيه ممزوجه بعنبر وفل

قصيده عليا لابي زيد/ ديوان الكبيسي

ابا زيد حل الله من حل قربكم ولا بكى يوم افتراق الحمايل
ابا زيد حب الناس حبل ينفتل وحيي انا وياك زي العمائل
ابا زيد عليك بالقيظ تسمر عيه وفي الشتا من غاليات الكمايل
ريميه المقدم جماليه القفا عليكم بها يا راكبين الرحايل
لكن صريخ المرو من تحت خفها صريخ القطا في معلقات الحبايل
يبيعون لا باعوا وبشرون لا شروا ولا الغبن الا في النضا والحلايل

صالح ابو عياد :- البرقع

ابرك اليام و شهورها عندي عصر لو لقيت اعصور مثله صفتلي كلها
يوم شفت الزين كن السما يمطر مطر جدبا البيد وايدها للسما ابتلها
قلت ما شاء الله ولا شفت مثله فالبشر اشهدن الرب في خلقها راضلها
صورة من صوره و خلقه ظبي عفر لو روح مع الضبا كان اخولها
لا طويله نعنعية ولا فيها قصر لا يخيف و لا عازل دقها من جلها
دقها فالعنق و الدق الاخر فالخصر الوصوف الكاملة كلها يحتلها
كن في خده قمر عشر واربع فالشهر والمحاجر كن فيها سيوف تسلها

برقعـه مهوبـ مثـل مهوبـ مثـل البراقـع بالكـبر

يا مسـوي برقعـه ميزتـه تـفـطـنـها

وأن رمت شقر الذوايب على دمث النحر

ذيل صفر شعشعت والكظام أيتلها

وأتمشى مشيه رضى ما تلفت وانعجر

التخطكسي والركاده طبيعة دلها

وإن لبس ثوب الحرير ولبسه للحر

فاز عن كل الغنادير لو يرفلنها

يا حيف الروح أنا ما أقعد فيه فيه صبر

كن في كبدي مليله تقول أعلاها

عطني المعقول عجل تراني في خطر

وإن تركت أرضاي كل الطرق أدلها

في رجاكم صابر وأتصبر وانتظر

حلها يا زين وإلا على الله حلها

خلف أبو سعره : والعيون أوساع

جعل ليلي قرب الزين يا سعيد يعود أحمد اللي عقب ما بعد وليفى قربه

ان صفالي صاحبي معلي من الحسود من حسد بيني وبينه عسى الله ينكبه

تلني شقرن ذوايبه وشعاع الخدود كن فيها كثرين والعيون كهربه

والعيون وساع ورموشهن العكش سود تسحر المشتاق لين عقله تسلبه

عود ريحان يميل أن هب نود في طرف عد ساق عذب مشربه

والحشا ملهوف طامس تحت عض النهود الله اللي حط فيه الجمال ورتبه

محمود فرحان ابو صوصين :- براق النحر

ناست الاخبار عن صاحبي ماجا خبر والهموم تلوف قلب العنا قامت تزيد
محدث جاني بعلمه يا كود انه حدر العهد بضعونهم يوم طووا للشديد
محدث جاني و نا مونس هم و قهر كل يوم راكبن راس مراقبن
جديد

ابدي المراقب وازريت من مد النظر ابعدوا عني ونا كنت في حال زهيد
خاف عني جنوبه هل الراي العجر فرقوا بيني وبينه هل الراي العنيد
من غرام الزين في حاله تشك الخطر

خف من الله وارحم الحال يالظبي الغريد
ما سمع العذال في حب براق النحر

وان عذلني واحد قلت قولك ما يفيد
كن في خده حماره مع اللون وفي طول الشعر

كل ما كده ع المتن مترين وكيد
ليتنني يا الغضي كلبونا في عمر

حتى انا وياه دايم على عهد جديد
من يلوم اهل الهوى جعل يحفر

له قبر ما دري وش غايه الحب مقطوع الوريد

عبد الله ابو شنار :-

يا ريتني سيرت يم الغرابي	من شان (نوفه) شوفها رحمه لي
راعي جديل يمشطه بالخضابي	زوده على حد الردوف متدني
والعين عين اللي يطيح الهضاب	حر على كل الاحرار متعلي
والخد بارق مستهل السحاب	وكلامه احلى من حلاب المتلي
والعود عود الخيزران الريابي	والعنق عنق من المها المستظلي

الدماني :-

سر يا قلم و اكتب جواب الدماني	ابيات شعر من ضميري طلعتني
قافن جديد من الضماير و تاني	ولا شك بالقيفان للظراف تعني
لييك ياللي بالمحبه دعائي	اجيك ياللي بالهوى ما خذني
لا والله الا خالقي بك بلاني	في درب حبك يا مناتي دفعني
يا واحدن محبوب من غير ثاني	سبحان منهو بالهوى لك اخضعني
متربع بالقلب بعلى مكاني	وخفيت حبك بالغضي لو لفعتني
مرسال حبك يوم بالتعرف جاني	مثل السلاح بوسط قلبي مزعتني
اللي نهيده في نحره استكاني	مثل الزبيدي توهن فقعتني
شقر الجدايل كاسيات المتاني	لون اللهايب واهجات يشعني
هوه الفريد اللي بدربه لغاني	ورموشه في زين خده شرعتني
يالله ياللي عاليا مستعاني	يا رب ياللي ون طلبته سمعتني
ترحم طريحن من هوى الشوق فاني	اللي فراقه باللهايب و ضعني
واخر جوابي شان الاموات شاني	ان كان ربي بالغطي ما جمعني

الشاعر راجي ابصيص الدراوشه :- الى الدمانى

واقلي اللي ما يغير مساره
واذا نصحتّه جرنى للخساره
كله سبب غروقه تقطع اخباره
توه صغير السن حلو مزاره
عليه قلبي زايد في وقاره
لا واهتي من قابله لوزياره
ويا محمد الفياض لولا الكاره
غير النكد و عيشي بالمراره
وجدني عليها وجد راع الجاره
ولا جود اللي تنفذ قراره
ولا جطيظه من عظامه نشاره
ولا جطيظه عود تالي نهاره
في ديرة ما فيه ظواي ناره
يوم اطلع الدربيل بد يساره
حبس ، ولع ، ثم جدد افكاره
ونا اتوجد مثلهم بالعباره
الحشف يا بن فياض طال انتظاره
عاد عائب انخاك لو بالاشاره
هذا جواب اللي كتب من شعاره
وصل تحيه شاعر و قداره

مهما حصله من جميع الصدوفي
في بحر مظلّم جرنى للذوفي
لنه ذكر علي اضرب لفوفي
شقرن قرونه ظافيه عالردوفي
من كل شوقه هم قلبي يطوفي
لو يوم واحد الك عيني تشوفي
يطفي سناها نار في وسط جوفي
وخطرني على يسير عقلي امخوفي
اللي انكسر بالمال اصبح كسوفي
محكوم خمس اعوام بمرا معروفى
رجله من الساقين كسرا ومحروفي
اقت ذلوله والرسن به يلفوي
مبلا سفر والجوفيه الهفوفي
ثم يمين وقام يزحف زهوفي
وقام ايتطلب الك ربه يروفي
وشكا على اللي لنتخي فعل يوفى
والنار يا مشكاي شبت بجوفي
وشكى عليك الحال قلت ظروفى
وعن اسم خلي تبي اخصر بالحروفي
الذ واحلى من لين للعطوفى

حميد ابومغصيب

هيه يا للي ماش وقف ثواني ابغي اسولف معك كلمات قليله
 ولا تحلل مقصدي ال شي ثاني لا تشك بنيتي لا يا الجميله
 قالت : ابعد لا يشوفونك خواني ثم نصبح سالفه بين القبيله
 قلت : قلبي ما يطاوعني عصاني على بعدك ما لي بالمجمول حيله
 قالت : خاف الله غادر هالمكاني لا توقعنا بمشاكل مستحيله
 قلت : يمك والله ان قلبي مخاني طرده الزينات هذي بعد خصيله
 قالت : اسمع ما نقوله يا تريباني ترى طرد البيض يتعب من يجيله
 قلت : وصفك في محتكم زماني وعتقد من شافكي يفقد دليله
 اسود العينين مجلي الجماني والخدود يروقن بمزون ثقيله
 وان وصف انا الردفين المغمراني هزت حجول الكعب ردف جليله
 والخزامى فاح خلط به الزعفراني عالنواهد مرخي راس الجديله
 عنق خشف مرتعه روس المباني ان لمح راميهِ من راس الطويله
 صدرها للنهد شفته تو قاني لون مفقاع الكما من بعد سيله
 والحشا ملهوف من هوله مثاني مثل عود اللوز والغربي يميله
 ريتني ما رحى الطبيب عاني ولا شفتك يا جميل اللون شيله
 اشهد انه حبك على قلبي كواني مورث بالقلب من لون المليله
 جرح قلبي ساطي بين المحاني والظماير صايره منك عليه
 قالت : لذا الحد تشكي من الهوان قلت: وكثير كان تبغي للصميله
 كان تبغي الصدج غرامك طواني وشتعل بالقلب من لون الفتيله
 مير عجل بالحبيب لا تواني جهتكي بالله لا تكوني بخيله
 ترى عمر الادمي يا بنت فاني دوم لحظات السعاده به قليله

قالت : اطلب ثم وضع المعاني ياك للي تطلبه ناجد و سيله
 قلت : قربه جاي يا زين الغواني و لا بديله
 قالت : الله عن مطالبيك نهاني قلت : ربي يغفر الذنب و يزيله
 هالذنوب وغفرهن من هو يستعاني ما يخيب من نداء ويرتجيله

سعود عيد الفطنه :-

ابكتب عن النظره اللي شفتها فعيونك
 وعن البسمه اللي بثغرك سيدي
 وابي اكتب عن البحه المثيره اللي فصوتك
 وابكتب عن السحر اللي فعيونك حبيبتي
 وابتظم لك شعر المحبه وانصفك
 شعري اسير الغرام يردد حيرتي
 ابشعل لك قصيدتي شمعہ تتور دنيتك
 وابساهر النجمه واطالع ساعتني
 وابسهر القمر اتسامر وجنتك
 وابرسل البسمات في مثاني همستي
 قصيدتي قبله تعانق شفتك
 تبي الدله تشتاق ترسم عبرتي
 قصيدتي همسه تعانق مسمعك
 قصيدتي بسمه هايمه بثغرك محبوبتي

حروف شعري باشتياق تقبل شامتك
 هايمه بك تنظم لك فرحتي
 وابكتبك شعر في ليالي دنيته
 وابرسمك جدول غرام بسهرتي
 و بحر واهتدي بسنارتك
 واباغوص في بحرك وانظم قصيدتي
 وابسكب كاس الغرام من بسمتك
 وابسمعك همسه مثيره في راحتي
 وابأصور منظر الدنيا بصورتك
 وابرسمك صبح الامل في مرايتي

غزل / الدماني

من هموم داخله كثر التراب	جظ قلبي جظ كيد العقود
لين نجم الليل مالن للغياب	عيني اللي ساهرة عيت تنود
ومن بعد تفكير وضحت البجوابي	هاض قلبي لم ييحت السدود
كلت من جور همي والعذاب	حالي اللي ذاهبة عقب العمود
اشعلت في ضميري والقلب ذاب	كن حجر النار في قلبي وقود
شاب قلبي داخلي والراس شاب	قام هم القلب بظلوغي صدود
زاد بيه كل انا ما قلب طاب	جرح قلبي امرمس بين القيود
ظاهرات دون شرحي للجواب	وعلى حبه بي علامات و شهود
يجرح المعلق لا غصيب الهداب	ابو عيون وساع هن بالحيل سود
قادت الغزلان في روس الهضاب	تابي عنقه كما عنق العنود

وبالحشا يا صاجي شفت النهود
ايتطوى لون زملوق النقود
صاجي منه حياتي في نكود
مازها بعيني سواها بالوجود
واقفات كنهن روس الحراب
وسط قفرن زاهي ينته بالخضاب
ومن هواها طرني جزل الصواب
غيرها مالي ولا طلاب

باب الوصف

حرب أبو ربيعة :

يا راكب اللي في المشاحي سريعه	تلذعت تطرا عليها الجفال
مثل الغزال الا اشرف بالطليعه	لن رايب القناص في دو خالي
يا راكبه ان كان ودك تزيعه	اوصيك لا ترخي عيله الحبال
تلفي على الشيخان زلم سجيعة	زلم تلقاهم بالمجالس تقال
الشيخ لنه جاك تسمعه وتريعه	تلقاه يمشي في هدومه رفال
البارحه صارت بقلبي وجيعه	وما يدر والشيخان ايش هو ببالي
وينبت من شوف الذقون الصقيعه	يصفقو في السوق مثل الهمال
بيقولو لهم يا نشامه اللي له مزرع يبيعه	تلاحقو بالسعر والملك غالي
تبيعو شدكم بالبيكار الطليعه	تبيعو محاس مدورات المغالي
اصرفو عل ارواحكم الي يهل و تبيعه	وتبنحطوا في اللبس جمله ليالي
باقي مباعتها عليكم بعد ما هي وسيعه	ضاقت عليكم من البحر للجبال
فكروا في ابن سعيد و ابن ربيعه	بنو قصور محنيات عوالي
تبعو بنات مكلفين الوقيعه	وخللو بنات مبهرين الدلاي
توقف قبالة بالهدوم الرفيعه	وتسلاه بالخبز الطري والتقال

خالد الصانع :-

برق براق ع راس قوز الخيلات	خلته وقلت من الثريا وسيمه
كبت مطرها وربت العشب زومات	واسقت عدود العين عقب القطينه

يا راكب اللي زروع في الخفيات
وتقول لجازي فاطرك وسمها فات
وسلم على جازي وعمل جماعات
يبعد عن بلاد المحب وضغينه
وان قال لك تلفانه قول له سمينه
ودي اودعك هرجي شينه و زينه

داعس ابو كف :-

من عند غزة للسبع كلها اشجار
شفت القصور العاليه وصرت مختار
وادي الشريعه كان غدران و حجار
كله ثمايل صف يمين ويسار
ابو سماره حلتاه تجيب قنطار
الذيب خلا جراه وفر مشوار
قال للحصيني : وليش بتهمل الدار
ابو هريرة هج مش عايذ الدار
ونوران فوق العاليه بيدق الطار
ودهم يلقو علاني كامل انوار
هذا زمان وفيه تاهت الافكار
واما الهزيل عندهم شيخ مختار
عنده كياس البن يمين ويسار
جوا السرايا كلمته بالف دينار
واختم كلامي بمدحه الهادي الزين
وادي الشريعه راح نبتوه عنه
واحس عقلي تايبه الفكر منه
حتى جهام البدو ويتواردنه
اهل الغنم بقداحهن يغرفنه
اليوم كله تخوخ تنقط منه
ضرب القنابل جحرهن هدمنه
قال له : انا وياك عل خشم زنه
لقي عل المنطار بيشاورنه
بيللم الصلاح و يرافقنه
من زار مكه غسل الذنب عنه
واللي بيطب السجن ما ندري عنه
كل التياها تاخذ الراي منه
ما هو من اللي البخل يبشع عنه
لن جاله المظلوم مبسوط منه
هوشفيع الناس نار وجنه

من كتاب الابل في التراث الشعبي الفلسطيني لسليم عرفات المبيض - الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعه سنة 1993 :-

لي قاعود اشقر عنود	من أول الوسم رايع
اكريت عليه مدور بحق	ومربوط وطايح
قعودي في اماريه	حنوكه زي الصفايح

وفي مدح الناقه :

يا فاطري لوفي والخرج غاطيك	يا فاطري لوفي والخرج غاطيك
يا بكرتي ما هز الرسن غيري	يا بكرتي ما هز الرسن غيري
يا بكرتي عذبوك بالرسن والقيد	يا بكرتي عذبوك بالرسن والقيد
أما قاعود أبو شيمه	أما قاعود أبو شيمه
يوم يترج في الحماد	يوم يترج في الحماد
يا راكبين اثنين على بكار ثنتين	يا راكبين اثنين على بكار ثنتين
تصويره الرحمن رب المخاليق	تصويره الرحمن رب المخاليق
تجوللن من شموخ ظل المحاجين	تجوللن من شموخ ظل المحاجين
مرباعهن في عشب زاهي عجبي	مرباعهن في عشب زاهي عجبي
مهربات وشايلات المنجا	مهربات وشايلات المنجا
حمر هويهيات لون العباب	حمر هويهيات لون العباب
وعلى نجوع الشيخ يلفن مصاييح	وعلى نجوع الشيخ يلفن مصاييح
ويقول طلقوا روسهن نوحهن	ويقول طلقوا روسهن نوحهن

يا فاطري لوفي والخرج غاطيك
وان سلموك الوعر درب السهل ديدي
علشان وحده قصير مشيتها تركيد
لا حبل ولا حيانـــــــــــــــــه
الحصــــــــن ما يلحقـــــــــــــــــه
غزلان على روس العوالي مريات
روسهن صغيره والقولم رفيفات
بروق ناضت ليالي سعيـــــــــــــــــات
نوار نابست في النوابي العليات
ومراقهن بين الجبال الحيدات
ولا انقثر في ظهرهن لذع شامات
حالا يمد فراشهن والمخدات
وتريحوا يا أهل الركاب المستحيات

ابو معيلق جاب غوج وذلوليسن	واما الوحيددي سيفه ما بحمل السن
وابو عويمر جاب مايه وعشرين	يستاهل اللي حجلها برجلها يـرن
واما ابن صياح فرع عن طيب	حامي بنات البدو ويومن يظعن
والبنديق الدبره مع الكيشخات	والصربه اللي عندنا توهن جن
والشين ما يعشب حالات العيال	والزود ما يقصر ايدين يطولن
عافيه بين عمي حماة الخواوير	على صيتكو حمر البراطيم يرعن
راحت جمال الشوك والعاقول	وظلت جمال النذاله ما تشيل احمول

صنوا اخرفكم بالهرش في اول مشواره
 شرق العريش مرق بشويش قبل ما تمر السيارة
 شرق التوما ارض زومه رعد والمزن مطاره
 شرق رفح عي وطفح خللي الطريق ع يساره
 شرق الخان مرق زي الجان والكل مفقس بداره
 وصل خشم الزنه قبل ما يطلع نهاره

عواد ابو جريبان :- في الابل

تودعي يا نياق السبر ونياقي مزال الايام تضحكك لياليها

<p> ارزاق ما تتحصي من عند معطيها الهم عنك انجلي واحظاك قيسيها البلب مواجيبها ملزوم نوفيها البلب مواجيبها في عنق راعيها ما كل رجال يقدرها ويقينها موصفه من صفات الرب سبحانه وكون الكون بامرہ معتلي شأنه خلاقها حطها في وسط قوارنه مكلمن خلقها بامرہ و صفطانه من دبرہ اللي نده بالخير مليانه واليوم زادت غلا ودلولها زانه والله اعطاها الشرف برضاه وحسانه </p>	<p> الله بسط نعمته من كل الارزاق تذوقي واقطفي من زين الازواق تكفون يا ربنا يا هل التواق حنا الجبارات ندوس الراي لنعاقي البلب تجيب الذهب من غال الاسواق البلب لها كار وايضا خلقها فني سبحان خلاقها يخلق ولا يمني خلا تواصيفها فالكتب يقرني الله ذكر خلقها بحروف يرضني اودع مصاريها برضاه يمشني سفاين الببد قبل السفن يردني البلب شريفه تشوق كل متمني </p>
---	---

نجيب الدقس :- المطر

<p> بامرك تموج غيومها في سماها تقدح بروقه والخيال اقتفاها طم الجبال النايفات وغشاها يشمل ضواحيها ويكسي عراها وهل الببد ما تشتكي قل ماها يكسر شعاع الشمس في معتلاها تجري مغاييله مثل مبتداهها يسقي صحاريها ويقطع ظماها من كل نوع عشب ربي عطاها </p>	<p> يا الله يا منشي غزيرات الامطار غيث على المنشا هماليله كبار ثقافت نصوبه على الرامان وبهار تسقي ديار تكرم الضيف والجار تحضر مراعيها رياحين و زهار وتموج بزهور لها طلع نوار ويسيل واديها ترديد ومرار ويعلها سيل ورا سيل تكرار تشبع رعاياها بساعه و مقدار </p>
--	--

مخلد الزوايده :- دله الكيف

نسيم البوادي يا فرج دله الكيف
 فنجالها جذاب وامتع من الطيف
 بهارها لا فاح كيفه على الكيف
 هي فرحه اللي جاهز للكواليف
 في مجلس تلقا دلاله مصافيف
 لا جاد كفه دون منه ولا حيف
 اقولها يوم الردي قوله حيف
 يوم الهلبه واقف موقف سخيف
 انا وصفت اخصالها وصف لطيف
 لي خافق مجنون له نبض عنيف
 كم ليله بالشعر هز المهاديف
 انا لها بالشعر في حروت الصيف
 فارس نهار الكون نازي عن الحيف
 شجاع بالميدان وملاعب السيف
 انا لك الله لجلها صوعني عفيف
 بالشعر صغت اقوال ما تقبل الزيف
 مثايل مثل الجواهر مراصيف
 يطرب لها اللي لايعه عمس كثيف
 هذا شعوري شعر واحساس رفيف
 انا رضعت الشعر في شمع النيف
 اطرده سراب اللال في حامي الصيف
 يعدل مزاجي يا بو عافت شذى الهيل
 وينعش رجا الكيف طق الفناجيل
 مثل الندى من فوق حمر الغراميل
 على هشيم الحول شرب المعاميل
 ونجر هديره يرتعد للهواشيل
 صيته مثل شرواك وسط الرجاجيل
 واللاش كفه صار بكف بخيل
 بينه وبين المرجله حايل السيل
 وحرك ظميري نظم قول التماثيل
 يطرق ظلوعي وانفجر نبضه صهيل
 بعوج الحنايا يقدح زناد الفتيل
 بين القلم والسيف والطرس و الخيل
 يكرز روحه بين صفق المصاقيل
 شاعر ينظم القاف امطارد القيل
 اتقي جزيل القاف و اطش الهزيل
 بحروف تشعل مثل ضي القناديل
 ولا رذاذ المزن عقب المخابيل
 اهتز راسه ثم تعدل عن الميل
 لو هو تغلغل بالحشا نار ومليل
 من (الخزعلي) في رم نجم الدواليل
 واركب سحاب الليل في هجعه الليل

عطا عليوه :-

بالله يا احمد قوم وقذلي النار	الوقد انه تغتوي في سناها
وحضر لي المطلوب من بن وبهار	واحمس لي الطبخه وحرس نياها
ولنك حمصت البن خليه بمحكار	سته للواحد يوم قننت ماها
وسوقها عل الايمن عن كشف الاسرار	من خوف شكه خاطر اللي ولاها
وعودين خص بها خص على دار	خص الظوامي ليش تقطع ظماها
الا لفوك الربع من عقب مسيار	الطبخة اللي ما تهويه بلاها
والجود ما نقص من الخير دينار	والبخل دلوما تجي بملاها
الا خضعت النفس للضيف و الجار	رزقك على اللي تعلي في سماها

محمد العبدالله القاضي :- وصف القهوة

يا من القلب كل ما التم الاشفاق	من عام الاول به دوايك و خفوق
كنه مع الدلال يجلب بالاسواق	وعامين عند معزل الوسط ماسوق
يجاهد جنود في سواهيج الاطراق	ويكشف له اسرار كتمها بصندوق
الي عن لي تذكار الاحباب واشتاق	بالي وطاف بخاطري طاري الشوق
دنييت لك من غالي البن مالا	بالكف ناقيها عن العذف منسوق
احمس ثلاث يا نديمي على ساق	ريحه على جمر الغضى يفضح السوق
وياك والنيه وبالك و الاحراق	واصحا تصير بحمسه البن مطفوق
الي اصفر لونه ثم يشت بالاعراق	وغدت كما الياقوت يطري لها الموق
وعطت بريح فاخر فاضح فاق	ريحه كما العنبر بالانفاس منشوق
دقه بنجر يسمعه كل مشتاق	راع الهوى يطرب الى طق باخفوق

والقم بدله مولي كنها ساق
 خلها تفوح وراعي الكيف يشتاق
 اصغر قموره كالزمرد بالاشعاق
 زله على وضحا بها خمسه ارناق
 مع زعفران والشمطلي الى انساق
 فلي اجتمع هذا وهذا بتيفاق
 بفنجال صيني زاهي عند الارماق
 الى انطلق من ثعبته تقل شبراق
 خمر اللي منه تسلسل بالارياق
 راعيه كنه شارب ريق ترياق
 يحتاج من خمر السكاري الى فاق
 عبث يميل بحبته ما بعد ماق
 بين اشفتيه الى غنج حق براق
 سطر كتب من حبر عينيه بوراق
 كن العرق باخدودها حمر الارناق
 بالعنق كن المسك والخد براق
 يمشى برفق خايف مدمج الساق
 اللي حصل لك ساعه وانت مشتاق
 فيلا حضر ما قلت عندي فالارزاق
 وصلاه ربي عندما بارق حاق

مصيوبه مريوبه تقل غرنوق
 الى طفح له جوهر صح له ذوق
 واكبارها الطافح كما صافي الموق
 هيل ومسمار بالاسباب مسحوق
 والعنبر الغالي على الطاق مطبوق
 صبه كفيت العوق عن كل مخلوق
 يغضي بكرسيه كما اغضاي غرنوق
 او دم جوف امزع منه معلوق
 وعليه من ما صافي الورد مذلوق
 كاس الطرب وسرور من ذاق له ذوق
 طفل تمز شفاه والعنق مفهوق
 وهو يزاهي باهر البدر بشعوق
 عجل رفيقه بالطها يعطي اطبوق
 خديه صادين ونونين من فوق
 ينثر على الوجنات باللون مشعوق
 والمشخص بصدرة كما الشاخ مدقوق
 يفصم حجول ضامها التقل من فوق
 اقطف ما لاق والعمر ملحوق
 بيد كريم كافل كل مخلوق
 على النبي الهاشمي خير مخلوق

باب الوصايا

بيان الفارس :- الوصايا

سميت باسم الله اول كلامي	رب كريم محيي العظام بكفنها
صليت ع المختار راعي الشفاعة	يشفع بنا بيوم تقيل وزنها
من عقب ذا هيبه ام القوافي	ابيات تطرد كل فاهم بخنها
كتبتها للي احل ارموزها	مضمون فيه كلمات غالي ثمنها
صب الفكر علام باحوال الدهر	اللي خبز جور الليالي وعجنها
لمسلي ورجواي عندي نصيحه	نصيحتي تشيل العال من بدنها
لنور عيني رائد خطيت الجمل	عسنه ياخذ بها ولا ركنها
يا بوي اسمعني وفظي لي بالك	واقرا الوصايا اللي ظميري خزنها
كم من وصيه اللي تتور طريقك	تحميك وتحمي كاهلك من وهنها
لا بد انك تتعظ من كلامي	سود الفعايل مثلاما شذنها
من دور هلنا حافظين الكرامه	وجدك وبوك من قبلك منك زينها
اول وصاتي اتق الله وحده	بايع التقوى شبه عابد وثنها
ثاني وصاتي اتبع سنه بنينا	وحذر امور الشرع لا تحيد عنها
وثالث وصاتي طاعه الوالدين	طاعه ابا وام اشربت من لبنها
ورابع وصاتي زين النفس بالحلم	بالحلم تسمو طول منتي بزمناها
حاسب على نفسك وجود عنانها	اياك ترمي كل نفس في شجنها
وخامس وصاتي جار الرضا تحفظ حقوقه	
وسادس وصاتي شرع بواب بيتك	وابتعد عن جار العداوة كمنها
	وخلك بشوش الوجه للي لفنها

وسابع وصاتي صون دارك يا ولد
 ثامن وصاتي عز ضيفك يا فتى
 قلط اله الميسور من فضل ربك
 تاسع وصاتي هلي بالقاصدين
 عاشر وصاتي لتصون الامانه
 واكثر وصاتي صون عرض الحراير
 عرض الفتى مثل الكزاز الينشعر
 ووصيك باقى الناس صون عروضها
 هرج بحق الناس اجيب البلاوي
 ووصيك زين الهرج وسط المجالس
 ووصيك سرك لا تشيعه ع الملا
 وان اودعوك الناس سرا خفيا
 ووصيك لا تحار بطباع البشر
 فيهم لئيم الطبع نمام بالقفا
 لا ترافق اللي رفقة ساعه الفظا
 اتعب على صاحب مجرد مجرب
 صاحب اللي يسندك عندما تزل
 ووصيتك من جور الدهر والليالي
 ووصيك لا تنصح بايدا و جاهل
 ووصيك من دواج في ليل اظلم
 ووصيك من رعيد جزاع بالوغى
 اوصيك من حوا اجتنب مكرها
 دور على اللي منسيين جدودها

والدار تعمر بي نفس من سكنها
 لطبختك عدل هिला وبنيها
 هذي مهاجد تعز منهو قرنها
 زيد الرحب ع حسب ما يعهدنها
 محمود بين الناس اللي يصنها
 والشارده طباع الخلا ينهشنها
 من فعل ناقص للمكارم دفنها
 وان شفت شوفه لا تشيع بعنها
 وانتقد نفسك قبل ما ينبذنها
 عز الرجل لا قال كلمه وزنها
 كم نفس جاها ذلها من رطنها
 احفظ سرار الناس واللي انتمنها
 منهم من اهل الطيب وفيهم خونها
 البوق دابه و النذاله امتنها
 مثل الحصيني لز وانت امحنها
 ومن رافق المشلول يبلى بدرنها
 اللي ان نخيته روحه لجاك رهنها
 ايام تاتي تجوجك لشلنها
 ما ينتصح من ممشي برعنها
 من رفقة تجلب لروحك شطنها
 عند الملاقا طعننه ما طعنها
 لا تحظن اللي الناس قبلك حظنها
 لو يذكروها في تهامه بيمنها

تري النسا انواع وسال مجرب	بنت الكحيله تتعرف من رسنها
تري الحيله اللي خانت عهد رجلها	لا رجا منها ولا رجي من ابنها
حب البنس اللي تغالي بحبك	و بعد دنيه نفس ربك لعنها
هذي وصاتي لجل عينك تليتها	اله يفكك من مساويء صنعنها

فايز العطيوي :- صفات الانذال

يا قلب طيعني وعيش عمرك لحالك	وصبر على حزنك وهمك وبلواك
يكفيك يا قلب العنا ما جراك	ون صبحت الانذال يكفيك ما جاك
النذل لو هو واحد من عيالك	ما ينفعك بساعه الضيق لا جاك
اليا اغتنى جنب ودور بدالك	ولا صار محتاجك يجي و يترجاك
لا صار محتاجك يجي ويحني لك	وليا قضى المطلوب جنب و خلاك
لا صار له حق يسوق حلالك	ولو تطلبه حقه من الظلم عاداك
وليا جلس في وسط مجلس قبالك	من النذاله يمدحك لين علاك
ولا غبت عن مجلس وجابه مجالك	من النذاله يقدحك لين وطاك
الواطي يبقى واطي لو زها لك	ولو ترفعه يرجع على مستوى حذاك
يا قلب لا تتبعه ماله و مالك	ان ما بلا نفسه مع الناس يبلاك
يرد طبيك بالردية جزالك	وليا جزيته خير بالشر يجزاك

مخلد الزوايده :- لا تهتفي باسمه

يا ريم منهو خان لا يمكن يخون	شط البحر الموج من عذره غرق
لا تشدي يا ريم عنه بالسروب	ولا تكتبي اسمه على سطر الورق
شخص دعاكي تهتفي باسمه غروب	صوتك صدى من صوت بالصدر اختنق
لا تصدقي من كان بهرجه كذوب	هذاك خايب عهد وما عمره صدق
هذاك خاين وبالاخاينه له اسلوب	راعي رديه راح عنك وافترق
معطي قفو يا بنت ما يقبل بنوب	ومن يتبع المقفي ترى دربه زلق
من صد عنك كان في صده رغوب	يلعب على الحبلين وع غيرك علق
بايع هوى والعشق ما حدده صوب	صايح تسلى بالمشاعر ثم زهق
يمكن يتوب الغدر والميه تروب	غلطه ترى لو تاب من خان وشرق
غدار نبض الغدر في دمه يجوب	يشبه سراب اللال ولا يروي رمق
لا يغرك انه دوم في هرجه عذوب	سم الافاعي من وريده اندفق
قلبه حجر والروح في مهجته طوب	تاجر مشاعر نبض قلبه ما خفق
ماهو صديق اليوم وماهو بمحبوب	ولا يغرك انه ون من جوفه شفق
لا تهتفي باسمه و لو كان مكتوب	خيبه امل يا بنت في طرف الحدق
ولو هو شمال الارض حطي بالجنوب	و خله يولي كل ما بارق برق

سلطان الصواحين :-

اوصيك لا تبجح على متن خوار	ما يعجبك لنك تزيد العليق
زي الهيتقان اللي ان قعد قلت مختار	ومصلح خط الردى له طريق
اللي قعد بين الاجاويد فشار	وان صابن مصيبات لقي الخريق

لا له محماص يصالي سنا النار
ولا له بيت به الظل منندار
زي البدن يرعى عزيات الاقفار
قطاع زمانه بين رايم وتنفار
قبعه على رأسه من غزيرات الأمطار
يمرح بمن ويفرح لغزيرات الإدرار
وماله عدو غير ذيئب الادار
ويا سرع ما يمرق عليك حمار
ويفرح إلا طلوعوا من السوق تجار

بشير الزواهرة : -

يا نمر ياما علينا تجنيت
ما ريد منك مالا ولا بيت
بالعرب يا نمر سويتلك صيت
أوصيك بختم أبوك والإسم والصيت
أوصيك بأملك جوهرة داخل البيت
ومن عاقهم با نمر ما يعمر البيت
وعيال عمك جنة لو تجنيت
لا تعتدي ع الناس وتقول ما خطيت
وخلك عميد الصدق لا تقول زليت
واستغفر الله إن كان بالعمر زليت

واليوم دوري عليك اتجنا
اطلب من رب البيت بعمرك يهنا
بين المشايخ كرسى أبوك تشا
واضرب بحمد السيف من دونها
وأملك وأبوك بين فرضا وسنا
كما يريد الزود جبله يلنا
يفدوك بغلالي الروحة لعيوننا
يقع الخطا يا نمر منك ومنا
تري كثر المهرج مكروه سنا
ربك جزاك الخير يا نمر عنك وعنا

مجحم ابو غليون :- وصايا

يا غافر الزلات يا عظيم	يا الله يا معبود تغفر زلتي
انت العظيم الواحد الكريم	طالبك يا مطلوب تمحي ذنوبي
يا اجعلنا في ارضاك نستقيم	يا رب عطني رضاك و عطني
يا فارج الكربات يا حلیم	يا ريف بالحال تمحي خطايه
في ما قف الشدات والتكظيم	عطني من الايمان بر يفيدني
والكبد حرمها شراب الهيم	يا رب حرم على النار جثتي
كل يسلم بعمله تسليم	في ماقف ما فيه كود الحقيقه
يصيح صيحه تفجع العظيم	احد حقير و خايب الرجا
ماله شفاعه تجعله رقيم	مثواه في نار يحرق لهبها
في جنه الابرار وجوف نعيم	واحد حبيب وحبه الله
مكرماً من خالقه تكريم	في جنه الابرار معروف منزله
نصيحه يوصي بها كل افهيم	يا سامعين القيل عندي نصيحه
الروح زایل والزمان مقيم	احفظ صلاتك واجتهد في اركانها
ربوك وانت عندهم حشيم	وامك وابوك اجتهد في حقهم
تتجيك من لاهب الجحيم	وافتح لهم ببيان قلبك لعلها
خلك على حاجتهم هميم	بر الوالدين حج و عمره
لا بد راحل و انت عنه مقيم	ترى احقوق الجار وصى بها النبي
ومكرمن من ربه تكريم	ترى عزيز الجار يرفع مقامه
من هان ضيفه صار ذميم	والظيف شد بيه طناب بيتك
حق الخوي معروف من قديم	واخدم خويك كان تبغي الشجاعه
و عداد ما يذري النسيم	وصلاه ربي عد ما لاح بارق
عليه اصلي و اثني التسليم	على شفيع الخلق مني تحيه

خالد عياد الصانع :- نصائح

يا الله يا للي كل حي يساله
تفرج لمن عدى الجذبيه لحاله
والقلب من بين الضلوع اجتواله
اسباب وقت عانده ما صفاله
عندي نصيحه يا حلي الغزاله
بعض الاوادم لا يغرك خياله
واللاش لا يعجبك كثرة حلاله
من ترك الماجوب مالك وماله
شومي لقرم كا ما جا مجاله
شهم كريم شيمته راس ماله
لما جو رحب بهم طاب فاله
اول قراهم طبخه في دلاله
من بعدها يذبح منيحه عياله
سعد ابن عمه لو تعنى وجاله
وصلاه ربي عد منشي خياله
على النبي اللي ظهر بالعداله

يا وامر عبده على ما يريدي
بين الاوادم مير كنه وحيدي
كنه يعرض مرهفات الحديد
لو قلت راح الهم دلي يزيدي
نصيحه من سمعها يستفيدي
العوسجه ما هي تظل المديدي
الريش فوق الحمرا ما يفيدي
شومي لغيره يا شبيه الفريدي
يقاله و النعم هرج وكيدي
سعد الطروش اللي خطاهم بعيدي
يلقون في بيته مقام سعيدي
مع ثمر غرس يقدم جديدي
لو هو فقير كنه راعي رصيدي
يحل مشكلته براي سديدي
وعداد ما هب الهوى في الجريدي
شفيع الامه في نهار الوعيدي

باب العادات والقيم البدوية

فلاح محمد المصباحين :-

الي هاض قلبي اصعب القاف بنينه
يهيض قلبي هيضه وادي من عواليه
اخذ جزيل القاف وهزله اخليه
ولا كل من بيني القاف يحكم معانيه
ولا كل رجل له شور اقيده
ولا كل من يزعل ايجازي معاديه
والرجال العازات تظهر خوافيه
اليا صار انك تحشم خويك و تعطييه
وترى الردي عن الطيب تقصد ايادييه
انظر ثعلبه يوم كثرت مواشيه
والرجل ماله عن تقادير واليه
وفي وقتنا الحاضر شفت العجب فيه
وهذا زمان اكفنا شر تاليه
لا شك لا اتقارب اللي كثره اتحديه
وما قل دل ، وكثره الهرج ما بييه

واظهر من قلبي ابيوت غريبه
ركز اخياله وتراكب شعبيه
والبيت اللي مخطي معتي به
ولا كل من يرمي الضريبه يصيبه
ولا كل رجل بالهدي تقتدي به
ولا كل من زار المراحل يجيبه
و الا الرخسا كلنا ننتخي به
و الا الطيب شوف كل جيبه
ولا الطيب شوف كل حبيبه
يقول للزكاه جزيه عصيبه
ما حاشت يمينه تراه من نصيبه
اقليل اللي راضي عطنييه
كثر البغضه للنسيب ونسيبه
خلق في شعبيك وخوفي شعبيه
والهرج له حد واذا زاد خيبه

فلاح محمد المصبيحين :-

يا مل قلب باحل بالتمثيل	وليا بتحل زين المثايل و صفها
سجلت بالدنيا بين العدل و الميل	وعجزت اميز عدلها من عجبها
كيف الرجل ينسى اعياله من الكيل	وشاده وشاد الغنم مع علفها
نيس مصروف البيت هو والمعايل	وكمل المصروف وحاجته ما نصفها
وين الشيوخ محرمين المعاميل	حنا فقدنا وعلى الله خلفها
ظلو غير اللي يرتلو الهرج ترتيل	وتاهم بها يوم انتسف.....
الهرج واجد لا شك من محاصيل	قد ما حاولنا ما عرفنا هدفها
شيخ مهو نقاض فتال حلحيل	يحمي العشيره من جوانب طرفها
لا عاد انه ما يرتكي الثقله الشيل	لا خير في شيوخ ما تقدي سلفها
راحت البدو بين عاقل وجهيل	ارنب سلف كل من جاها لقفها

الهباهبه :- الاطلال

قمت اتذكر في الزمان العتيق	وخبري في اهلنا في مشاريق صيحان
عادات اهلنا يسكنون الطريق	وفي بيوتهم ياما شبع كل جيعان
تلقى منازلهم علون الحريق	من كثر ما حطو على النار عيدان
حي الرجال اليكرمون الرفيق	واللي يعاديهم بعد دوم خسران
مررت انا عاذاهم في طريق	لقيت ساكنها مع البوم غربان
خلقتها بالله قولي الحقيقي	يا دار وين اللي بكى العام سكان
يا دار كنت مجمعا للفريق	وفي ساحتك ياما قلط كل حوشان

<p>بين الجماعه لون شمعہ بسديوان بين العشائر كان قاضي وفهمان وعفراكم جوى الحشا صار نيران وابكي عليكم وانظم الشعر قيفان كانك يحكم الله غشيم جهلان وسبحان من هو غير الخلق سبحان والبيت يعمر وان ربي فيه صبيان احفظ جناحك واكتم السر يا فلان وبغض الطمع خليله يعلو بك الشان اللي ان صابك حيف هو فيك شمتان وان درت ظهرك دايمًا فيك طعان واليا بختته تلعنه وين ما كان وراعي الحمق مذموم لو كان سلطان</p>	<p>ومرحوم ياللي بالمحافل تليق ياللي يشهد له عدوي و صديقي عفراكم يا بوي واييس الريق ومن بعدكم في الوسيعة تضيق ردت علي الدار قوم استفيقي هذا قدر محتوم بين الخليقي اقنع بحكم الله وهوبك شقيقي وكانك بقيت العز بين الفريق بالجود والمعروف تبقى وثيقي وماني بحال اللي مهرجه ضيقي ان صادفك حياك كانه صديقي راعي النقلي وان قعد ما يليق وراعي الحمق ما ينوجد له صديقي</p>
--	---

من كتاب القضاء بين البدو ، عارف العارف :- تدور حول قضيه شرف

<p>وبشوف ع وجهك تضوي فنانير وانا بلاوي في مكين الجنازير ياللي انت عادتك مقوم طوابير خطوا عليه اختومهم بالتزاوير من زين حكمك في جميع الدواوير مثل الجراد ولا لفي بالمعاصير ودون الديانه منكسر الخيل تكسير</p>	<p>يا بيبك نصر الدين ع قد حكمك الحكم غيرني وبهدل بحالي ادخل عليك يا بيبك عرضي تجيبه ادخل عليك يا بيبك عرضي تجيبه ان جبتها يا بيبك لاغز رايات وخيولنا يا بيبك جنك مطيعات خمسه الاف اللي بترأظعنا</p>
--	---

لولاك جبت صليب واخربت بيته لا نزل على راس اللفق والنخابير
 ولد الجبارات ع ضمير الخيل ورماحهم مثل الشرايات في اليبير
 يا رب اللي ترجاك ما خاب يا مهون الدنيا بزين التدابير
 عمري ما اشوف العرض واقفي واخليه
 لا سيحوني كيف دهن البوابير

محمد الحمامده :-

قال الفقير امشون واحنا مشينا والضيف ماله غير راي المعازيب
 ما هو ردا فينا ردا حظ فينا والحظ يجمع العصر ويطيب
 ع فريق الشوامه حنا لقينا لفيه الصقور مدليات المخاليب
 محمد السرحان طلق علينا يا شوق من هي تدفق العطر في الحبيب
 خللي الشحم له فحفحه في يدينا وخلي جزرو الضان عندنا مصاليب
 واكلنا منه لما تكفيننا وصدرونا كما صدرت شلخ النيب

خليل الوحيددي :-

يا راكب عالي مداني قفاره اشقر شراري شامخ المتن نابيه
 اركب عليه واقدية ليله ونهاره يقطع بك الریضان والدو يطويه
 ان حس لزات الكعب فر غاره فرخ النعام لوح حطم من صفاليه
 يلفي على قرم شوق العذاره يعرف شكايي وانا عارف شكايه

يا ونتي ونه حبيب المهاره	داعيه بالركابات في الجنب كاويه
يا ونتي ونه فتاه العذارى	ملزوزه عالجوز ما القلب هاويه
يا ونتي ونه عجوز كبيره	ترعي ولدها والخلایق بتهويه
يا ونتي ونه تليب الجماله	بارك وحمله في مطبه مخليه
ابو خديد زايد في شقاره	والعين سودا وغامق الرمش غاطيه
ابو نهيد كيف بيض الحباري	وبيض الحباري يوم ترقد تغاطيه
اشرفت عالمشرف بارعى بدياره	مالقيت غير الغربان يتناقزن فيه
واشرفت عالمشرف قولي خساره	وبادعي على خبير وعللي سكن فيه

نافذ ابو القيعان:-

ويبدو انها من ماثورات البادية فهي مذكوره في كتاب الشعر عند البدو / شفيق الكمالي

يا عمرو يالمدلاة يا نازل الخوف	او ذيتتي وانت تتشد من العام
يا خو فهيد الي بك الطيب موصوف	يا زين مظهر لجاليك منضام
لوزينوا لي هافي الخصر بشنوف	ما ابغيه لو انه على النفس عزام
والله لو انه يؤمن من الخوف	في سهلة ما فيها كفر ولا اسلام
وماكل لو زينوا لي الزاد بالحواف	لو به فقار وسيح الرز بايدام
لو حنطة البلقا وتمره اهل الجوف	ما تقبله نفس عليها الطنا زام
ما تشوف حالي كنها حال ابو العوف	او حال محجوب عن الزاد صوام
شفي مفوز نقوة الغوش منقوف	خيالهن من بين عثعث ورضام
اقلط عليه والنزل طوف ورا طوف	اقلط عليه بربعة البيت قدام

ثم اضربه بسله تلهب الجوف	مازينت عند الصنائع بلجام
اما عليه البيض يصفقن بكفوف	وان عاش ما يمشي على كل الاقدام
الي كساني الثوب الاسود وانا شوف	خله يقع في سهر عيني وانا نام
من عقب ماني قنب حطني صوف	خلاني للحضر المقيمين فحام

عقل ابو عمره :-

العيب والعيب يا سحيمان	العيب تسكر على الدله
ضيفك تسكه عل الاخوان	ربيت لك عندهم شله
بيوتنا تهجي الجوعان	لن جن هوارب من القله
تسعين منسف قلط في قطان	مصرفكم ما انتقص كله
يا باني القرح والقيفان	ويش هالسبب تجرم الدله
مصرفها غالي الاثمان	ما يحصله شارب الذله
وشهودها من ورا عمان	واللي سكن شار بالحله
عيب عل اللي بناله شان	ما يبين العلم ويدله
ما ينفع الدس الخفيان	اليين الناس تجله
لا تسحب الثوب بالاردان	في كبر غيرك كبر جله
امس الضحى بان لي ما بان	من هرج الانزال بي عله
قلبي تدارج تقول جرسان	ولا موازين فتلته
ولا شفت فعلك ما بي بلشان	لا ترك البن ما ازله
ولا اشبها لجيه الظرمان	لو طرح العصر بالظله
عقرتني ليش يا زميتان	من اشرف الربيع ليطله

يا مبهر الفنجال بالله تسوقه
سوقه اللي كل عد بذوقه
سوقه على اللي يعرف حقوقه
ونص العرب عندي سهيله حقوقه
الله من بيت بانن علينا فتوقه
ياالله من ذرانا يوم بانن قدوده
ايش رايك في اللي ما كل موارث جدوده
واليوم معود على شوقه الراس
وكيف الجمل ياكل موائربدوده
ما احد ينهم الجمل عن دقه الوثر يا ناس
والله مالي حيله تمد الباروده
الا قفى مزن ثقافت رعوده
ولا بشذره السيف عباس
صبري على نفسي ولا هرج الامكاس

انا بدوي / مخلص الزوايدة

عشق البوادي في ضميري طبعي
اعترافا باليد ولا اعتناد طوعي
انا بدوي والبدو ذولا ربوعي
اعيش عيشة حر و احلام توعي
شامخ سموخ سهيل ما اعلن ركوعي
عندي كرامة نفس عندي وضوعي
عيشة ونس اعيش عامي سبوعي
ربع لهم بالود قلبي مكيني
والمفخرة بالبدو اكبر يقيني
ارفع بهم يسراي وارفع يميني
والطاير اللي طار ما ستويني
الا لوجه الحق ربي و ديني
وافهم امور الوقت زيني و شيني
في مجلس بالطيب فرشه ثميني

ربيع فنو بالطيب عمر السنيني
وأكبر ملك يمحاء فنجال صيني
في خافقي صمت الصحارى دفيني
وشمس الحمادة لوحه في جبيني
وهذا مناض البرق في جفن عيني
وأمشي على الرمضا ما تكتويني
ونشفت نسيم البر تنعش حنيني
بسلس الحروف أصبوع قافي رزيني
من واحة للشعر في راحتيني

في وسط ربيع للمكارم جموعي
اطرب على مهباش صوته دلوعي
أعشق ظلام الليل ما به شموعي
يطوي سموم القيض لا باع بوعي
برد الشتا والرعد يسكن ظلوعي
أعني سراب لاح وأسبق رجوعي
أصحي بزوغ الفجر عند الطلوعي
فطرة كتبت لا شعر شفي ودوعي
أقطف شذى ريحان بنت النبوعي

باب التأملات والفلسفة

الشيخ خليل فرهود : ذيب

يا ذيب يللي عويت ثلاث عويات
على ساق وصلاب ساءلك بالله ويش سويت ؟
يوم الثرايا راوست والقمر غاب
يا ذيب عقب كنت جيعان تعشيت

مصطفى الخشمان :-

جدك يا بني عمر وثمر
حافظ على الارض اللي رتبنا
خللي الحقل طول السنه اخضر
وحنث علينا و الزمن اغبر

جدك وصاته ما نسيناها
الارض مثل العرض صناها
ومن كثر ما ردد حفظناها
وبسيوفنا الماضيه حميناها

بكير من قبل الفجر يطلع
قاصد وطاته امحملة بالخير
حامل فطوره ومنجله يلمع
يحصد قمح مثل الذهب يملع

في الصيف يملا كوارته مونه
والناس حوله يرعوا نعجاته
والدار بينوها اله العونه
وما يقربون الشرده والخونه

محلا الخبز بالصاج والطابون والسمن الصفر بالمرو مخزون
والزبد في المزبد عليها القيد وما تتوكل الا على المضون

حوار شعري بين تيسير الذبابات والشاعر مخلص الزوايده :-

تيسير: سلام يا مخلص من القلب للقلب اعداد ما مزن تهامل مطرها
مخلص: رغم البدايه قافها منقلب قلب رد التحيه خاطري ما حشرها
اهلا هلا بك قلتها وانقش الصلب اعداد رذاذ المزن مع مطرها
تيسير: عرف بنفسك جاوب حروف القيافين خبر عن اسمك ديرتك والهويه
مخلص: الاسم مخلص ابو جزى بين قوسين زوايده هم لابتى والسميه
تاريخ ميلادي عام واحد وسبعين كانون ثاني الف مع تسع ميه
والدار وادي رم هي قره العين نبع الشهامه والكرم والحميه
تيسير: امتى غزت قلبك هواجيس وفكار خطيت على درب البدايه قصيده؟
مخلص: من الطفوله بين القسايد والاشعار وبالخمسه وتسعين اول قصيده
تيسير: سمعت عن ثورة الغضب لك قصيده بالله تكرم واعطنا عدّه ابيات
مخلص: ثورة غضب قررت اخوض السكون اخر قرار القلب واول مطعمه
قرار شاعر من عني القلب مغبون مليون نسخه من يميني موقعه
قرار ضدك عن متاهات الضنون تبليغ رسمي بالجريده اطبعه
ايه ارحلي ويلاه والعله تهون ايه ارحلي تكفين بليا مرجعه
تيسير: الباديه في خافك حبها دوم

اوصف بها بيوت الشعر والبعارين

مخلص: حب البوادي في ضميري له وسوم

عشق تدفق في عروق الشرايين

وبيت الشعر راعيه معزز ومحشوم
 لهل الوفا والطيب يبقى عناوين
 والزمّل ولت من بعد كل شغمووم
 والخلاج حنت ولجلها الخيل تبكين
 تيسير: لا صاح داعي الخير مع فجه النور
 اوصف شعورك لا سمعت المنادي
 مخذ: لني سمعت النجر يغدابي الشور
 يفز قلبي من ضميري ينادي
 تيسير: الشعر فن وذوق واحساس و اخلاق
 عطنا من انواعه شروقي ومسحوب
 مخذ: عذلت قلب الويل عن كثر الاشواق
 غيا يطيع الشور وعيا لا يتوب
 تيسير: ودنا تعلمنا عن اصل الحداثه
 هل هي تبيد الشعر ولا تقويه
 مخذ: تراث شعبي وارثينه وراثه
 واصل الحداثه مالنا دعوة فيه
 والمشكله ما هي اسلوب الحداثه
 المشكله في ناس تشوه معانيه
 تيسير: حنا نعرف لرم عندك مكانه
 كم دمعها ارويها بنظم الاشعار ؟
 مخذ: ما يرتحل قلبي ويترك اوطانه
 انا خفوقي ظل في رم تذكّار

عود الغظا لو ريح هزت اغصانه
تتاثرت من مهجتي كل الاسرار

تيسير: ايله تناجي رم عطشى من الشوق
اسقي بحرها من جزايل بحورك
مخلد: ليت السحابه مزنها ساقته سوق
يسقيك يا ايله ويسقي زهورك
ويسوقني مع سوقته غامض الشوق
لطلال ذكرى في شواطى بحورك
تيسير: قبل النهايه لك جزيل التحيه
قول للطراش لو خمس ابيات
مخلد: لا تحسبوا ضحكي علامه مسره
كم ضحكه تخفي وراها مواجع
من صغر سني دنيتي مستشره
ويشهد على بلواي كثر الفواجع
من هو صبر مثلي لله دره
اضحك عسى ضحكي يرد المدامع
هذا زمن ما فيه من الفرح ذره
وقت غدى يا ناس ما به شوافع
ولا تحسبون الضحك فرح و مسره
كم واحد يضحك شديد الملاقع

عرفات سليم المبيض :- الابل في التراث الشعبي الفلسطيني :-

يا خوى قلبي بين فاقد ومفقود	دوبه يفكر بين مقبل ولافي
يا خوى قلبي بالمواقع مظهرود	يا خوى وين القى الرفق الموافي
يا شوق من قوته على المتن موجود	يا خوى انا الوقت ربط كتافي
يا شوق بيضا مشيها نود	تشدي القمر عشرين والجو صافي
يا خوى كيف الراعي ايام السود	والهم فوق الراس يا خوي ضافي
يا خوي في قلبي تلافيح و برود	تتقلبن فوقه اصناف اصنافي
اركب ازريقان من غير مطرود	ركبه صميدع ينتقل العلم وافي
اربع مراحل مدهن بكل مجهود	ودهن صميدع جيد الحذر وافي
اول مقامه من منازل الجود	والثانية من مرد وادي الجرافي
والثالثه بالنقيب من شرق الحدود	والرابعة يصبح على الحي لافي
يا خوى طمن بالهم وانت منشود	ينجيك ربك يا رفيق الشرافي
من عندهم قم واعتلي متن مشدود	ذيب تمشي فوق زين الوصافي
هات الخير يا معدن الطيب و الجود	يللي تبل الريق بعد النشافي

الخطايا مخايل / محجم ابو غليون

الله من عين اليا عسعس الليل	غافت لذيق القوم ما تهتبيه
يا وين ابا القى من يحب التعاليل	بيدي بزين القولا ولا ابتديه
خطو الولد يا مال قصف التماثيل	يشرح عيوب الناس ما شاف عيبه
يفرح اليا شاف المجالس هراميل	ويكره اليا شاف المجالس مهيبه
ما شوفته طبيبات التماثيل	مع شاين قد بين الوقت شيبه
ما هو بشايب شيبته غرابيل	عيدن يقفي به وعيد يجيبه

طاوعت نفسي لين شفت الغلييه
والناس راوي الحديث تحكيه
اليا تاه فكرك تاه مسرى النجبيه
واحذر تخاوي اللاش تابع نسيه

ونا اللي شفتالردى يا اسماعيل
النفس طير والخطايا مجايل
والضحك ياللي تايه بالمخايل
احذر تصلي بالهدوم المسابيل

باب العتاب والرثاء

محسن ابو عويد :-

طلبتك يا رب يا وسيع المطالب	ترفع عنا جميع البلاوي
جتنا المنايا وشالت غوالي	وذوقتنا المرعقب الحلاوي
يا نارهم تشعب القلب تشعب	وتحرق الكبد وايا الكلاوي
شيعت بنتي وعل الموت صابر	وجتتي بنتي بنار تكاوي
انظر جميلي شابك الناب	لني هذيك الليله صرت حاوي
جوني اثين رجال صناديد	والكل منهم عندها بالدمع داوي
هذي الليالي عابيات عبانا	مثل القاضي اللي بحقه تلاوي
لا بد نموت ونزور المنايا	وياكل منا الدود وكل الشهاوي

تايه المسامره :-

يا الله ياللي بامرك الوسع والضيق	وانك توسعها وبلاش الظلام
يا رجل ياللي الحزن نشف الريق	و النفس عيت لا ذوق الطعام
لا كتب بكي محضر وشكوى وتحقيق	واوقفك قدام حاكم نظام
واوجد لك تهمة وارميك في الضيق	واقف لك قدام قولك محامي
كان الحكومه في غلطكي تبريك	لا اذوقك عالسبت جمر العدام
قالت هي : هذا ثلاث بيوت ودي افاضيك	وارعى الكفيل وبس هات اللزام
فاكرلك واني باجيبك واوديك	واوردك في بلاد نص المضامي
كله من الشيطان وابليس وازيك	تلكز بناع صفاح السنامي

اسمع وصاة كان الله بالهجن يباليك
 هذا سواة ابليس و اللي يغايبك
 وان طالبت المده يا رجل اوريك
 عن الشمس اظلك والبروده اغطيك
 واختم كلامي بصلاتي عل الزين
 ومحمد اللي خطب للسلام
 ارخي الرسن وامسك قصير الخزام
 ما بتحسبن الظلم فيهن حرام
 وقطعك ما بين مصر وشام
 لما وجعكي صار يوصل حزامي

عبدالله جراد العطون :- لا تندمي

لا تندمي كل ما حصل لك مقادير
 مقدوركم ساقك على حافه البير
 مكتوب لك شقا لجل يسعد الغير
 كفى ادموع فوق خدك محادير
 هذا النصيب وحظكم بالحياتي
 لا نازلن وسطه ولا انتي باتي
 وفراح وقتك عنكم غادياتي
 عل السعاده تجي بالمقبلاتي

وقال ايضا :-

عاتيني يا حياتي فالعتب صفوة قلوب
 فالمعائب مصدقيه من الضماير نابعه
 عاتيني ونا واثق ما صدر مني ذنوب
 لكن ادري ان ضميرك الضنون تصارعه
 كل ودي والاماني يلتقن فينا الدروب
 ليه تبعد عن دروبي وطريقي تقاطعه
 ليه نظرات المحبه بينا فيها شحوب
 بعد ما نظرات عينك بالحنين اتابعه

وليه ولا الحب عن قلبك هروب
وانت قلبك بالمحبه كان ناره والعه
كان عذرك عن هوانا مصدره من يتوب
خاف ربك في جريحك عاجه من ماجعه
اسمحي لي كان تتوي قتل الحب العذوب
الرجا خل ليالي الك حنا نودعه

حميد ابو مغيصيب / عتاب

ما دام بعدك واقتربك بياديك	اليا متى يا زين وئته شحوي
ارحم رحمك الله ربك واليك	وعطف على اللي في هواكم ينوحي
ارحم صوبين طاح من سهم عينيك	وخلك لخلك يا حبيبي سموحي
ما دام تهواني وانا اهواك وغليك	وقلبك لقلبي بالمحبة يموحي
ما همني قول العدا لو حكوا فيك	وما طيع فيكم عاذلي و النصوحي
ما دمت عارف حاضرك وهو ماضيك	اعرف تراني فيك ما اسمح ولا اوحي
المسعد اللي بس بسمك يناديك	ويقول لك يا بعد عمري وروحي
انت الوحيد اللي من الناس مغليك	وانت الذي بقربك تخفف جروحي
بديت في حبك وما زلت هاويك	ومنساك كان الروح مني تروحي

باب السياسة

خالد الفيصل ال سعود :-

(ذكرت هنا لانها عورضت من قبل الشاعر سلامه ابوربيع)

حنا العرب يا متبعين العروبه	حنا على التوحيد وانتم لها اجناب
حنا شروق المجد وانتم غروبه	وحنا على التاريخ وانتم لها اغراب
يوم القدر فينا مداوي سبويه	واليوم صرتم مثلنا بدو و اعراب
يوم القدر شلتوا علينا عيوبه	واليوم عقب النقد جيتولنا انساب
والهوى منكم منعتمو هوبه	لا شك رزاق الملا رب الارباب
لو المطر منكم منعتمو سبويه	لا شك رزق الخلق من عند وهاب
جيش الحسن سبتوا علينا حروبه	كل يبي يزرع على جسمنا ناب
حرب على المحسن تراها عقوبه	الله عالم مجد يدور حراب
يا ما اعطينا ما ندور مثوبه	الا من اللي من ترجاه ما خاب
ياما نسانا من تعثر دروبه	يدخل جنانه من تعثرها الاصحاب
حنا بنينا دارنا من طوبه	وانتم سلبتم داركم كل ما طاب
الله سقانا من بحرنا عذوبه	ونهاركم مثل البحر هدر تنساب
حنا دعينا السلم نوبه ونوبه	وانتم حنان السلم بعتوه بغراب
يا من دعا للحرب ما ادرك خطوبه	لا تحسبن الحرب تهديد وخطاب
من شب نار الحرب يصلي شبويه	ومن تنور ضدنا تعلق بالاسباب
ما يستر الرجال ملبوس ثوبه	الدين وافعال الشهامه لها ثياب
ما يقبل الرجال بحماه حوبه	ما زال لحقه و الحق طلاب

ورد عليه الشاعر سلامه ابو ربيع معارضا :-

ما همنا لو تدعون الربوبه
من ادعى بالفضل باننت عيوبه
يا مدعين الفضل وين العجوبه
يوم السنين اللي مظت جات العجوبه
حنا نجسود بكل مال الصعوبه
اسرائيل تابي اتزينا من دروبه
الصدق يزعل كل من شق ثوبه
يوم الكويتي فر و اعلن هروبه
وابن الصباح اقفى تلا مع كعوبه
حنا طلبنا الحل بيد العروبه
واللي مليتم بالدرهم جيوبه
ونسجتو غزو بلادكم من اكدوبه
ثلاثين دوله بالاعداد محسوبه
ضحك عليكم بوش وصرتم ركوبه
واليوم بيد الغرب صرتم العوبه
صار وخنا يمير معروف صوبه
يتبع اصفار الشمس عقب غروبه
يرفي رذاذ مختلط مع رطوبه
بنات ابن صهيون شقت جيوبه
حنا صاينا الحرب برده وشوبه
حنا العرب ... حنا اساس العروبه

فرعون موسى قبلكم كان كذاب
ومن جاب جند الروم لبلادنا عاب
ما يستوي في القوم فاضل ومعتاب
اعطيناكم صدر البيت حل و ترحاب
حنا حمينا البيت من رجس الغراب
خيبر لها جد وحساب ونساب
والكذب انذل كل من كان مرتاب
وجيش العراق احتل جميع الابواب
خللا الوطن والبير والمرج لحساب
وانتوا طلبتوا الحل بيد الاجناب
خادم لكم في مجلس الامن عراب
وجبتو اسوار جوف بجنود و حراب
هذي افعال اجدادكم يوم الاحزاب
وبترواكم يميل بيد الاجناب
وان نشف بترواكم حظكم خاب
يحمل علم من كان للحق طلاب
من كف عراقي بات للوقت بحساب
مثل المطر لها لركن سحاب
عليه حرف الصاد للموت جلاب
اسلامنا ما كان بالسيف ينجاب
القدس بدم ملوكنا مخطبه بخضاب

ومنا صلاح الدين منشور بكتاب	منا الشريف الرفيع نسوبه
يا حامل سهوم الموت للروح سلاب	ومنا على خبير تذكر حروبه
وبساحه الميدان نجمه هوى و غاب	يا ما ابن مرحب زاد كثر ذنوبه
و منا فتاننا مقدم القوم خباب	ومنا الزبير الله عساكم بكوبه
ومنا ولد عباس للدين محراب	ومنا الحسن وحسين خير الشبويه
ومنكم يهود وقرود واصنام واعراب	ومنكم رشيدى هذا ومنكم صلوبه
وعسى مطركم نار وحجار و تراب	وعسى المحل ينزل عليكم خطوبه
و لا تلقون بداركم تمر بجراب	وتكسر ادبكم ما تجيب الحروبه
يظهر بساعه والسعد عنكم غاب	وعساكم بجيومان وتبشرو به
ويبيدكم بالسيف يادين وهاب	يعمل مثل حمزة ويتبع سلوبه
غبرى وداحس خيل وسيوف وركاب	ولو يعود ما عرف يوم نوبه
والنصر للامير حديد داب	ما بنسل سيوفنا من جروبه

دخيل الله المرازقه :-

لبيتها من لهفتي و اشتياقي	وصلتني الدعوا وجيت المحبين
اهل الوفا طيبين المهاقي	الشوق يجذبني لربع عزيزين
من مطلعي وانا على العهد باقي	وانا عربي من موطن الهاشميين
واغضب اذا حل الجفا و الفراقي	افرح اذا تم اللقاء بين قطرين
وانا على الوحدة شديد احتراقي	و انتم على صوت العروبه حريصين
اوراقتكم ما تختلف عن اوراقي	من وين انا يا صاحبي وانت من وين
ولا من الدوحه عريب المراقي	من نجد ولا من مشارف فلسطين

لا فرق بين التونسي والمغربيين
الاسم واحد والهدف والمضامين
حنا على الديرة الكبيره مقيمين
لا فرق بين الاردني و العراقي
ان كان لاحرار العرب من يواقي
مفتوح بيت العشيره للتلاقي

براك داغس ابو تايه :- يا امتي

يا امتي دقت نواقيس الخطر
قد اوقعونا في مطبات وحفر
يا وارث الثورات ماذا تنتظر ؟
انت الفتى المعروف في بعد النظر
يا رافع الرايات فيكم نفتخر
نوقف بجانب اللي جيشه مقدر
فتى مع اللي دوم تلحق انتصر
مع البطل صدام مرفوع القدر
صدام كشف من تخفى و استتر
والكعبه الغراء فيها الحاكم غدر
اما فلسطين الجريحه تحتضر
وجيش المعادي في الجزيره منتشر
يا من عصيتو الله فيما قد امر
يا من تساعد جيش رعاه البقر
وتطلب فتاوي تخدعون فيها البشر
ومن مالنا تصرف على جيش العجر
وعم البلا من تفرقه حكامنا
وبعضهم مرتد عن اسلامنا
يا هاشمي بالحزم شد احزامنا
وبهمتاك ننهض فانت امامنا
ما دمت معنا من يقف قدامنا
وندوس جيش الكفر تحت اقدامنا
ضد الخسيس اللي يريد ارغامنا
من طيب فعله ازهرت ايامنا
اهل الشموخ هم اليوم همه اقزامنا
واهل الصمود اتخاذلوا يا شامنا
فيها اليهود يكسرون اعضامنا
والبوق جانا من اولاد عمامنا
واجب عليكم الذود عن اسلامنا
والرشاوي تشترون اقلامنا
وبالعداوه تقطعت ارحامنا
والشح يظهر عند ذكر ايتامنا

كل من تخاذل او يساعد من كفر
عندي كلام اكثر لكني اختصر

واجب علينا نظرده بحسامنا
عيدو التضامن وارفعون اعلامنا

مصطفى الخشمان :-

يا اهل العزم شدوا اياديكو
وحدكتو ، وحدة دم مو ميه

شرق وغرب ما من ردى فيكو
لا تجعلوا الشيطان يغريكو

يا ناس ما تدوروا الى قلبين
في الشوبك ورام الله مسكنهم

كانوا قلب واحد قوي وزين
قبل الوطن ما ينقسم نصين

احشوا البنادق واحزمون الكف
واسرج حصانك يا صلاح الدين

هذا العدو ما عاد عنا يعف
زف الفوارس للمعارك زف

يا المرتكي هذا وقت سيفك
وش تنتظر ما تفجر البركان

تحمي حمى بلادك واهل بيتك
جيوش التتر خشوا حرم بيتك

يا سامعين الصوت انتو وين
نسيوا العرب ايام عزتهم

اللي غشونا عسى غشاهم بين
وخبولنا في الاتدلس والصين

ام الشهيد ان زغردت نوماس
قولوا لها مبروك هذا العرس

لنه بطل مش زي كل الناس
وزفوا البطل والكل رافع الراس

في غزة امشي بشارع المختار وانه على اللي في جبال النار
واهل الجليل اللي مضوها سنين ع شطوط حيفا يغسلون العار

يا ريتي منكم انا يا ريت في البيره ورام الله في بير زيت
احمل حجر وارميه عالعاذي اللي سطاغ زروعا والبيت
صبح ومسا واقف على شيحان عيني عليهم و القلب هيمان
ناظر هبوب الريح مرسالي يوصل سلام اهل الكرك ومعان

براك داغش ابو تايه :-

الله يللي يرحم العبد لا تاب اللي جعل بالكون ليل و نهاره
وهو اللي في قدرته كل الاعجاب خالق اعباده ثم قدر اعماراه
والي دعا المظلوم في دعوته جاب او يعلم خفي اقلوبنا مع اسراراه
انا اطلب اللي من ترجاه ما خاب يسمع من اللي زاد حجم احتياراه
يجمع هدف كل العروبه والاقرباب املوكنا او رؤساءنا والاماره
يجمع هدفهم عن تصارييف الاجناب عدو دينك ما تامن انكاراه
غاياتهم تفريقهم بين الاصحاب ويمهدوا للجار يبغض لجاراه
لهم سياسه تشبه السم بالداب تمشي عليكم في اسلوب الشطاراه
ترا الرجال بقوة العزم تنهاب وفرق الرجال بعزمها وققداره
او كل عله له طب من بين الاطباب وعلاجكم بالطب جمعه اشواره
وتفرق الشوفات يرث للتعاب بعد الهنا والعز تجرع مراره
وانظر بعينك في صواديف الاسباب كافر على الاسلام يفرض حصاره

هذا المثل على العرب يوم ينجاب
واذا اجتمعتم كل داء بكم طاب
وفيكم اماننا يا عربين الانساب
نمدح لكم جميع والفعل جذاب
والناس تعرف من نطح بعض الصعاب
حكمانا باهدافهم رميهم صاب
وكل حاكم تراه في راس مرقاب
والله رقيبهم وكل نفس لها حساب
هذا اجتماع فيه للشعر ترحاب
والشعر في معناه يصلح او ينجاب
وانا اشكر الشعار حضار وغياب
قول اللي بالقيـل يحل نشاب

وكثر التجارب فيه ننظم اشعاره
جمع العروبه فيه اكبر وقاره
فلا قدم في قوم الا خياره
والكل منكم دارسين اختباره
وعند المهمه كل يرجع لكاره
مثل الصقور النادره من الحراره
والشعب ينظر وين تاصل افكاره
والله لموسى قال يسال لجاره
ولجمعكم بالراي يعطي بشاره
والحر يفهم عند رمز الاشاره
لهم مع التاريخ سجل واظباره
واللي زرع للورد يقطف ازهاره

وقال ايضا :-

الجيل الصاعد اهملوا للمواجيب
اذا تردى ابوه وبين به الشيب
يا ول وجه يكسب العار والعيب
ترك اوامر صاحب العلم والغيب
امك وابوك اهمالهم فيه تعذيب
دار الحكومه لما بنوها بترتيب
مالهم اولاد ولا محل او معازيب

والبعض منهم خالف الشرع والدين
يثبت وجوده عند دار المسنين
نسى وصاة الله اوطاع الشياطين
اللي فرضها على خليله او ياسين
تاخذ عذابك داخل القبر ضعفين
لجل الفقارى اللي وحادا مساكين
تاخذ عذابك داخل القبر ضعفين

<p>واللي عمل لله بلاقاه بعدين كيف الابو والام تصبح مساجين على جهالا في عملهم خسيسين ما يفعله الا الانذال الرد بين تالي حضارتكم تبين مهو زين بعض العمال اللي صنعها الخبيثين ومنزهن بالقاف كل الشريفين نستكر اللي بالملا عملهم شين اولا يقبله كل العرب والمسلمين</p>	<p>تري الحكومه هذا هدفها بلاريب يهل الشهامه بالمشارك وتغريب كونوا معي ليسير بالامر ترغيب هذي عوايد للرحم فيه تخريب ياهل الحضاره صار فيكم عذاريب تذكر عليه رفته الحمل والذيب وخص راع الذيب اولا نفوض الحبيب بدو وحضر حافظه للاساليب هذا عمل ما يقبله صاحب الطيب</p>
--	--

براك ابو تايه في رساله للشاعر محمود البطوش

<p>امه اصيله ودورها صعيدي حلو هزيله مع صحاصيح ريدي معه جوابي يوصله لا سديدي قافه جرح للقلب جرحا مجيدي وعين الغزير بالفيافي فريدي حول الكرك ويتلى ربيعه حصيدي ارض الطيق الغيرها ما تزيدي او شفى على خيراتها شف الوريدي بيع ابجر يا ليت ما هو سعيدي مقدر اجيها دونه نظاما شديد</p>	<p>يا راكبا من عندنا فوق مطواع جر امصفي لا مشى يقرط الباع اللي عليه من الهواجيس ملتاع سلم على محمود واشرح له اوضاع يا شوق من قرنه على المتن دلاع وصفت لي مرباع وديارها وساع محمود شفي في وسيعات الارباع بخرومها ياما حلا شوف الاقطاع لكن وطننا تالي الوقت ينباع راحت مريج ودونها السيف لماع</p>
--	---

<p>والحق يا محمود في وقتنا ضاع حنا غدينا بين قاطع وقطاع عند البشر تغيرت كل الاطباع وين الشيوخ اللي طيب مرواع قول الذي لا يفى الفاله طاع وموجهه لا مكرم الضيف لا جاع وصلاة ربي عدد ما ذابح ذاع</p>	<p>الوقت قرب فيه بان الوعيدي مسلم على مسلم يضربه حميدي والحق فينا اصبح غريبا وحيدي اللي لهم خدام سود العبيدي يبني على ما راد زين القصيدي ومن لا بيه بالحرب ضد العنيدي على رسول بالشفاعه عضيدي</p>
---	---

مصطفى الخشمان معارضا قصيدة ابي تايه

<p>يومن قريتي القاف عقلي غدا وضاع علمي بهم بمريج يا زين التلاع ابمرعي غنهم يجلبك حسن مرياع ما هقوتي امريج والطبيق تتباع براك خلا القلب بالهم ملتاع يا خوي ضاعت والهنا بعدها ضاع وما كان ظني بينا قاطع وقطاع فار قلبي كيف امريج تتباع ومن وين لشياهنا نجيب مرياع عيني عليها والحصى الصبح لماع مثل الدلوع اللي كما الريم بالقاع واش وطننا ساكن جوا الاضلاع</p>	<p>وبراك خلا الهم عندي يزبيدي ومن الجفر للطبيق ما هي بعيدي تلقى المناسف باللحم و الثريدي يا دم قلبي وانجمد في وريدي هرجه صحيح وبالحشاله وقيدي لا طالع بيدك وانا ما طلع بيدي يقسم وطننا بالخشب و الوحديدي لا يا خساره مثل شاه الفريدي هذا الوطن خلوه حوطه عبيدي نار الغضا جوا ضلوعي تقيدي صكوا عليها بالحلس و الحديدي وسيوفنا تحميه ترعد رعيدي</p>
--	---

لا بد لا يتغيرن كل الاوضاع
ما هي طريقه عندها لمة ضاع
وسلم على براك من حوله سباع
واللي زرع له زرع يلقى حصيدي
هذي وراها رجال مثل الحديدي
ذيب الخلا والفيافي البعدي

قائمة بأسماء الشعراء ومواقعهم وتاريخ اللقاء بهم :

- 1- خليل الوحيددي : النقب ، تل المشاش ، 2000/03/2م.
- 2- داعس أبو كف : النقب ، عرعر ، 2000/03/2م.
- 3- عقل أبو عمرة : النقب ، كتيفة ، 2000/03/2م.
- 4- فرج أبو خنثة : النقب ، الحورة ، 2000/03/4م.
- 5- نافز أبو قيعان : النقب ، الحورة ، 2000/03/4م.
- 6- ابراهيم القواعين : النقب ، عتير ، 2000/03/5م.
- 7- اسماعيل فرهود : النقب ، عتير ، 2000/03/5م.
- 8- خليل فرهود : النقب ، عتير ، 2000/03/5م.
- 9- أحمد حوامدة : النقب ، شقيب ، 2000/03/6م.
- 10- محمد الحمامدة : النقب ، شقيب ، 2000/03/6م.
- 11- سلطان الصواصين : النقب ، رهط ، 2000/03/7م.
- 12- صالح عياد الظلام : النقب ، تل الملح ، 2000/03/8م.
- 13- محمود فرحان أبو صوصين : النقب ، تل الملح ، 2000/03/8م.
- 14- خلف أبو سعرة : النقب ، العزازمة ، 2000/03/9م.
- 15- سليم السميري : النقب ، النباتين ، 2000/03/9م.
- 16- عبد الله جراد مطلق العطون : النقب اللقية ، 2000/04/5م.
- 17- فالح السويركي : النقب ، أم الحمام ، 2000/04/5م.
- 18- نجيب الدقس : النقب ، 2000/04/5م.
- 19- ابراهيم سلامة ابو عياد الظلام : النقب ، تل السبع ، 2000/04/6م.
- 20- عطا عليوة : النقب ، بير هدا ، 2000/04/6م.
- 21- عواد جريبان : النقب ، تل المشاش ، 2000/04/7م.
- 22- حرب أبو ربيعة : النقب ، اللقية ، 2000/04/9م.
- 23- عبد الله أبو شنار : النقب ، مصيرة ، 2000/04/9م.
- 24- حمد أبو مغيصيب : النقب ، خربة الوطن ، 2000/04/10م.
- 25- مجحم أبو غليون : النقب ، شعوة ، 2000/04/10م.
- 26- محسن أبو عويّد : النقب ، شعوة ، 2000/04/10م.
- 27- خالد الصانع : النقب ، أم الحيران ، 2000/04/11م.
- 28- فايز العطوي : النقب ، مصيرة ، 2000/04/11م.
- 29- دخيل الله المرازقة بني عطية. الشوبك ، 2000/06/5م.
- 30- عبد القادر الهاهبة : الشوبك ، 2000/06/5م.
- 31- مخلد الزوايدة (عاشق رم) : الحسينية ، 2000/06/5م.
- 32- محمد فياض الدماني : الفيصلية ، 2000/06/6م.
- 33- بيان العدوان : معان ، 2000/06/7م.
- 34- تيسير الذيابات : الصدقة ، معان ، 2000/06/7م.

- 35- فلاح محمد المصباحين : معان ، الهاشمية ، 2000/06/7.
- 36- خالد الفيصل : المملكة العربية السعودية ، أخذت قصيدته من سلامة أبو ربيع (الحويطات) 2000/06/9.
- 37- سلامة أبو ربيع الحويطات : أوهيدة ، 2000/06/9.
- 38- فرحان هويل العمامرة الحويطي : أوهيدة ، 2000/06/9.
- 39- يحيى رقاد : مدرسة سويمرة ، 2000/06/9.
- 40- خليل اللوافية : الفيصلية ، 2000/06/10.
- 41- براك داغش أبو تايه : متوفى أخذت أشعاره من مديرية ثقافة معان (الاستاذ يوسف الشمري) 2000/06/12.
- 42- زياد أبو تايه : الجفر ، أخذت أشعاره من مديرية ثقافة معان (الاستاذ يوسف الشمري) 2000/06/12.
- 43- سعود عيد الفتنة : الجفر ، أخذت أشعاره من مديرية ثقافة معان (الاستاذ يوسف الشمري) 2000/06/12.
- 44- صالح عقلة العطفة : معان المدورة ، 2000/06/13.
- 45- مصطفى الخشمان : معان ، جامعة الملك حسين ، 2000/06/13.

المصادر والمراجع

- أ- زيارات ميدانية :-
1. منطقة النقب: من 2000/03/2 - 2000/03/9
من 2000/04/5 - 2000/04/11
2. البادية الأردنية: من 2000/06/3 - 2000/06/21

ب- المصادر والمراجع

- 1- ابراهيم ، نبيلة ، أشكال التعبير في الأدب الشعبي ، دار المعارف بمصر ، ط3.
- 2- الأبشيهي ، المستطرف في كل فن مستظرف ، مطبعة التقدم العلمية ، القاهرة 1901.
- 3- الأثير ، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، 1957 .
- 4- أحمد شوقي ، الشوقيات ، مطبعة الاستقامة ، القاهرة ، ج 1 ، 1958 .
- 5- أحمد ، كمال فريد ، دراسات في التراث الشعبي والمجتمع الفلسطيني لجنة الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي ، جمعية انعاش الأسرة ، البيرة.
- 6- إسماعيل ، عز الدين ، الشعر العربي المعاصر ، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية — دار الفكر العربي ، ط 3 ، 1978 .
- 7- الاصفهاني ، أبو الفرج ، الأغاني ، أشرف على المراجعة والطباعة عبد الله العلايلي ، دار الكتب المصرية ، 1967 .
- 8- أطلس الوطن العربي والعالم ، المكتبة الجامعية ، نابلس ، ط6 ، 2000 .
- 9- الأعشى ، ديوانه ، تحقيق فوزي عطوي ، الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت 1968 .
- 10- الأغا، نبيل ، مدائن فلسطين ، دراسات ومشاهدات ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 1 ، 1993 .
- 11- إفخيدة ، علي محمد ، الصورة في الأغنية الشعبية الفلسطينية ، التراث والمجتمع ، عدد 1 ، 1978 .
- 12- امرؤ القيس ، ديوانه ، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ، دار المعارف بمصر ط 1 1964.
- 13- امرؤ القيس ، ديوانه ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1958.
- 14- البرغوثي ، عبد اللطيف ، التراث الفلسطيني بين الطمس والاحياء ، مجموعة دراسات — مركز احياء التراث ، الطيبة ، 1986.
- 15- البرغوثي ، عبد اللطيف ، الأدب الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، العدد 2 ، 1978.
- 16- البرغوثي ، عبد اللطيف ، الأدب الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، العدد 7 ، 1977.
- 17- البرغوثي ، عبد اللطيف ، الأدب الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، العدد 17 ، 1985.

- 18- البرغوثي ، عبد اللطيف ، الأغاني الشعبية في فلسطين والأردن ،
جامعة بيرزيت ، مكتبة الوثائق والأبحاث ، مطبعة الشرق العربية .
- 19- بشار بن برد ، ديوانه ، مطبعة لجنة التأليف والنشر ، ، القاهرة ،
مصر
- 20- بكارة ، يوسف ، الغزل في القرن الثاني الهجري ، مكتبة الدراسات
الأدبية ، دار المعارف بمصر.
- 21- البكري ابو عبيد ، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ،
تحقيق مصطفى السقا ، عالم الكتب ، بيروت ، ط3 ، 1983.
- 22- بهاء الدين زهير ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، 1964 .
- 23- بيك ، فريدريك ، تاريخ شرقي الأردن وقبائلها ، تعريب بهاء الدين
طوقان ، دار العربية للتوزيع والنشر ، عمان الأردن .
- 24- ليبد بن ربيعة العامري ، تحقيق احسان حباس ، وزارة الإرشاد
والأنباء ، الكويت ، 1962.
- 25- التوراة السامرية ، ترجمة الكاهن أبو الحسن إسحق الصوري ،
أخرجها زهير صالح الشنار ، جامعة برلين ، مطبعة النصر ، نابلس ، 1978.
- 26- الجاحظ ، الحيوان ، تحقيق عبد السلام هارون ، دار الكتاب
العربي ، بيروت ، ط3 ، 1969.
- 27- جبارة ، تيسير ، دراسات في تاريخ فلسطين الحديث ، جامعة
الخليل ، ط2 ، 1986.
- 28- جبر ، يحيى ، الأبل في الشعر الشعبي ، مركز التراث الشعبي لدول
الخليج العربي ، الدوحة قطر ، عدد15 ، 1998.
- 29- جبر ، يحيى ، البرق في التراث الأدبي العربي ، المأثورات الشعبية ،
عدد29 ، 1993 .
- 30- جبر ، يحيى ، القصيدة الجاهلية تتناسخ في الشعر الجاهلي ،
المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج ، الدوحة قطر ،
عدد43 ، 1996.
- 31- جبر ، يحيى ، نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة سلسلة
أسفار العربية ، نابلس ، ط1 .
- 32- الجبوري ، يحيى ، الشعر الجاهلي - خصائصه وفنونه - دار
التربية للطباعة والنشر والتوزيع .
- 33- الجرجاني ، أحمد بن محمد ، المنتخب في كتابة الأدباء وإشارات
البلغاء ، دار صعب ، بيروت .
- 34- جزيني ، إبراهيم ، شرح ديوان جميل بثينة ، دار الكتاب العربي ،
ط1 ، 1968.
- 35- الجوهري ، رفعت ، سيناء أرض القمر ، ط1 ، 1965

- 36- حاتم الطائي ، ديوانه ، شرح إبراهيم الجزيني ، دار الكتاب العربي ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1968.
- 37- حافظ ، ابو الحجاج ، سيناء ، وزارة الثقافة والارشاد القومي ، طبع ونشر الانجلو مصرية ، القاهرة .
- 38- الحاوي ، ايليا سليم ، نماذج من النقد الأدبي ، دار الكتاب بيروت ، 1996 .
- 39- الحاوي ، ايليا سليم ، امرؤ القيس ، شاعر المرأة والطبيعة ، دار الثقافة ، بيروت .
- 40- الحب الخالد ، قيس وليلى ، دار الكتب الشعبية ، بيروت لبنان .
- 41- الحجاج ابو الحسن ، محمد القشيري ، صحيح مسلم ، تحقيق محمد ناصر الدين ، الألباني ، منشورات لجنة إحياء السنة .
- 42- الحسن ، غسان ، الحكاية الخرافية في ضفتي الأردن ، دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، ط 1 ، 1988.
- 43- حسن ، محمد ابراهيم جغرافية الوطن العربي ، مركز الاسكندرية للكتاب ، الاسكندرية ، ط 1998.
- 44- الحسن ، غسان ، الشعر النبطي في منطقة الخليج والجزيرة العربية ، دار الكتب الوطنية ، ابو ظبي ، الامارات العربية ، ط 1 ، 1990.
- 45- الحطيئة ، ديوانه ، شرح ابي سعيد السكري ، دار صادر ، بيروت ، 1967.
- 46- حمزة ، فؤاد ، قلب جزيرة العرب ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، ط 1 .
- 47- حمدان ، جمال ، سيناء في الاستراتيجية والسياسة والجغرافية ، مكتبة مدبولي ، مطبعة أطلس ، القاهرة ، ط 1 ، 1993.
- 48- الحمصي ، نعيم ، أدب الدول المتتابة ، مديرية الكتب الجامعية اللاذقية ، ط 1982.
- 49- الحموي ، ياقوت ، معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- الحوفي ، أحمد محمد ، أغاني الطبيعة في الشعر الجاهلي ، مكتبة النهضة مصر بالفجالة ، ط 1958.
- 51- خضر ، فتحي ابراهيم ، قضايا الشعر الجاهلي ، جامعة النجاح الوطنية ، نابلس ، ط 1 ، 2002.
- 52- الخطيب ، أحمد ، ظواهر حديثة في شعر المقاومة ، منشورات الهيئة العامة لإتحاد الكتاب ، ط 1 ، 1996 .
- 53- خفاجي ، محمد ، النقد العربي الحديث ومذاهبه ، مكتبة الكليات الأزهرية ، الأزهر ، القاهرة ، ط 1975.

- 54- خليف ، يوسف ، الحب المثالي عند العرب ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، مصر ، ط 1961 .
- 55- خليف ، يوسف ، شعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ، دار المعارف في مصر ، القاهرة .
- 56- خمار ، قسطنطين ، موسوعة فلسطين الجغرافية ، منشورات اليسار ، ط 3 ، 1988.
- 57- خميس ، عبدالله ، الأدب الشعبي في جزيرة العرب ، مطابع الرياض ، الرياض ، ط 1 ، 1996.
- 58- خوري ، الفرد ، زهير بن أبي سلمى ، دار الشروق ، ط 1 ، 1962.
- 59- الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، دار الطليعة ، بيروت ، ط 4 ، 1988.
- 60- درويش ، محمود ، الأعمال الكاملة ، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1986.
- 61- الدغلي ، محمد سعيد ، أحاديث غزله في الغزلين العذري والعمرى وامتداداتها في الأدب العربي ، منشورات دراسات دمشق ، ط 1 ، 1985.
- 62- الدقيقي ، ابن بنين سليمان ، اتفاق المباني وافتراق المعاني ، تحقيق الدكتور يحيى جبر ، دار عمان للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1985.
- 63- الدينوري ، ابن قتيبة ، الأنواء في مواسم العرب ، مطبعة مجلس دائرة المعارف بحيدر اباد ، الهند ، ط 1 ، 1956.
- 64- ذهني ، محمود ، الأدب الشعبي العربي - مفهومه ومضمونه - مكتبة الانجلو مصرية .
- 65- الربابعة ، أحمد ، المجتمع البدوي الأردني في ضوء دراسة انثروبولوجية ، دائرة الثقافة والفنون ، عمان ، ط 1974.
- 66- رحاب ، ابو رحاب حسان ، الغزل عند العرب ، مكتبة البيان العربي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 ، 1947.
- 67- الزبيدي ، عبد المنعم خضر ، مقدمة لدراسة الشعر الجاهلي ، منشورات جامعة قاريونس ، ليبيا 1980.
- 68- زكي ، عبد الرحمن ، سيناء أرض المعارك ، دار النيل للطباعة والنشر ، 1957.
- 69- الزوزني ، ابو عبدالله الحسين ، شرح المعلقات السبع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط 4 ، 1980.
- 70- زهير بن أبي سلمى ، ديوانه ، شرح حسن فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط 1 ، 1988.
- 71- سابق ، السيد ، فقه السنة ، دار الجليل ، بيروت ، ط 1995.

- 72- الساريسي ، عمر ، ماهية الفلكلور ، مجلة الفنون الشعبية ، عمان ، العدد 1 ، 1974.
- 73- السامرائي ، عامر ، المباراة في الشعر الشعبي ، التراث الشعبي ، وزارة الثقافة والاعلام ، بغداد ، عدد 3 ، 1969.
- 74- سرحان ، نمر ، الفنون الشعبية ، دار الثقافة والفنون ، عمان ، عدد 10 ، 1976 .
- 75- سرحان ، نمر ، موسوعة الفلكلور الفلسطيني ، عمان ، ط2 ، 1989.
- 76- سعد ، إبن سعد ، الطبقات الكبرى ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ط1957 .
- 77- سمور أبو سمور حسن ، قصة مدينة بئر السبع ، المنظمة العربية للثقافة والفنون ، دار الثقافة لمنظمة التحرير الفلسطينية .
- 78- سويلم ، أبو سويلم أنور ، المطر في الشعر الجاهلي ، دار عمان ، عمان ، ط1 ، 1987.
- 79- سيدة ، إبن سيدة ، المخصص ، دار الفكر ، بيروت .
- 80- شراب ، محمد محمد ، معجم بلدان فلسطين ، دار المأمون للتراث ، بيروت ط2 ، 1987.
- 81- شكاره ، ضياء ، القيم الاجتماعية في المجتمع العشائري ، التراث الشعبي ، وزارة الاعلام العراقية ، العدد 11 ، 1970 .
- 82- الشنفري ، لامية العرب ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1974 .
- 83- الشنقيطي ، أحمد بن الأمين ، شرح المعلقات العشر واخبار شعرائها ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1993 .
- 84- شولش ، الكزاندر ، تحولات جذرية في فلسطين 1882-1956 ، تعريب د. كامل العسيلي ، دار الهدى ، عمان ، ط1 ، 1988 .
- 85- الشيباني ، كامل مصطفى ، الادب الشعبي - مفهومه وخصائصه - المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، الدوحة ، قطر ، عدد 1 ، 1986 .
- 86- الصالح ، أحمد رشدي ، الأدب الشعبي ، مكتبة النهضة المصرية ، المصرية ، القاهرة ، ط4 ، 1971 .
- 87- الصالح ، أحمد رشدي ، الفنون الشعبية ، وزارة الثقافة و الارشاد القومي ، ط 1961 .
- 88- ضيف ، شوقي ، الشعر و الغناء في المدينة و مكة لعصر بني أمية ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الأدبية .
- 89- ضيف ، شوقي ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الجاهلي ، دار المعارف ، بمصر ، ط7 .

- 90- الطبري ، ابن جرير ، تاريخ الطبري ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، دار المعارف ، بمصر ، ط 1960.
- 91- طرفة بن العبد ، ديوانه ، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين ، دار الكتب ، العلمية ، بيروت ، لبنان ط 1 ، 1987.
- 92- الظفيري ، أحمد محارب ، الماء والمطر ، في حياة البادية ، التراث الشعبي ، عدد 12 ، 1973.
- 93- العارف ، عارف ، القضاء بين البدو ، سلسلة ، من هم البدو ، مطبعة بيت المقدس ، الجزء الثاني ، ط 1933.
- 94- العارف ، عارف ، تاريخ بئر السبع وقبائلها ، سلسلة من هم البدو .
- 95- العارف ، عارف ، نكبة فلسطين والفردوس المفقود ، اصدار دار الهدى.
- 96- العبادي ، أحمد عويدي ، الفنون الشعبية ، دار الثقافة ، والفنون ، عمان الأردن ، العدد الثالث ، 1974.
- 97- العبادي ، أحمد عويدي ، من القيم والآداب البدوية ، سلسلة من هم البدو ط 1 ، 1976.
- 98- العبادي ، أحمد عويدي ، مقدمة لدراسة العشائر الأردنية ، الدار العربية للنشر والتوزيع ، عمان الأردن ، ط 2 ، 1985.
- 99- عباس ، احسان ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، دار الشروق للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 2 ، 1992.
- 100- عبد الحميد ، سعد زغلول ، تاريخ العرب قبل الإسلام ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1985.
- 101- عبد ربه ، ابن عبد ربه ، العقد الفريد ، تحقيق محمد سعيد ، عربان ، مطبعة الاشتقاق ، بالقاهرة ، ط 2 ، 1953.
- 102- عبد الرحمن ، عمر ، الملحمة الشعبية الفلسطينية ، منشورات الدار الوطنية للترجمة والطباعة والنشر ، نابلس ، ط 1 ، 2000.
- 103- عروة بن الورد ، ديوانه ، مكتبة صادر ، بيروت ، 1953.
- 104- العزيزي ، روكس ، الشعر الشعبي البدوي ، الفنون الشعبية ، دار الثقافة ، والفنون ، عمان ، الأردن ، عدد 4 ، 1974.
- 105- العزيزي ، روكس ، معلمة التراث الأردني ، منشورات سلطة السياحة ، عمان ، ط 1 ، 1984.
- 106- العسقلاني ، علي بن حجر ، فتح الباري وشرح صحيح البخاري ، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحمد عبد الباقي ، دار المنار ، ط 1 ، 1999.
- 107- عصفور ، جابر ، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 2 ، 1983.

- 108- عطوان ، حسين ، مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي ، دار المعارف بمصر ، مكتبة الدراسات الأدبية ، ط 1970.
- 109- العقاد ، عباس محمود ، جميل بثينة ، دار المعارف بمصر ، القاهرة ، مصر ، ط 3.
- 110- علقم ، نبيل ، دراسة في التراث والتراث الشعبي الفلسطيني ، التراث والمجتمع ، العدد 1 ، 1974.
- 111- علقم ، نبيل ، مدخل لدراسة الفلكلور ، منشورات جمعية انعاش الأسرة ، البيرة ، ط 3 ، 1977.
- 112- عمر بن أبي ربيعة ، ديوانه ، دار صادر للطباعة ، والنشر ، ط 1961.
- 113- عمرو بن كلثوم ، ديوانه ، دار صادر بيروت ، ط 1 ، 1996.
- 114- عنتره ، ديوانه ، تحقيق عبد المنعم شلبي ، مطبعة شركة فن للطباعة ، القاهرة .
- 115- غريب ، جورج ، الغزل تاريخه واعلامه ، سلسلة الموسوعة في الأدب العربي ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان .
- 116- الغزي ، نجم الدين ، الكواكب السائرة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط 1979.
- 117- غوري ، إبراهيم حلمي ، البيئات الطبيعية ، دار الشرق العربي ، بيروت .
- 118- غيث ، محمد عاطف ، علم الاجتماع ، دار المعارف بمصر ، ط 1965.
- 119- ابو الفتح ، حسين علي ، البيئة الصحراوية العربية ، دار الشروق ، للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1997.
- 120- أبو فراس الحمداني ، ديوانه ، زاوية ابن خالوية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، 1959.
- 121- أبو فراس الحمداني ، ديوانه شرح وتقديم عباس عبد الستار ، دار الكتب ، العلمية ، بيروت لبنان .
- 122- أبو فراس الحمداني ، قصة حياته في جده وهزله ، عبد الرحمن صدقي ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر .
- 123- الفرحان ، محمد حسن مقدمة ديوان الكبيسي ، إدارة الثقافة والفنون ، قطر ، ط 1.
- 124- الفرزدق ، ديوانه ، شرح وتقديم علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- 125- فلاح ، غازي ، الفلسطينيون المنسيون ، عرب النقب ، مركز احياء التراث العربي ، الطيبة ، المثلث ، ط 1989.

- 126- الفوال ، صلاح مصطفى ، تنمية المجتمعات الصحراوية ، أسس نظرية ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط 1 ، 1968 .
- 127- الفيصل ، شكري ، تطور الغزل بين الجاهلية والاسلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 4.
- 128- القسوس ، نجيب سليمان ، ملامح من التراث الشعبي في محافظة الكرك ، منشورات جامعة مؤتة ، ط 1984.
- 129- القشاط ، محمد سعيد ، الأدب الشعبي في ليبيا ، دار لبنان ، ط 1 ، 1968 .
- 130- القلقشندي ، أبو العباس ، صبح الأعشى ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، ط 1913 .
- 131- القيسي ، نوري ، الطبيعة في الشعر الجاهلي ، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط 1 ، 1970.
- 132- قيس بن الملوح ، ديوانه ، شرح الدكتور يوسف فرحات ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 3 ، 1987.
- 133- كعب بن زهير ، ديوانه ، حققه وشرحه وقدم له الاستاذ علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 ، 1987.
- 134- كعب بن مالك ، ديوانه ، تحقيق سامي العابدي ، مطبعة دار المعارف ، بغداد ، ط 1966.
- 135- الكمالي ، شفيق ، الشعر عند البدو ، مطبعة الارشاد ، بغداد ، ط 1984 .
- 136- كناعنه ، شريف ، دار التراث الشعبي في تعزيز الهوية ، التراث والمجتمع ، عدد 22 ، جمعية انعاش الأسرة .
- 137- المأثورات الشعبية ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، عمان الأردن ، ط 1 ، 1996.
- 138- المبيض ، سليم عرفات ، الإبل في التراث الشعبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط 1993 .
- 139- المتنبي ، ديوانه ، دار صادر ، بيروت ، ط 1 ، 1985.
- 140- محجوب ، محمد عبده ، مقدمة لدراسة المجتمعات البدوية ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط 1 ، 1974.
- 141- مذكرات الملك عبد الله بن الحسين ، نشر أمين أبو شعر ، عمان الأردن ، ط 4 ، 1965.
- 142- مرسي ، أحمد ، أبحاث في التراث الشعبي ، دار الثقافة العامة ، الأعظمية العراق .
- 143- مشاركة ، محمد زهير ، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي ، طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 ، 1988 .

- 144- المعجم الوسيط ، دار عمران ، ط3 .
- 145- معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والاسلام ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1990.
- 146- المفضليات ، تحقيق وشرح أحمد شاکر وعبد السلام هارون ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، 1361 هـ .
- 147- المناصرة ، عز الدين ، جفرا ، منشورات الكويتية، دار العودة ،بيروت ، ط 1، 1980.
- 148- ابن منظور ، لسان العرب .
- 149- مواسي ، فاروق ، قراءات في الشعر الفلسطيني، دار الفارق للفكر والثقافة ، والعلوم ، نابلس ، ط1 ، 1996 .
- 150- موسى ، علي حسن ، الأحوال الجوية في الأمثال الشعبية ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 1، 1997 .
- 151- الموسوعة الأردنية ، دار الكرمل للنشر والتوزيع ، عمان ، ط 1 ، 1989.
- 152- موسوعة الشعر العربي ، قصيدة الحارث بن عباد ، شرح ايليا حاوي ومطاوع الصفدي ، شركة خياط للكتب ، بيروت ، لبنان .
- 153- الموسوعة العربية الميسرة ، اشراف محمد شفيق غربال، دار الشعب ، مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر .
- 154- الموسوعة الفلسطينية ، اصدار هيئة الموسوعة الفلسطينية ، دمشق، ط1 ، 1984.
- 155- النابغة الذبياني ، ديوانه ، تحقيق وشرح كرم البستاني ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط 1960.
- 156- نجيب ، صادق ، الأنباط والشعر النبطي ، الكتاب عبارة عن حلقة تلفزيونية كويتية بتاريخ 1977/09/25.
- 157- نصوص شعرية (2) ، برنامج التعليم المفتوح ، ط1، 1994.
- 158- النمر ، احسان ، من السويس الى العقبة عبر سيناء ، مطبعة نابلس.
- 159- ابو نواس ، ديوانه ، شرح وضبط وتقديم علي فاعور دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ط 2، 1994.
- 160- نوفل ، سيد ، شعر الطبيعة في الأدب العربي ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ، القاهرة مصر.
- 161- هارون ، عبد السلام ، التراث العربي ، سلسلة كتابك ، دار المعارف ، القاهرة ، 1978.
- 162- هديا ، ابوهديا ، عبدالعزيز، منهل الأدباء والشعراء ، التراث والمجتمع ، عدد 27.

- 163- الهذليين ، ديوان ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1965.
- 164- هشيش ، ابراهيم ، دراسات في شعر درويش ، المؤسسة العربية للدراسات ، عمان ، ط1 ، 1998.
- 165- الهيثي ، صبري فارس ، جغرافية الوطن العربي ، دار الصفا للنشر والتوزيع ، عمان ، ط1 ، 1999.
- 166- وات ، مونكمري ، لجنة ترجمة المعارف الاسلامية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1981.
- 167- وافي ، علي عبد الواحد ، فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة ، ط7.
- 168- ياغي ، عبد الرحمن ، حياة الأدب الفلسطيني الجديد ، بيروت، 1968.
- 169- يحيى ، أبو يحيى أحمد ، الحية في التراث العربي ، المكتبة العصرية ، لبنان ، ط1997.
- 170- يوسف ، حسني ، عالم المرأة في الشعر الجاهلي ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، ط1 ، 1998.
- 171- يونس ، عبد الحميد ، الابداع الشعبي ، المأثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي، عدد 2 ، 1987.

ج- المجالات والدوريات :

- 1- التراث الشعبي ، دائرة الشؤون الثقافية العامة ، وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، الاعظمية بغداد.
- 2- التراث والمجتمع ، لجنة التراث ، جمعية انعاش الأسرة ، البيرة .
- 3- المآثورات الشعبية ، مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، الدوحة ، قطر .
- 4- مجلة الفنون الشعبية ، وزارة الثقافة والشباب ، دار الثقافة والفنون ، عمان ، الأردن.
- 5- مجلة معان ، مديرية الثقافة ، الأردن .

Abstract

This study concentrates on the cultural and civilian result to a certain Palestinian environment throughout its popular and traditional poetry . In other words , this study tries to focus on Pedwin society movement in “ throughout its expression indications .

The importance of this study comes out of this point , through collecting some of this .poetry and analyzing and understanding the Pedwin life through it .

The study emphasized on the geographical environment which the Pedwins live in , so the researcher tried to study the history of , and geography of the Negev , that included geographical borders , the climate , agriculture , the tribal system , the tribes and their extensions , the researcher also studied the history of south Jordan and Sinai , because he thinks that these parts from and create similar culture and literature .

The second part of the study concentrated on the popular literature , concept , content characteristics , importance and its relation to the classical literature .

The third part studied the aims of the popular poetry of the area : -

- 1 . The women in the popular poetry an erotic aim , the relation between ,an and woman analyzing love feelings .
- 2 . Describing silent nature and its effects on the pedwin society , focusing on desert , mountains , valleys , stars , and other natural factors like rain and dry .
- 3 . Describing the desert animals , domestic and wild in relation to man like camels , horses , and sheep , fox , hyena , snakes , scorpions , eagles , awls , cravens , hawk , and their role in the social life .
- 4 . The pedwin social life through its poetry , the tribal system” Mashyekha “ , the relation between the “ Sheik “ and his trible , his duties , and rights , and the rights and the rights and the duties of the tribe and other tribes .

The research analyzed other social features like generosity , knighthood and other social favorite morals , therefore it was necessary to study the basis of the social life and its suitable poetry such as praise , satire , elegizing , prond , and other classical aims in addition to coffee beans and its effect on the social life , as well as poetry that tells stories .

This research as a unit represents the accumulative interaction between ,an and the environment in his daily life .

Through this , we find the similarity between the classical and the popular poetry in Negev .

Bedouin poetry in Negeb
collection and study

Presented by

Omar Abdul Rahman Nemer

Supervised by

Prof: Yahia Jab'r
Dr;Ehsan AL-Deek